مركز البيان للبحوث والدراسات
Al-Bayan Center for Research and Studies

حتى لا يُستَبَاحَ الحَرَم

قراءة حالية ومستقبلية في أبعاد المشروع الإيراني

د. عبدالعزيز مصطفى كامل

www.albayan.co.uk

حتَّى لا يُستَبَاح الحَرَم

قراءة حالية ومستقبلية في أبعاد المشروع الإيراني

د. عبد العزيز مصطفى كامل

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٥٦٩٣ / ٢٠١٦

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

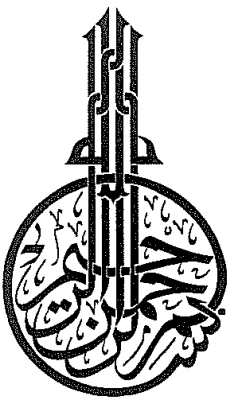

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فالعالَم يشهد منذ قرن من الزمان أحداثًا عظامًا جسامًا، ما كان أحدٌ يتوقع حصولها في ذلك الزمن اليسير من عُمر الدنيا، وبخاصة في العقود القليلة الأخيرة، وكأنَّ هذا العالَم يتهيأ لأقدارٍ تربط بين أخبار الوحي في التاريخ الماضي والتاريخ المستقبل.

إن غالبَ الأقدار التي أخبَر بها الوحي فصنَعت - بقدر الله وقدرته - تاريخ الماضي وتاريخ المستقبل؛ دارت وتدور وستدور فوق بقاع كانت دائمًا محورَ أحداث الزمان والمكان.. إنها البقاعُ التي ظلت لأكثر الأمم بها صلات دينية ووشائج روحية، وأرصدة ثرية في ذاكرة التاريخ، وهي تلك الأرض الممتدة بين نهري الجنة - النيل والفرات - وبين شمال الشام وحتى جنوب اليمن، فكلُّ ما بين تلك الحدود ومحيطها المحدود؛ كان مهبطًا للرسالات والنبوات، ومحطَّ تصديق وتطبيق لما جاء به النبيون والمرسلون من إخبارات ونبوءات، سواء كانت تلك الأخبار والنبوءات مما حدث قديمًا، أو مما لا يزال يحدث حاضرًا، أو مما سوف يحدث مستقبلاً، من أمور وخطوب بدأت بوادرها في عصرنا، لتمتد - والعلم عند الله - عبر الزمان والمكان حتى تشمل كل مكان إلى آخر الزمان.

إنها البقاعُ الواقعة في قلب العالم، والتي لم ينزل كتابٌ ولم يُرسَل نبيٌّ مما صحَّ به خبر الوحي إلا كان فيها وعليها، منذ آدم أبي البشر، وحتى محمد ﷺ خير البشر.

وهي الأرض التي ادَّعى أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى أن جزءًا كبيرًا منها مِلْك خاصٌّ بهم، أعطاه الربُّ لهم، ووعَد به أنبياءَهم؛ كما نسبوا ذلك إليه في أول سِفْر من التوراة[1]، ولذلك أطلقوا عليها (أرض الموعد)، أو (أرض الميعاد). فظلوا متعلقين بها، محاربين لأجلها، ومحاولين العودة إليها كلما أُخرِجُوا منها؛ زاعمين أنها مِلْكُهم الخاصُّ والخالص حتى نهاية الزمان، الذي سيشهد نزول (المُخلِّص) الخاصِّ بهم، الذي اختلف اليهود والنصارى في تعيين شخصه[2]، ولكن لم يختلفوا في مكان نزوله، ومجال دعوته، وعلامات زمانه.

ولذلك كانت تلك الأرضُ بتلك الحدودِ موضعَ وموضوعَ (المشروع الصهيوني) يهوديًّا كان أو مسيحيًّا؛ لذلك تعاني المنطقة من ويلاته وتداعياته منذ عشرة عقود أو يزيد، فقد تعددت في ذات البقاع وفيما حولها صُوَر المشروعات الاستعمارية الصليبية، الشرقية والغربية - قديمها وحديثها - باعتبار أن فيها أرضَ بيت المقدس الحاضنة والمجاورة لمهد المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - الذي أَلَّهُوه وعبدوه واتخذوه إلهًا أو ابنَ إله أو ثالث ثلاثة -، واعتقدوا أنه سيعود ثانيةً لتلك الأرض المقدسة التي عاش فيها ليحكم منها العالم لألف عام من الزمن!

لذلك تناوبت طوائفُ النصارى على غزو ذلك الجزء من (أرض النبوات

---

(١) وهو الوارد في سفر التكوين: (الإصحاح ١٥/ ٨) من التوراة المتداولة بين اليهود والنصارى، وفيه: (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقًا قائلاً: لِنَسْلِك أُعطي هذه الأرضَ من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات).

(٢) يدَّعي اليهودُ أن مرسلاً إلهيًّا سيجيء في آخر الزمان في أرض الشام لتخليصهم، ويحكمون العالم تحت قيادته، ويطلقون عليه (الماشيَّح)، وقد كانوا ينتظرونه منذ زمان عيسى عليه السلام، لكنهم لم يؤمنوا بعيسى، وظلوا منتظرين نبيًّا سيخرج في الحجاز ويكون ملكه بالشام وهو محمد ﷺ؛ لذلك نزلت قبائل منهم المدينة لانتظاره، ثم كفروا به لما وجدوه من غير بني إسرائيل، والنصارى قالوا إن المنتظر القادم هو عيسى المسيح الذي أَلَّهوه، وقالوا سيرسله أبوه إلى ذات الأرض ليخلصهم في آخر الزمان!

والنبوءات)، منذ عصور ما قبل الإسلام وبعد ظهوره، في حملات صليبيَّة متتابعة، امتدت حتى عصرنا هذا، الذي أطلقوا فيه على تلك الأرض (منطقة الشرق الأوسط)، فكانت محطَّ خططهم، وميدان تعاونهم ووقوفهم خلف اليهود الذين مَكَّنُوا لهم فيها للكيد للإسلام والمسلمين على مدى ما مضى من عقود، منذ انفراط عِقْد الخلافة التركية العثمانية التي تعاون الطرفان المعتديان على إسقاطها.

وأرض النبوات والنبوءات هي نفسها الأرض التي يعدها أصحاب (المشروع الإيراني الفارسي) في إيران وما يتبعها؛ مسرح أحداث منتظرهم الذي ينتظرون، من يوم دخل سردابه منذ قرون، والذي تُجمع قيادتهم السياسية قبل مرجعياتهم الدينية على أن العالم قد دخل بالفعل في عصر ظهوره ومرحلة خروجه، ويطلقون على تلك الأرض التي يعدونها معقل أنصاره وساحة معاركه: (إقليم جنوب غرب آسيا)، أو (منطقة الصدع المذهبي) الذي سينفلق منه فجر التشيع ليعمَّ العالَم، وسيشهد تنفيذ مشروع سيادتهم عليه، بقيادة مهديهم المنتظر!

وفي ضوء النظر إلى إرث التاريخ الإنساني القديم، ومستقبله القادم، نرى أن هذه البقاع تستحق أن تسمى: (أرض النبوات والنبوءات)؛ لأن كلَّ النبيين والمرسلين المعروفين أُرسلوا فيها، وكلَّ الأخبار والنبوءات المتعلقة بآخر الزمان عند غالب الملل والنحل والأديان مرتبطةٌ بها وبالشعوب الساكنة في أرضها.

لكن العلمانيين العرب، من القوميين واليساريين والليبراليين وغيرهم؛ أطلقوا على تلك المنطقة وصف: (وطن العروبة)، غير مدركين أو مقدرين الخصوصية الدينية والحساسية الاعتقادية التي تربطها بمجموع المسلمين، فاجتهدوا في فصلها عن الإسلام، وحاولوا - لجهلهم وجاهليتهم - إحلال رابطة (القومية العربية) أو (أخوة

العروبة) محل أُخوة الإسلام والإيمان، ليسوُّوا بين المسلمين وغير المسلمين من جهة، وليفصِلُوا العرب عن مجموع أمة الإسلام من جهة أخرى، وهو ما جعل تلك الأرضَ نهبًا لكل طامع ومرتعًا لكل طامح من أصحاب الأديان والمذاهب والمصالح عند أكثر أصحاب الملل والنحل، يسرحون فيها ويمرحون - في حمى العلمانيين - كما يشاءون، دون أن يَستشعر بقيةُ المسلمين من غير العرب تجاهها بمسؤوليات أو واجبات.

خصوصيات (أرض النبوات والنبوءات) متفردة بين بقاع العالم، فكما تحوي أفضل الأمكنة على امتداد الأزمنة، وكما أن كلَّ ما يُعرَف عن سير الأنبياء والمرسلين كان على ثراها وفوق رُباها؛ فإنَّ أكثر ما يُنقَل من أخبار ونبوءات عندنا وعند غيرنا، مما صحَّ أو لم يصح عن الأحداث الكبرى في آخر الزمان مرتبطٌ بها وواقعٌ عليها.

وهي نبوءات تُبنَى وستُبنى على بعضها - مهما كانت صدقيتها وصلابتها، أو خرافتها وهشاشتها - صروحٌ كبرى شاهقةٌ من المشروعات الدينية المستقبلية. لذلك صارت تلك البقاع اليوم وغدًا وبعد غد محطَّ أنظار الأبرار أو الفُجَّار، وهي موعد النزال الأخير المحتوم بين الأخيار والأشرار.

إنها الأرض التي شهدت أكبر أحداث التاريخ الإنساني القديم والمعاصر، وحول قضاياها الراهنة الساخنة تتركز معظم الأخبار والتحليلات العالمية عن صراع المشروعات والمخططات والمؤامرات، لذلك فعلى ساحاتها وفي بلدانها وأقطارها تظهر اليوم إرهاصات الصدامات الكبرى التي تشير ملامح مقدماتها الحاضرة إلى سمات نتائجها المستقبلة؛ حيث يدل واقع الصراع القائم فيها اليوم على طبيعة الصدام القادم إليها غدًا.

المخاطر اليوم تخيم على غالب أقطارها، ومن جميع جهاتها، وتهدِّد قلبها وتُخومها، فبيت المقدس والمسجد الأقصى وما حولهما؛ يستهدفهما صهاينة اليهود وصهاينة النصارى بالهدم والاستيطان والتهجير والتخريب، وسط صمت مريب أو تواطؤ غريب في أوساط العجز أو التعاجز العربي.

وبقية أرض الشام تشهد منذ أعوام بواكير الصدام المتعدد الرايات، والمدفوع بعقائد ونبوءات مسنودة بمختلف المشروعات الصهيونية والصليبية، والروسية والفارسية الشيعية، والعربية.

والعراق تعاركت فيه كثير من القوى الإقليمية والعالمية حتى وقع تحت الهيمنة الشيعية العربية، ثم الفارسية منذ غزاه الأمريكان، وسط تسلُّق وتسلُّط من قيادات الأكراد العلمانيين الذين لهم أطماعهم الانفصالية المعادية للعرب والمسلمين، والموالية لليهود والصليبيين.

ومصر لا تزال محط تآمر دولي - باعتبارها الجائزة الكبرى - لتفتيت أوصالها، وتوهين قواها أمام كل طامع كبير أو طامح حقير.

واليمن الذي كان سعيدًا بسعة رِزقه وحِكمة أهله؛ يُراد له سلب النعمة ويُراوَد على تغييب الحِكمة من خلال تقسيمه عقديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، حتى تخرج منه نار الفتنة الطائفية الإقليمية الكبرى التي يُرتَّب لها منذ عقود.

أما الحَرمان الشريفان، وما حولهما في مكة والمدينة؛ ففي موقع القلب وسط هذه التقلبات، حيث يربض حولهما ويتربص بهما شيعة الفرس وشيعة العرب، بدفع خفيٍّ من كُفار أهل الكتاب، ضمن مشروع صفوي جديد، يهددهما بالاجتياح والاستباحة، على طريقة التتار والمغول والقرامطة!

إن من يتعمق في فهم خط الصعود الشيعي في العقود الأخيرة سيرى جليًّا أن منظومة العقائد الشيعية الاثني عشرية الخرافية، حوَّلتها إيران بعد ثورة الخميني إلى مشروع واقعي، يُترجم عمليًّا منذ عدة عقود، ويتحرك أُفقيًّا ورأسيًّا، شرقيًّا وغربيًّا، سلميًّا وحربيًّا؛ على اتساع ما تسميه إيران إقليم (جنوب غرب آسيا) أو (منطقة الصدع المذهبي) التي هي عندنا: (أرض النبوات والنبوءات).

وللمشروع الإيراني في هذا عِدَّة منطلقات:

أولها: إبراز إيران نفسها على أنها دولة تمثِّل الإسلامَ الصحيح، لهذا فلها مركزيتها ودورها في العالم الإسلامي عامة، وفي المحيط الإقليمي خاصة.

ثانيها: تطرح إيران دورها على أنها هي الدولة القائدة والرائدة في ذلك الإقليم سياسيًّا وعسكريًّا، واقتصاديًّا وثقافيًّا وأمنيًّا.

ثالثها: مثلما تُعطي إيران نفسها حق الدفاع عن حدودها؛ فهي تدَّعِي حقًّا مكتسبًا لها يمنحها حرية التوسع إقليميًّا في البلاد التي تمثل عمقًا استراتيجيًّا لمشروعها.

رابعها: لا تسعى إيران لمواجهة القوى الخارجية، إلا إذا تعارض نفوذها مع النفوذ الإيراني في المنطقة؛ بل تسعى لضرب القوى المناوئة لها بتلك القوى الأجنبية، توفيرًا لطاقاتها، وإضعافًا لخصومها.

وعلى هذه الأسس والمنطلقات، فلكلِّ قُطر من الأقطار المحيطة والقريبة من إيران، والتي كانت تمثل (إمبراطورية فارس) القديمة، موقعٌ خاصٌّ في المشروع الإيراني، ومكانٌ في الخطة الشيعية التوسعية، الجامعة بين الاستقطاب المذهبي والضم السياسي والتمكن الاستراتيجي.

لكنَّ الواضح من خط سير الخطة الإيرانية في استهداف البلدان السنية العربية أنها صُمِّمت على طريقة الزحف من الأطراف إلى القلب، والأطراف هنا هي بلدان العراق والشام واليمن، وهو ما أطلق عليه إعلاميًّا وسياسيًّا: الهلال الشيعي.

أما القلب، فهو جزيرة العرب، المسماة إعلاميًّا وسياسيًّا: دول الخليج، وفي قلبها بلاد الحرمين، وفي قلب بلد الحرمين: الحرمان ذاتهما، فالحرمان الشريفان هما قلب القلب، وغاية الغاية في المشروع العدائي الفارسي الشيعي. ولهذا نوَّهْتُ إلى ذلك في عنوان هذا الكتاب.

إن المنطقة تفور بأحداث تدور اليوم، وستدور غدًا، حول الحِمَى والحُرُمات والمقدسات، وكأنَّ الزمان يُختَصر اختصارًا للمضي سريعًا نحو الأقدار والأخبار التي حدَّثتنا عنها نصوصُ الوحي؛ والتي تشير إلى مصيرٍ مغاير لما استقرت عليه الأمور عبر دهورٍ، لكنه في كل الأحوال مصيرُ عزٍّ وانتصار لهذه الأمة، على الرغم من الظلم والظلام والكآبة المخيمة على الرؤوس والمخيبة للآمال منذ أجيال.

هذا الكتاب هو جزءٌ من سلسلة؛ حاول فيه مؤلفه إلقاء الأضواء الكاشفة على أبعاد صراع واقع منذ زمان، بين مشروعات متعددة على أراضٍ وبقاع (أرض النبوات والنبوءات)، وهذه المشروعات أبرزها: مشروع صليبي غربي، وآخر شرقي، ومشروع يهودي صهيوني، ومشروع فارسي إيراني، ومشاريع قومية علمانية، عربية وأعجمية. حيث نتوقع - بل نكاد نجزم - أن هذا الصراع الكبير سيتحول إلى صدام أكبر على تلك البقاع، خاصة في أماكن المقدسات منها في الشام ومصر وجزيرة العرب، ليمثِّل الشرارات المبكرة للأحداث الكبرى التي حدَّثتنا عنها نصوص الوحي المعصوم.

لكنَّ موضوع الكتاب هنا يركِّز - لاعتبارات مهمة - على أحد تلك المشروعات المعادية للأمة، من طائفة تحسب نفسها عليها مع تبرئها منها، وهي الطائفة الشيعية الاثنا عشرية، التي لم يتنبه المسلمون المعاصرون لخطرها إلا بعد أن استفحل شرُّها وتمدد مشروعُها حتى تجاوز الخطوطَ الحمر، وصار يهدِّد المقدسات، بعد أن استولى على كثير من البقاع والأراضي والمقدرات، الخاصة بخصومهم التاريخيين - وربما الوحيدين - وهم المسلمون السُّنة، وبخاصة العرب منهم.

وإذا كان هذا الكتاب قد ركَّز على أبعاد المشروع الإيراني المستهدِف في النهاية مقدَّسات مكة والمدينة؛ فلا يعني هذا غضَّ الطرف عن مخاطر وأبعاد المشروع الصهيوني أو المشروع الصليبي، اللذين يعملان منذ زمان في فرض الهيمنة والوصاية على مقدرات ومقدسات المسلمين في بيت المقدس وما حوله. حيث سبقت الكتابة في كثير من ذلك[1] وستستكمل - بإذن الله - البقية، إن كان في العمر بقية.

إن كل الشواهد تدل على أن الزمان القريب القادم؛ ستكون فيه مقدَّسات كلِّ الديانات في (أرض النبوات والنبوءات)، وبخاصة مكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق وسيناء؛ محورًا للأحداث ومدارًا للصراعات، التي ستزداد وتتضح - مع الوقت - طبيعتُها الدينية وصبغتُها الاعتقادية، مدفوعةً - في الغالب - بقناعات غيبية، مرتبطة بأخبار ونبوءات مستقبلية عند أصحاب الملل والنِّحَل المتطلعة إلى تلك البقاع.

---

(١) انظر - لو شئت - للمؤلف: كتاب (قبل أن يُهدَم الأقصى) وكتاب (حُمِّي سنة ٢٠٠٠)، وكتاب (العلمانيون وفلسطين.. ستون عامًا من الفشل)، وكتاب (معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية)؛ فكلها تدور حول معركة أصحاب المشروع السني (الغائب)، مع أصحاب المشروعات الحاضرة اليهودية والصليبية والعلمانية.

ويبقى أصحاب الملة القويمة والمذهب الصحيح من أهل السنة - خاصتهم وعامتهم - في بؤرة استهداف كلِّ فِرَق الخرافة ومذاهب الانحراف، من المغضوب عليهم والضالين ومن شايعهم من شيعة رافضة، وباطنية ملحدة، وعلمانية لا دينية ولا أخلاقية.

كلنا يقين بأن العاقبة للمتقين، ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه، لم يتكفل بنصر مَن تنزل عليهم هذا الكتاب ما لم يحفظوه في أنفسهم، ويقيموه في واقعهم، ويوالوا عليه ويعادوا فيه، وينصروه، ويدفعوا عنه بأغلى ما يملكون. كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٨].

إن مشروعات المناوئين للأمة على اختلاف مللهم ونحلهم، ستظل ماضيةً في طرق الغواية والخرافة والخراب؛ ما لم تتصدَّ لهم قوى الحق، بالحق والقوة، فأهل السنة بعمومهم هم جماعة الحق الباقية، وفيهم الطائفة المنصورة التي لن ينقطع وُجودها حتى يُقاتل آخرها المسيح الدجال.

واجب الوقت - وكل وقت - على عموم المسلمين من أهل السنة والجماعة؛ أن يتنادوا ويتداعوا إلى إقامة منهاج السنة، متمثلين له في أنفسهم، ومجتمعين عليه في جماعاتهم ومجتمعاتهم، ومدافعين عنه مع كل كيان في أيِّ مكان، بشرط أن يكون أمينًا على مصالح المسلمين، ليواجه الجميع غزوات الأحزاب المعاصرة، ليكون مصيرها كمصير الأحزاب الغابرة التي نصَر الله فيها عبدَه، وأعز جنده، وهزم الأحزاب

وحده، وعندها يتمثل المؤمنون في الزمن الأخير ما قال الله عن المؤمنين في الزمن الأول: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢ – ٢٤].

الفصل الأول:
الخلفيات الخُرافية للمشروع الإيراني

مقدمة:

قد لا يُصدِّق كثيرٌ من الناس أن مشروع الفُرس الإيرانيين الطامح للدخول في (نادي الكبار النووي) هو مشروعٌ يقوم على خرافات وترَّهات، يستنكفُ العقل البشري العادي عن تصوُّرها، فضلاً عن تصديقها، فهذا المشروع يسبح بأصحابه وأنصاره في بحار الخرافة التي حوَّلوها إلى خطوات «تكتيكية» توصِّل على مراحل إلى أهداف «استراتيجية» قريبة المدى، ومتوسطة المدى، وبعيدة المدى.

وتلك «الاستراتيجيات» المبنية على الخرافة، صنَعت أساطير مسلحة، ينبغي استحضار خلفياتها عند أيِّ قراءة أو تحليل لتطورات وتداعيات الموقف الإيراني الشيعي من كل القضايا؛ لأنها تقبع وراء كل موقف منهم، وتقف خلف كل تحرك عندهم.

ولأن المشروع الإيراني هو مشروعٌ مذهبيٌّ طائفيٌّ عنصريٌّ، فقد لزم الإلمام بخلفياته الاعتقادية والتاريخية التي تمثِّل قوةَ تحريك جبَّارة للطاقات العدائية والتحركات التخريبية ضد كل ما يتعلق بالسنة وأهلها. فإذا كان التمهيد وبذل الجهود مثلاً، لخروج مهديهم المنتظر - الآتي الحديث عنه - هو الغاية الأبعد لذلك المشروع وللدولة التي قامت عليه؛ فليس هناك ما يعطي إيضاحًا صريحًا وصارخًا أكثر من استعراض منظوماتهم الاعتقادية المتعلقة بذلك المنتظر، الذي يُعد أيقونة ثورة إيران ورمز دولتها، وفارس أحلام إعادة إمبراطوريتها، وإذا عرفنا أن تلك الشخصية المركزية عندهم - ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً - لن تهتم حال خروجها المزعوم بمكان أكثر من اهتمامها بمكة والمدينة ومقدساتها، لا لإعمارهما بل لتخريبهما؛ ولن تهتم أو تغتم بصنف من الناس حتى تشفي غليلها منهم مثل أهل السنة؛ لعرفنا كم هو واجب أن

نحيط بعقائد القوم وفكرهم؛ لنعرف أبعاد خططهم ومكرهم.

منذ نشأت فرقة الشيعة الإمامية وهي تتعلق بأوهام الانتظار، خاصة بعدما رسخ عندهم الاعتقاد الخرافي بأنَّ الإمام الثاني عشر - (محمد بن الحسن العسكري) - قد غاب بعدما دخل السرداب، وسيخرج في آخر الزمان ليستكمل عدة الأئمة الاثني عشر من آل البيت؛ وهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبقية الأئمة الأحد عشر من ذريته.

وقد تسبَّب هذا المعتقدُ في إيقاف عجلة التاريخ السياسي عند الشيعة دهرًا طويلاً؛ حيث حرَّمت العقيدة الإمامية إنشاء كيان سياسي لهم مادام الإمام الثاني عشر باقيًا في غيبته، وظل الشيعة الاثنا عشرية بلا دولة تجمعهم، باستثناء بعض الكيانات الطارئة المؤقتة، حتى قامت لهم في بداية القرن العاشر الهجري، وأول القرن السادس عشر الميلادي دولة قوية، هي الدولة الصفوية، في ظروف تاريخية مواتية، لكن تلك الدولة أيضًا افترضت أن ولاية الفقيه الفارسي السياسية، يمكن أن تقوم مقام قيادة القائم المنتظر حتى يعود!

ولا بد لمن يريد ربط ماضي الفرس بحاضرهم أن يُلمَّ بالخلفيات العامة في تاريخهم، ليفهم معنى (الأحلام الإمبراطورية) التي تتطلع إليها إيران الفارسية اليوم؛ لبعث أمجاد كانت لهم بالأمس، يرون أنها ليست بعيدة المنال، بعد أن قامت دولتهم القوية في عصرنا بعد طول غياب وانتظار.

قبل الإسلام؛ كان لبلاد فارس تاريخ حافل، يكفي في تصور قوته وسطوته أن نتذكر أن الفرس والروم كانا قطبين دوليين ونِدَّيْن تاريخيين، ظلا طوال قرون، يتبادلان زعامة العالم؛ حيث كانت الحروب بينهما سجالاً، يغلب هؤلاء مرة، ويغلب

الآخرون أخرى، وهو ما أشار إليه القرآن في قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى الۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ الۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ الۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم: ١ - ٤].

إيران وفارس، اسمان لقُطر واحد؛ حيث هاجرت قبائل من الجنس الآري من موطنها الأصلي جنوبي بحر الأورال، إلى الهضبة المرتفعة الواقعة أسفل بحر قزوين، فسُمِّيت تلك المناطق (إيران) أي: موطن الآريين[1].

ويزعم المؤرخون الفرس أن الله - تعالى - أرسل منهم نبيًّا قبل الميلاد بنحو ألف عام، هو (زرادشت) الذي تنسب إليه الديانة الزرادشتية[2]، غير أن ذلك النبي المُدَّعَى كان يدعو - كما يزعمون - إلى عبادة إلهين اثنين هما: إله الخير وإله الشر، اللذين يرمز إليهما النور والظلمة.

وقبل الميلاد بنحو خمسمائة عام ظهر في بلاد فارس ملك عادل، هو (قورش الإخميني) فأسَّس إمبراطورية ذات طبيعة عالمية يحكمها الفرس، وقد تمكَّن من إخضاع بلاد بابل القوية، وحرَّر اليهود الذين سباهم البابليون. ويرى بعض الباحثين

---

(١) الجنس الآري، أو (الآريون) Aryans وصف أُطلق في القرن التاسع عشر على مجموعة من الشعوب الناطقة باللغات الهندية الأوربية التي كانت متقاربة، وتتميز تلك الشعوب باللون الأبيض، سواء كانت شرقية أو غربية، وترى في نفسها تميزًا وخصوصية عن بقية البشر، والإيرانيون منهم، بل كان قدماء الإيرانيين المؤسِّسين لفارس، وهم (الميديون) يُدعون (آريين)، وأخذ اسم إيران من ذلك الوصف، وتدخل شعوب شرق أوروبا الجرمانية، وسكان شمال الهند إضافة لإيران في وصف (الآريين)، انظر: تاريخ البشرية ج١ - حرف الألف، ترجمة نقولا زيادة (بيروت ١٩٨١م)، والموسوعة العربية (١/ ٩٩١).

(٢) الزرادشتية: نسبة للزعيم الديني الذي يدعى زرادشت، أي: صاحب الجمال الذهبي، وُلد وعاش في القرن العاشر قبل الميلاد في بلدة أذربيجان، ثم انتقل إلى فلسطين، وقد دعا إلى عبادة إلهين، إله النور (مزدا)، وإله الشر (مان)، ولذلك يُطلق على تلك الديانة (المزدكية) أو (المانوية)، وعبادة النور أو النار، تسمى المجوسية. انظر: الموسوعة العربية (١٠/ ٢٨١).

أنه هو ذو القرنين المذكور في القرآن.

وخاض الفرس حروبًا طويلة ضد اليونان (الروم القدامى) إلى أن دخل الروم في النصرانية، ولكن الفرس ظلوا على العقائد الوثنية، وكان وثنهم المفضَّل بالعبادة والتقديس هو النار، التي كانت تُقدَّم لها القرابين في عبادة المجوس[1].

ظل الصراع محتدمًا بين الفرس الوثنيين والروم الكتابيين حتى أظل زمان الإسلام، فكان المشركون في مكة بعد البعثة يفخرون على المسلمين المستضعفين بأنَّ المشركين الوثنيين عبدَة النار من الفرس قد غلبوا أهل الكتاب الذين لهم كتاب سماوي أشبه بالمسلمين، ويعدونهم ويتوعدونهم بأن مشركي مكة الوثنيين سينالون من المؤمنين ويهزمونهم مثلما نال الفرس الوثنيون من الروم أهل الكتاب، فنزل القرآن ببشارة أول سورة الروم، ليقرِّر أن مَن مكَّن الفرس أولاً؛ قادرٌ - سبحانه - على تمكين الروم ثانيًا في زمن لا يزيد عن بضع سنين، وقد كان أمرًا في غاية الاستبعاد وقتها بحسب موازين القوى، فلما حدث كان ذلك التمكين بشارة للمسلمين، وليكونوا على يقين بأن من نصر الروم وهم على غير دين مَرضيٍّ؛ سينصر حتمًا من رضي لهم الإسلام دينًا، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ - ٦].

وقد كانت هذه الهزيمة للمجوس تمهيدًا لكسر شوكتهم، وتسهيلاً - بقدر الله - على المسلمين في هدم إمبراطوريتهم، وإطفاء نارهم إلى الأبد. ورغم إطفاء المسلمين نار الفرس المجوس وفتح بلادهم في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فإن

(١) المجوس هم أتباع الديانة الزرادشتية الوثنية، ويقال: إن المجوسية (moge) كانت سابقةً على الزرادشتية، ولكن زرادشت أظهرها ووضع لها أصولاً. انظر: الموسوعة العربية (١٧/ ٨٤٦).

نار الأحقاد عند فريق منهم ظلت متأججة، تأبى أن تخبو أو تخمد، وهو ما جعل المناخ الوجداني ناريًا عند منافقي الفرس الذين تظاهروا بالإسلام، ومناسبًا لتلقِّي فكرة التشيع وتبنِّيها، بعد أن أشعل أوراها ورفع شعارها اليهودي الحقود (ابن سبأ).

فرقة الشيعة الإمامية (متى وكيف)؟

مؤسس معتقد التشيع هو (عبد الله ابن سبأ)[1] اليهودي الذي ادَّعى الإسلام نفاقًا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قاصدًا إشعال الفتنة بين المسلمين، وإفساد عقائدهم من بوابة الغلو في أهل البيت. وقد استجابت لدعوته جموعٌ من الذين في قلوبهم مرض، فنشأت فرقة الشيعة في العراق.

وبعد أن كان التشيع في الأصل هو الميل نحو محبة أهل البيت المطلوبة المشروعة، والمطالبة بما لهم من حقوق منزوعة، وجد ذلك المطلب الحق المنضبط بالشريعة، من يؤصِّل له بالباطل المنافي للشريعة والعقيدة، وأطلَّ باطل اليهود على عقائد بعض المسلمين من بوابة الغُلُو في عليٍّ وذريته؛ كما أطل على عقائد النصارى من شُرفة الغلو في المسيح وأمه. فذهب بعض المتشيعة إلى تأليه عليٍّ، والقول بعودته كما سيعود المسيح، كما فعلت النُّصيرية العلوية، وبعضهم ذهب إلى اعتباره وذريته أولى بولاية

(١) ابن سبأ: هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وكان من يهود اليمن، وقد جاء إلى الحجاز متظاهرًا بالإسلام نفاقًا، وهو يُخفي غرض الكيد للإسلام وأهله، وقد سعى في إفساد الرعية على عثمان - رضي الله عنه - حتى ثارت الرعاع منهم عليه، وأقدم بعضهم على قتله، فبدأت بذلك أحداث ما يعرف بـ(الفتنة الكبرى)، وهو شخصية حقيقية، أثبتت وجودها كتب التاريخ الموثوقة، خلافًا لدعاوى الشيعة ومن تأثروا بهم، الذين قالوا: إنها شخصية وهمية. انظر رسالة (عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني، بين الحقيقة والخيال) للدكتور سامي عطا حسن. جامعة آل البيت، ورسالة (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) للدكتور سليمان بن فهد العودة، وكتاب (عبد الله بن سبأ وإمامة علي رضي الله عنه) لعلي بن عبد الرحمن السليمان.

أمر المسلمين بعد زمن رسول الله ﷺ، وحتى نهاية الزمان، كما اعتقدت الشيعة الاثنا عشرية وقالوا بكفر من لا يقول بقولهم. ومنهم من اقتصر على القول بأفضلية عليٍّ وأولويته بالخلافة بعد رسول الله ﷺ دون تبرؤ ممن ولي الخلافة من دون عليٍّ؛ وهم الزيدية.

ومن كل من تلك الفرق الثلاث تفرقت مذاهب فرعية، حتى انقسمت فرقة الشيعة بعد نشأتها إلى حوالي ثلاث وعشرين فرقة، من أبرزها: الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية، والإسماعيلية، والمكارمة والنصيرية، والدروز، والبهائية، والبُهرة، والحشاشين، والقرامطة.

وقامت عقائد كل هذه الفرق على الغلوِّ في شخص عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - على درجات في هذا الغلو. وبعض فرق الشيعة انقرضت، وبعضها لا يزال موجودًا على قلة، لكن أكثرهم عددًا وانتشارًا في عصرنا هم الإمامية الاثنا عشرية، وهم يقدَّرُون بعشرات الملايين في كل من إيران، والعراق، ولبنان وأفغانستان، وباكستان، ومؤخرًا تحول كثير من الشيعة الزيدية في اليمن إلى المذهب الاثني عشري، عن طريق الحركة الحوثية.

وسُمِّيت الاثنا عشرية بهذا الاسم لاعتقادهم قصْر وجوب عقد الإمامة والخلافة على اثني عشر إمامًا بعد الرسول ﷺ أولهم ابن عمه (عليّ بن أبي طالب)، ومن بعده أحد عشر إمامًا؛آخرهم الإمام الثاني عشر وهو (محمد بن الحسن العسكري) الذي ادَّعَوْا أنه غاب بعد دخوله السرداب وسيرجع في آخر الزمان، وأن له غيبتين صُغرى وكُبرى، فالصغرى بدأت بولادته سنة (٢٥٥هـ)، أو بوفاة والده الحسن العسكري سنة (٢٦٠هـ)، وانتهت الغيبة الصغرى عندهم بوفاة سفيره الرابع سنة (٣٢٩هـ)؛

حيث بدأت من ذلك العام الغيبة الكبرى، وستظل حتى يخرج ذلك الغائب في آخر الزمان، ليحكموا تحت رايته العالمين، ويثأروا من العرب والسُنة المسلمين! ولذلك فهم ينتظرون عودته على شغف واستعجال؛ ليفعل معهم وبهم كل ما كان من المحال طوال تاريخهم! بعدما يخرج من سردابه الذي دخله صغيرًا في بيت أبيه بمدينة (سامِرَّاء) بالعراق. وهم يصفونه بـالمهدي (المنتظر) كي يخرج على عجل، ولذلك لا يُذكر اسمه عندهم إلا مقرونًا بالدعاء المختصر (عج) أي: عجَّل اللهُ فرَجَه، وكأن كتابة اللام ولفظ الجلالة ستؤخر خروجه!

المنظومة الاعتقادية الاثنا عشرية:

ولأن للشيعة الذين يُطلق عليهم (الرافضة)[1] منظومة متكاملة من العقائد الإجمالية التي يعتمد عليها مذهبهم، ويقوم على أساسها مشروعهم المعاصر؛ فلا بد لمن يريد فهم أبعاد هذا المشروع أن يلِمَّ بمجمل تلك العقائد، ليراقب أثرها المطبق في خططهم وخطواتهم الماضية والحاضرة، ويستشرف تأثيرها في مسيرتهم المستقبلة، حيث يمكننا أن نقول باطمئنان: إنه لن يفقَه حقيقة مشروعهم إلا مَنْ فهِم معتقدَهم، ولذا سأقتصر على بيان عقائدهم المتعلقة بموضوع هذا الكتاب، مما له ارتباط بالمشروع السياسي الشيعي؛ حيث إن ذلك المشروع هو تطبيق عملي لمعتقدهم النظري، وأبرز ما فيه:

---

(١) أطلق هذا الوصف على الشيعة لرفضهم إمامة الأخيار، أبي بكر وعمر وعثمان - كما قال أبو الحسن الأشعري - أو لرفضهم وخذلانهم لزيد بن علي بن الحسين - بعد أن بايعوه - لما رفض أن يتبرأ من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقال: كانا وزيري جدي رسول الله ﷺ، فقالو: إذن نرفضك، فرفضوه فسموا رافضة. انظر: مقالات الإسلاميين، الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (ص٢٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩/ ٥).

١ - (الإمامة) و(الولاية):

وهي عندهم أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإيمان، ومعناها الاعتقاد بأحقية عليّ بن أبي طالب في الخلافة هو والأحد عشر المنصوص عليهم من ذريته[١].

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية بكفر من تولى الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ غير عليٍّ وذريته، ويصرِّحون بكفر من رضي بذلك وأقرَّه.

يقول أحد علمائهم الكبار (محمد باقر المجلسي) المتوفى سنة (١١١١هـ)؛ وهو الذي يلَقَّب عندهم بالعَلَم الحجَّة فخر الأمة: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضَّل عليهم غيرَهم يدل على أنهم مخلدون في النار»[٢].

٢ - العصمة:

حيث يعتقد الشيعة الاثنا عشرية بـ (عصمة الأئمة الاثني عشر) كعصمة الأنبياء والرسل، بل إن هؤلاء الأئمة يزيدون في الفضل على الأنبياء بالولاية!

يقول عالمهم الأكبر (محمد الحسين آل كاشف الغطاء): «الإمام يجب أن يكون معصومًا كالنبيِّ عن الخطأ والخطيئة»[٣].

---

(١) أول الأئمة عندهم: (علي بن أبي طالب) ثم (الحسن بن علي) ثم (الحسين بن علي) ثم (علي بن الحسين) ثم (محمد بن علي الباقر) ثم (جعفر بن محمد الصادق) ثم (موسى بن جعفر الكاظم) ثم (علي بن موسى الرضا) ثم (محمد بن علي الجواد) ثم (علي بن محمد الهادي)، ثم (الحسن بن علي العسكري) ثم (ابنه الغائب محمد بن الحسن بن علي العسكري) أو (المهدي المنتظر).

(٢) كتاب بحار الأنوار (٢٣ / ٣٩٠).

(٣) كتاب أصل الشيعة وأصولها (ص٥٩).

ويقول عالمهم: (أمير محمد الكاظمي القزويني): «الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء»[1].

وفي كتاب بحار الأنوار يذكر المؤلف أن الأئمة أعلم من الأنبياء، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأن موتهم لا يقع إلا بإعلامهم، وأنهم يَقدِرُون على إحياء الأموات، وإبراء الأكمَه والأبرص، وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام[2].

ولذلك صرَّح الخميني في كتاب (الحكومة الإسلامية) بتفضيل الأئمة على الأنبياء والرسل، بل على الملائكة! وقال: «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرَّب ولا نبي مرسل»[3]. وقال: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، يجب تنفيذها واتباعها»[4].

٣ - تقديس القبور:

فمراقد الأئمة والأولياء من آل البيت وقبورهم في اعتقاد الشيعة مقدَّسة، وزيارتها من أكبر القُرُبات، وخاصة قبر الحسين في كربلاء، وهذه القبور والبلاد الواقعة فيها؛ هي أقدس عندهم من كل المقدسات، بما فيها الكعبة ومكة!

وقد بوَّب علامتهم (محمد حسن الأصطهباني) بابًا في أحد كتبه بعنوان: «باب أن الله - جل وعلا - يزور الحسين في كل ليلة جمعة»، وآخر بعنوان: «باب من زار قبر الحسين كان كمن زار الله فوق عرشه»[5].

---

(١) كتاب الشيعة في عقائدهم وأحكامهم (ص٧٣).
(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٣ / ٢٧).
(٣) الحكومة الإسلامية (ص: ٥٢).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) كتاب (نور اليقين في المشي إلى زيارة قبر الحسين).

وقد سُئل آيتهم العظمى (محمد الحسيني الشيرازي): هل أرض كربلاء أفضل من أرض مكة؟ والسجدة على التربة الحسينية أفضل من السجدة على أرض الحرم؟ فأجاب بقوله (نعم)[1].

٤ - كفر معظم الصحابة - رضي الله عنهم -:

حيث يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن جمهور أصحاب النبي ﷺ ارتدُّوا بعد وفاته! فعلماء الشيعة يقولون: إنهم كفروا إلا بضعة عشر، وبعضهم مختلف في إسلامه، والمتفق عليهم عندهم - بلا اختلاف - هم الأول: عليّ بن أبي طالب، والثاني: سلمان الفارسي، والثالث:أبو ذر الغفاري، والرابع: المقداد بن الأسود. وكبار الصحابة عندهم لهم أوصاف قبيحة يُكنُّون عنهم بها وهي: (فرعون: أبو بكر) و(هامان: عُمر) و(نَعْثَل: عثمان)، والنعثل هو الرجل الأحمق!! (كَرَّم الله الخلفاء الراشدين، ورضي عنهم، وقبَّح وأبعد من انتقصهم من المجرمين)..

ويقول علامتهم نعمة الله الجزائري: «إن أبا بكر كان يصلي خلف رسول الله والصنم معلَّق في رقبته، وسجوده له»[2].

وهناك دعاء يسمى بدعاء لعن صنمي قريش أي: أبي بكر وعمر، يُورده بعض علماء الشيعة مثل المجلسي، يقولون فيه: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، والعن صنمي قريش وجِبْتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما - أي: عائشة وحفصة - اللذين خالفَا أمرك وأنكرَا وحيك، وجحدَا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبَا دينك، وحرَّفَا كتابك..»!![3].

---

(١) كتاب (فقه العقائد) (ص ٣٧٠).

(٢) ذكر ذلك في كتابه (الأنوار النعمانية) (١/ ٥٣).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٨٥/ ٢٦٠، ٢٦١).

٥ - كفر عموم أهل السنة:

فالشيعة الاثنا عشرية، ومثلهم العلوية والإسماعيلية، يعتقدون أن عموم أهل السنة كُفَّار: وهم يصفونهم بـ(العامة)، ويطلقون عليهم وصف (النواصب)، بزعم أنهم يناصبون عليًّا وذريته وآل البيت العداء. يقول شيخهم (آل عصفور الدرازي البحراني): «أخبارهم عليهم السلام تنادي بأنَّ الناصب هو ما يُقال له عندهم سنيًّا»[١].

ولذلك يستبيحون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وقد أفتى عالمهم (الحُر العاملي) وشيخهم (نعمة الله الجزائري) بجواز قتل «النواصب» واستباحة أموالهم[٢].

٦ - تحريف القرآن:

فيقول كثير من علماء الشيعة بتحريف القرآن نصًّا أو معنًى، ويعتقدون أن الصحابة قد حرَّفُوا في كتاب الله، وأن النصَّ الكامل منه موجود مع (إمام الزمان) - المهدي - وسيأتي به عند خروجه، ويقولون: إن الصحابة حذفوا من القرآن آيات كثيرة، فيها ذِكر أسماء من ارتدُّوا من الصحابة، وأنهم حذفوا سورة كاملة هي سورة الولاية!

وهذا المصحف الكامل - في اعتقادهم - يسمى (مصحف فاطمة)، وعدد آياته تزيد على ستة عشر ألف آية. لكن آخرين من الشيعة المعاصرين ينكرون القول بالتحريف، غير أنهم لا ينكرون أن أحد كبار أئمتهم ومحدثيهم المبجلين عندهم: (حسين نور الطبرسي) المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، قد ألَّف كتابًا سماه «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»؛ حشاه بنُقُول عن أسلاف الشيعة تؤيد هذا المعتقد.

---

(١) كتاب (المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية) (ص: ١٤٧).
(٢) كتاب (وسائل الشيعة) (١٨/ ٤٦٣)، و(الأنوار النعمانية) (٢/ ٣٠٧).

لذلك قال شيخهم محمد بن حمد النعمان الملقب بالمفيد: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد عليه الصلاة والسلام باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الزيادة والنقصان. ومن لم يقولوا بتحريف النصوص القرآنية، ذهبوا إلى تحريف معانيها بما يعادل الزيادة والنقصان في أصول الإيمان»[1].

٧ - إباحة الكذب:

فالشيعة يعتقدون حِلَّ الكذب - بل وجوبه - على غير المعتقدين لمذهبهم، واستحلال الكذب هذا يسمونه (التَقِيَّة) أي: إظهار عكس الحقيقة لاتقاء الأعداء. ولا أعداء لهم على الحقيقة أكبر ممن يزعمون أنهم أعداء أهل البيت، وهم أهل السنة.

والشيعة ينسبون إلى أحد أئمتهم، وهو (محمد بن علي بن الحسين) الملقب بالصدوق أنه قال: «واعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج مِن دين الله ومن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة»[2].

٨ - الرَجْعة:

حيث يؤمن الشيعة الاثنا عشرية أن بعض الأموات سيرجعون إلى الحياة الدنيا للانتقام ممن ظلَمَهم، وعلى رأس هؤلاء الراجعين عليٌّ بن أبي طالب وابنه الحسين، والكثيرون من أهل البيت، وأن ظالميهم سيرجعون أيضًا إلى الدنيا كي يُقتلوا ويُنتقم ويُقتصُّ منهم، كالخلفاء الذين اغتصبوا الخلافة، وعلى رأسهم أبي بكر وعمر[3]!!

---

(١) أوائل المقالات للمفيد (ص: ٥٤، ٩١).

(٢) رسالة الاعتقادات - (ص: ١٠٤).

(٣) انظر: باب الرجعة (٢٩) من كتاب بحار الأنوار.

٩ - ختم التاريخ بالمهدي المنتظر:

وهو الرجل الوهمي؛ الذي يدور حول شخصه ومخرجه دين الشيعة كله؛ الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري)؛ الذي بلغ عمره في عصرنا أكثر من عمر نوح! وغالب الشيعة يُجمعون على أن العالم يعيش اليوم زمان خروجه وظهوره؛ وهو ما يسمونه (عصر الظهور)، ولذلك فهم يسعون جاهدين لإثبات الدلائل التي تشهد على أن الظرف الراهن في عمر الزمان هو عصر خروج (صاحب الزمان).

مهدي الضلال: ونهج الدمار!

قد ينزعج البعض - وحُقَّ لهم الانزعاج - عند الاطلاع على المهمات الخرافية التدميرية التي يعتقد الشيعة القدامى أن قائمهم وقائدهم (المنتظر) سيقوم بها عندما يخرج من سردابه الذي غاب فيه أكثر من ألف ومائتي عام، ولكنَّ المنزعجين سيُفجعون عندما يرون أو يسمعون شيعة اليوم وهم يصدِّقون بكل ذلك، ويحاولون بل يصرُّون على تحويل تلك المهمات الخرافية إلى مخططات وترتيبات سياسية وعسكرية، تتحول - على الرغم من أسطوريتها وخرافتها - إلى واقع يتحرك حثيثًا نحو بوابات الفتن المضلة للأمم، والملاحم المطلَّة على الزمن، والتي سيكون عنوانها: الحَرَب والهَرَب.

كثيرًا ما غالط كثيرون في تفسير المشروع الإيراني؛ على الرغم من سيره منذ عقود نحو غايات مشبوهة، وتحت رايات خداعة، وكثيرٌ أولئك الذين دافعوا عنه بالباطل وصوَّرُوه على أنه يمثل «مواجهة الاستكبار العالمي»، و«تحدي الشيطان الأكبر: أمريكا»، وأنه يمثِّل «مشروع المقاومة» التي تنكَّرَت لها كلُّ الأنظمة، وحاربتها أكثرُ الحكومات؛ حتى اكتشف الجميع أن القوم لم يقوموا إلا لإقامة مشروعهم الخالص لهم والخاص بطائفتهم، مهما تذرَّعُوا بالشعارات ورفعوا من لافتات. فحقيقة مقاومتهم

تقوم على مقاومة أهل السنة في كل الساحات وعلى جميع المستويات، إلا مَنْ أعطاهم أكثر مما أخذ منهم، فأمدهم بشرعية ومشروعية، مضطرًّا أو مختارًا.

مهدي الشيعة سيخرج - كما يزعمون - ثائرًا لمقتل الحسين، وقَتْلَتُه بالأمس سيُسْتَدْعَوْن من بطون التاريخ وأعماق القبور ليُقتلوا!!، وغريب تخصيص قتل الحسين بكل ذلك الغضب،مع أن مَن هو خير منه، وهو أبوه عليّ وعمه حمزة وأخوه الحسن قد قُتلوا - رضي الله عن الجميع - فلم يفعل الشيعة بشأن قتلهم شيئًا مما أغراهم به السبئيون، بل الراجح في السيرة والتاريخ أن جده رسول الله ﷺ قد قتله اليهود بالسُّمِّ، على يد اليهودية التي دسَّت له ذلك في كتف الشاة، فجمع الله له بين منزلة النبوة والرسالة والشهادة؛ومع ذلك لم يتوعد الشيعة اليهود بالثأر والرجعة كما فعلوا مع مَنْ زعموا أنهم قتلة الحسين!!

العجيب أن التشيع في عالم اليوم يحشد كل ميراث الغلِّ التاريخي والحقد الأزلي ضد من يصفهم بـ (أعداء أهل البيت)، في اصطفاف متزايد للدخول في أكبر وأطول وأجهل عملية ثأر في التاريخ، تحرِّكها جرائم مزعومة وحقوق موهومة، ظل الشيعة يكدسون بها مشاعر الكراهية، حتى رأوا أن الزمان قد أزف لتنفيسها بقرب قيام «القائم»! في أمر شديد القرب بأحلام اليهود في منتظرهم الموعود الذي ما أقاموا دولتهم إلا للخروج به من ضيق الضعف وتيه الانتظار؛ إلى سعة القوة والانتصار، منطلقين وراءه من «أورشليم» القدس التي عادوا إليها؛ ليعودوا بها إلى أمجاد أرض المعاد المزعومة، تحت قيادة مخلصهم الجبار الذين سيفنى ثلثا سكان العالم - في اعتقادهم - لتمهيد الدنيا لخروجه لقيادة العالم من الأرض المقدسة! في حرب (الهَرْمَجِدُّون) الأخيرة!

وهكذا الشيعة يريدون الانطلاق مع مهديهم من عاصمة مقدسة أخرى خاصة بهم، لينتقلوا بعد طول الانتظار إلى عصر (الظهور) على كل الأمم، بعد هرمجدون أخرى - شيعية - يفنى فيها ثلثا سكان الأرض، لتخلص تلك الأرض، لمهديهم وشيعته!

عاصمة الثقافة الخرافية:

دعا بعض علماء الاستراتيجية في الدولة الإيرانية بالأمس القريب إلى جعل مدينة (طهران) هي (أم القرى)[1]؛ بدلاً من مكة المكرمة، ولكن ذلك لا يمنع من تنادي علماء الشريعة عندهم بتجهيز مدينة (الكوفة) بالعراق لتكون عاصمة لدولة المهدي الذي قد أزف خروجه عندهم!

فالإشارات تنطلق في بعض الأوساط الشيعية المتنفذة لجعل الكوفة بالعراق عاصمة للشيعة في العالم؛ لأن رجلاً يُدعَى (اليماني الموعود) سيخرج بجيش من اليمن إليها، ليوطئ للمهدي سلطانه، ويقاتل أعداءه، ويُخرجهم منها، وعلى رأس هؤلاء الأعداء الرجل الذي يُدْعَى عندهم بـ(السفياني)[2] الذي سيخرج من الشام إلى العراق ليقاتل المهدي وأنصاره! وهم ينادون بجعل الكوفة عاصمة أيضًا؛ لأن رجلاً آخر سيخرج في وقت اليماني ذاته يدعى بـ (الخُرَاساني) - وهو إيراني - يقاتل لتمكين الشيعة وتجهيزهم لخروج المهدي!

---

(١) سيأتي الكلام عن (مشروع أم القرى).

(٢) السفياني: شخصية وردت بشأنها روايات شيعية كثيرة، وهو عندهم شخصية شريرة معادية للمهدي، وظهور السفياني الذي سيخرج من الشام، أو إلى الشام - كما يعتقدون - سيكون قبيل ظهور المهدي بزمن يسير، وسيقود جيشًا لقتال المهدي بمكة بحسب رواياتهم، وقد زعموا - وزعم بعض المجازفين في أهل السنة - في عهد صدام حسين أنه السفياني، واليوم يجزم الشيعة بأن السلفية الجهادية هي الرايات التي ستصاحب السفياني عدو المهدي، ويتعاملون معهم على ذلك الأساس! ولم يصحَّ في شأن السفياني حديثٌ في مصادر السُنة الموثوقة.

فمن هو ذلك اليماني؟ ومن ذاك الخراساني؟ وما مهامهما التي سيظهران لإنجازها؟ بل قبل ذلك ما هي مهام ذلك المهدي الشيعي الذي هم منهمكون منذ عقود في إجراءات «التعجيل» - نعم؛ التعجيل - بخروجه والتهيئة والتدبير لاستقباله؟ حتى إن عقيدة (خروج) المهدي عندهم كادت في عصرنا أن تتحول إلى عقيدة (استخراج) المهدي!

نذكر هنا أولاً مهام ذلك المهدي - في اعتقادهم - والتي سيخرج لها، وسيظهر على أعدائه - كما يدَّعُون - لأجل القيام بها، وهي مهام تشير كل الدلائل إلى أن أنصاره لم يعودوا يكتفون حيالها بالانتظار السلبي، بل صاروا منذ عدة أجيال يتحركون متعجلين نحو إظهار ذلك المهدي من ظهر الغيب! فمتى يظهر؟ وكيف يظهر؟ ولأجل ماذا سيظهر كما يزعمون؟!

مهام مهدي الضلالة عندما يخرج:

لن نجيب نحن، بل سندع مصادرهم القديمة ومرجعياتهم الحديثة تتكلم عن حديث تلك الفتن التي لن يخرج مهديهم لتهدئتها، ولكن لإشعال جذوتها! ففي مزاعمهم وتراهاتهم الجانحة أنه:

- **يجمع الشيعة في دولة لا مكان فيها لغيرهم.** حيث يروي إمامهم المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) عن أحد موالي الحسن بن علي أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]: (ذلك والله أن لو قدم قائمنا يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان)[١].

(١) بحار الأنوار (٥٢/ ٢٩١)، وتفسير العياشي (١/ ٦٦).

- **يحكم هذه الدولة على طريقة اليهود.** فقد روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله - جعفر بن محمد الصادق - أنه قال: (إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكَم بحكم داوود وسليمان ولا يسأل بينة)[1].

- **يُعمل السيف في جميع العرب الأحياء!** فقد روى المجلسي عن أبي عبد الله قال: (إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف)[2].

- **يُحيي أموات قريش بالمئات ليُعيد قتلهم.** ففي الإرشاد عن أبي عبد الله قال: (إذا قام القائم من أمة محمد عليه السلام؛ أقام خمسمائة من قريش فيضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى، حتى يفعل ذلك ست مرات)[3].

- **يقتل سَدَنة الكعبة - أمناء مفاتيحها - من بني شيبة، بعد أن يقطع أياديهم**[4].

- **يُحوِّل بيت الله الحرام إلى أنقاض، وينقل الحَجَر إلى مسجد الكوفة.** ففي كتاب الرجعة للأحسائي، وفي بحار الأنوار: «إن المهدي ينقضُّ البيت فلا يدعُ إلا القواعد»[5]، وفيه عن أبي عبد الله قال: (يا أهل الكوفة لا تذهب الأيام حتى يُنْصَبُ الحَجَرُ الأسود في مُصَلّاكم)[6].

---

(١) الكافي للكليني (١/ ٣٩٨).
(٢) بحار الأنوار (٢٢/ ٣٥٥).
(٣) الإرشاد للمفيد (ص: ٣٨٣)، بحار الأنوار (٥٢/ ٣٤٩).
(٤) الغيبة للطوسي (ص٢٨٢)، والإرشاد للمفيد (ص٤١١).
(٥) الأحسائي في كتاب الرجعة (١٤٨، ١٦٢).
(٦) بحار الأنوار (١٣/ ١٦٥).

- **يُكَسِّر مباني مسجد المدينة، ويُخرج الشيخين ويحرقهما.** فقد روى المجلسي عن أبي عبد الله أنه قال لأحد تلامذته: (أتدري أول ما يبدأ به القائم عليه السلام؟) قال: لا، قال: (يُخرج صنمين عظيمين فيحرقهما، ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد)[1].

- **يقيم الحد على أمِّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -.** فقد رووا عن أبي جعفر أنه قال: (أما لو قام قائمنا؛ لقد رُدَّت إليه الحُميراء - يعني عائشة - حتى يجلدها، وحتى ينتقم لأمه فاطمة)[2].

- **يُحيَا له أقوامٌ من الأموات لينصروه.** روى المفيد الطوسي بإسناده إلى أبي عبد الله أنه قال: (يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً من قوم موسى، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارًا).[3]

- **يَفنَى لأجل مجيئه ثلثا البشر، ولا يبقى بعد انتصاره إلا أنصاره.** فقد رووا عن أبي عبد الله قال: (لا يكون هذا الأمر حتى يهلك ثلثا الناس، فقيل له: «فإذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ قال: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي»[4]؟

---

(١) بحار الأنوار (٥٢/ ٣٨٦).

(٢) الإيقاظ من الهجعة (ص٢٤٤)، الرجعة (ص: ١٦١).

(٣) كتاب الإرشاد (٢/ ٣٨٦).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (١٣/ ١٥٦)، الغيبة للطوسي (ص: ٢٠٦).

■ **يتمنى من انتظروه أنهم لم يروه؛ لكثرة سفكه للدماء.** فيروون عن جعفر الصادق أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج؛ لأحبَّ أكثرُهم ألا يروه، مما يقتل من الناس، ولا يعطي إلا السيف، حتى يقول الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم)[1]!

إن تلك الآثار القديمة المروِّعة المخترعة وجدت تثبيتًا وتصديقًا ومساندةً، أراد أهلها بها أن يُثبِتوا الباطل بعد أن ألبسوه ثياب الحق، والحق أنهم يسيرون جميعًا على درب الذين اتخذوا دينهم هزوًا ولعبًا، فهم يلعبون ولكن بالنار والدمار، أما أمور الغيب - حتى ما صح منها - فلا تُصطنع ولا تُخترع، ولا تُستخرَج قبل أوانها باسم التعجيل أو التمهيد أو التهديد، وهيهات هيهات أن يُقدِّم ذلك قدرًا قبل موعده، فضلاً عن أن يُوجده.

معتقد أهل السنة في مهدي الحق والسنة:

هذا.. ولا نستطيع هنا تجاوز الكلام عن الضلالات المقترنة بمهدي الباطل والبدعة، دون أن نشير إلى المعتقد الصحيح في المهدي؛ كما يؤمن بها أهل الحق والسنة:

فالمهدي في المعتقد الصحيح؛ رجل صلاح وإصلاح، لا تدمير ولا تكفير، بل هو رحمة بالناس ونعمة للناس، يمثل امتدادًا للرحمة والنعمة التي أُرسل بها النبي ﷺ، الذي قال الله له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فقد كان صلى الله عليه سلم رحمة للمسلمين.. كل المسلمين، بل رحمة لكل العالمين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(١) كتاب الغيبة للنعماني (ص: ٢٣٣)، بحار الأنوار (٥٢/ ٣٥٤).

[الأنبياء:١٠٧]. وهكذا سيكون الذي يبعثه الله في آخر الزمان مُصلحًا من أهل بيته - عليه الصلاة والسلام - يكون رحمة للمسلمين والعالمين.

وقد أنبأ بخبر المهدي مَن أنبأه الله بالحق الذي كان وسيكون -صلى الله عليه وسلم-، فكان من ذلك الحق فيما مضى من الزمان دالاً على صدق ما أخبر به من الحق حتى آخر الزمان. وليس من العقل أو الدين ترك الحق لأن قومًا قد ضلوا في أصول دينهم وتفاصيل مذهبهم؛ فالحق أحق أن يُتبع.

الأحاديث المروية في مراجع أهل السنة عن المهدي بلغت حد التواتر، كما صرح بذلك جماعة من أهل العلم. قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية: "وقد كثرت بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدّ من معتقداتهم"، إلى أن قال: "وقد رُوي عمن ذُكر من الصحابة وغير من ذُكر منهم رضي الله عنهم، بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة"[1].

وقال الشوكاني: "والأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر، التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول..."[2].

وقد أنكر جماعة خروج المهدي محتجين بحديث "ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم"،

(١) لوامع الأنوار البهية، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني (٣/ ٨٤)..

(٢) التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والمسيح، ص٤، ٥.

وهو حديث رواه ابن ماجه والحاكم، لكنه ضعيف كما جزم بذلك جماعة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. [1]

ويعتقد أهل الحق والسنة، في المهدي المبعوث بالحق والسنة؛ أن خروجه في آخر الزمان من أشراط الساعة، فيملك سبع سنين، يملأ الأرض خلالها قسطًا وعدلاً، كما مُلئت قبل مجيئه جورًا وظلمًا، وتُخرج الأرض نباتها، وتُمطر السماء قطرها، ويفيض المال.

■ **وقد جاءت السنة ببيان اسمه وصفته ومكان خروجه، فمن ذلك:**

١- أن اسمه (محمد بن عبد الله) على اسم النبي - صلى الله عليه وسلم-؛ لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تذهب، أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[2] ، وفي رواية: "يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي". [3]

٢- أن صفته الخَلْقية؛ جاءت في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- له بقوله: (المهدي مِني أجْلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلئت ظلمًا وجورًا، يملك سبع سنين). [4]

٣- أنه من نسل فاطمة بنت محمد -رضي الله عنها - من ولد ابنها الحسن بن علي

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٨/ ٢٥٦).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٩٩) ح (٣٥٧٣) وصححه الألباني.
(٣) رواه أبو داود (١١/ ٣٧٠) وصححه الألباني.
(٤) رواه أبو داود ح (٤٢٦٥) والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٣٦).

بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة).[1]

٤- أنه إنسان صالح، مهديٌّ وهادٍ، ولكنه غير معصوم، مثله في ذلك مثل بقية الخلفاء الراشدين المهديين -رضي الله عنهم أجمعين-، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة)[2].

قال ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم: (أي: يتوب الله عليه، ويوفِّقه ويلهمه، ويرشده بعد أن لم يكن كذلك).[3]

٥- أنه يُبايَع له في مكة بعد أن يُطارد من أعدائه فيلجأ إلى البيت الحرام، فيقصده جيش ظالم، فيخسف الله بذلك الجيش بين مكة والمدينة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيُخرِجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيُبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدالُ الشام وعصائبُ أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام).[4]

وعن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) رواه أبو داود ح (١١/ ٣٧٣) وابن ماجه (٢/ ١٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٤).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٨) ح (٦٤٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجه للمسند. ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٦٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٦٣٥).

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، (١/ ٢٩).

(٤) رواه أبو داود ح (٤/ ١٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٢٤) دون ذكر الأبدال والبيعة.

(لَيَؤُمَّنَّ هذا البيتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخْسَفُ بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم، ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم)[1].

٦- أنه سيقيم الخلافة على منهاج النبوة حقًّا، كحال خلافة الخلفاء الراشدين، وسيكون معقِلها في الشام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل عبد الله بن حوالة: (يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك)[2].

٧- أن مبدأ ظهوره من جهة الشرق، ويبايع بعد فترة من القلاقل والفتن، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، ثم ذكر شيئاً لم أحفظه، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبْوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي".[3]

قال ابن كثير في البداية والنهاية: "والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويُبايَع له عند البيت، كما دل على ذلك بعض الأحاديث"[4].

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٨٣).

(٢) رواه أبو داود ح (٢٥٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٣٨).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤) والحاكم في مستدركه (٤/ ٥١٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال عنه الحافظ ابن كثير: وهذا إسناد قوي صحيح في كتابه النهاية في الفتن والملاحم، ص١٧.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، (١/ ٥٦).

٨- أن في زمانه ينزل مسيح الحق - عيسى ابن مريم -عليه السلام- بعد أن رفعه الله إليه كما دل القرآن؛ لما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم" [١].

وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"، قال: "فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة". [٢]

٩- أن الرخاء والسلام وسعة الرزق لأمة الإسلام كلها، تكثر في عهده، كما روى ذلك أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا. يعني حِججًا). [٣]

وقال ابن كثير أيضاً: "والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان، فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء، كما يزعمه جهلة الرافضة من وجوده فيه الآن، وهم ينتظرون آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا سنة

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح مسلم (٢٢٥).

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٥٥٧ - ٥٥٨) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٧١).

ولا معقول صحيح ولا استحسان" [1].

وقال ابن القيم في المنار المنيف: "ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه بجهلكم ما آنا؟!

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل". [2]

عقيدة التمهيد عند الشيعة.. والمُمَهدون المعاصرون:

تصوَّر رافضةُ العصر أنهم قادرون على تحويل مخترعات أمسهم المظلم إلى حاضر مشرق؛ عن طريق الاحتيال على عالم الشهادة بعد التلاعب بأخبار الغيب؛ فتكاثرت تصريحاتهم الدالة على أنهم يستلهمون روح (القائم القادم) في استدعاء كل ما هو غائب لفرض واقع جديد بالنار والحديد، في ديار الإسلام المبتلاة بهم وبغيرهم.

وقد كان الخميني يتعمد بعث اليقين في الشيعة بأن زمن المهدي قد أظلَّ العالَم، وأن استضعاف الشيعة قد أصبح شيئًا من الماضي، وكان يلحُّ على توكيد الصلة العضوية بين الثورة الإيرانية وبين ظهور المهدي، إلى درجة الربط بين هذه الثورة ودولتها وبين عصر الظهور، يقول فيها على سبيل المثال، لا الحصر:

- «أسأل الله أن تتصل ثورتنا بثورة إمام العصر سلام الله عليه السلام» [3].
- «أتمنى أن يحافظ هذا البلد على استقلاله إلى ظهور الإمام المهدي، لكي

(١) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، (١/ ٥٦).
(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية، ص١٥٢.
(٣) (المختارات)، من خطب وكلمات آية الله الخميني (٣/ ٤١) (خطاب بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٨٠م).

يضع جميع طاقاته في خدمة ذلك الرجل العظيم»[1].

- «أرجو أن تكون هذه الثورة شعلة إلهية، تنتهي بطلوع فجر الثورة المباركة لإمام العصر...»[2].
- «أتمنى من الله أن يوفقنا جميعًا، وأن نتقدم بالإسلام إلى الإمام حتى ظهور صاحب العصر (سلام الله عليه)»[3].

بل إن الخميني اعتبر أن قيام الثورة وانتصارها سيكون مقدمة لظهور المهدي وإقامة دولته، حيث يقول:

«إن ثورة إيران الإسلامية - بتأييد الله المنّان - في حالة توسُّع على مستوى البسيطة، وإن بسطها سوف يعزل القوى الشيطانية، إن شاء الله، ويهيّئ الأجواء لإقامة حكومة المستضعفين والحكومية العالمية للإمام المهدي صاحب الزمان»[4].

وقد اعتبر الخميني أن الدولة التي أقامها هي دولة المهدي، السائرة وفق تعاليمه، والممهِّدة لظهوره، تأكيدًا للترابط بينها وبين الحدث الكبير، وهي ظهور المهدي، وكثيرًا ما كان الخميني يردد عبارة «بلد الإمام المهدي»[5]؛ في الإشارة إلى الجمهورية الإيرانية.

وكان تبعًا لهذه الفكرة يشير إلى أن سكان هذه الجمهورية هم جيل «المنتظرين»

---

(١) المصدر السابق، (ص١٣٢) (خطاب بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٩٨١م).
(٢) المصدر السابق، (ص٦٤) (نداء بتاريخ ٢٩ رمضان١٤٠١هـ).
(٣) المصدر السابق، (ص٢٠٤) (خطاب بتاريخ ٩ ربيع الثاني١٤٠٢هـ).
(٤) المصدر السابق، (ص١٤١) (بيان بتاريخ ٧ محرم ١٤٠٢هـ).
(٥) المصدر السابق، (ص١٦٨) (برقية بتاريخ ١٥ صفر ١٤٠٢هـ)، والجزء الثالث، (ص ١٣٢) (خطاب بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٩٨١م).

للإمام المهدي، (الانتظار الإيجابي)، وفي هذا يقول: «ونحن المنتظرون لقدومه الميمون؛ علينا اليوم أن نسعى بكل طاقاتنا ليسود قانون العدالة الإلهية، في دولة صاحب العصر هذه».

و كان الخميني يؤكد على قرب الدولة والقائمين عليها والمناصرين لها من المهدي المنتظر، فهو يتابعها وهو في غيبته، ويطَّلع على شؤونها وتضحيات مجاهديها، يقول «اليوم يظللكم الإسلام... وولي العصر (عليه السلام) ينظر إليكم»[1].

وقد كان الخميني يظن في نفسه أنه هو (الخراساني) الإيراني الذي سيسَلِّم الراية للمهدي! فلما مات انتقل ذلك الاعتقاد لخليفته (الخامنئي)! الذي اعتبر نفسه في تصريحات له في ٢١/ ٧/ ٢٠١٠م أنه نائب الإمام المهدي، وأن طاعته واجبة باعتباره نائبًا عن المعصوم.

ومن أكثر من أظهروا القناعة بإمكانية صناعة الأحداث باتجاه التعجيل بقدوم المنتظر؛ الرئيس السابق (أحمدي نجاد) الذي كان يطمح لدولة مهدوية نووية، يكون هو رمزها الأبرز؛ حيث صرح في إحدى خطبه بأنه التمس بركات صاحب الزمان - المهدي - في موضوع الملف النووي، وحسب رأيه فإنَّ بعض البلدان ظلت نحو ربع قرن تسعى للحصول على الطاقة النووية، «أما الشعب الإيراني فإنه استطاع ببركة الإمام - وخلال سنتين أو ثلاثة - أن يحصل على التقنية النووية دون أن يقدم التزامًا أو تعهدًا لأحد»!.. وفي خطابٍ له أمام الأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠٠٥م قال: «إنه شعر بهالة من نور مقتبسة من الإمام الغائب تحيط به وهو يتكلم»!

(١) المختارات (١/ ٢٧)، (خطاب ٣ آذار ١٩٧٩م).

ولم يقتصر هوس التعجيل بخروج المهدي على «الممهدين الفرس»، بل زاحمهم في التصدر لأعمال التمهيد رموزٌ من الشيعة العرب، وخاصة من التيار الصدري بالعراق، حيث يُعدُّ شيعة العرب أنفسهم أصل التشيع، وقد شكَّل زعيمهم (مقتدى الصدر) إبان غزو العراق جيشًا أطلق عليه: (جيش المهدي)، وسمى جماعته (الممهدون للمهدي)، وكانت كل وظائف ذلك الجيش كما هو معلن: تمهيد الطريق لـ«صاحب الزمان» عبر ما كان يُعرف بـ(فرق الموت) التي لم تكن تستهدف غير المجاهدين السنة من مقاومي الاحتلال!

ومؤخرًا - وفي شهر أكتوبر ٢٠١٥م - صرَّح (مهدي طالب) رئيس مكتب (عمار الاستراتيجي) للحروب الناعمة التابع لمرشد الثورة أن الهدف الرئيس للثورة الإيرانية هو التمهيد والتحضير لظهور الإمام المهدي، واعتبر أن وظيفة الجيش الإيراني هي «تدريب القوات اللازمة لظهور المهدي؛ حتى يتمكن من إدارة العالم، والاستعانة بهذه القوات»!

وفي الآونة الأخيرة جرى الترويج للممهد «الأخير» الذي يُدعى في اعتقاد الشيعة الاثنا عشرية (الموعود اليماني)، وتنافس شيعة اليمن من الزيدية الحوثيين[1] المتحولين للمذهب الاثني عشري مع الشيعة العراقيين العرب في دعوى خروج (اليماني) من أرضها، وتصدر الدعوة لقرب ظهوره أو تحقق وجوده رجل الدين الشيعي المثير للجدل (علي الكوراني العاملي) صاحب كتاب (عصر الظهور)؛ حيث بدأ يروِّج في السنوات الأخيرة إلى اقتراب ظهور مهديهم بعد أحداث جسام تحدث في اليمن، تُتوِّج بخروج ذلك اليماني الذي يتزامن ظهوره وانتصاره مع ظهور المهدي في ذات العام!

(١) الحوثيون: سيأتي التعريف المفصل بهم.

وقد ألَّف كتابًا خاصًّا بذلك سماه (اليمانيون قادمون).

فمن هو ذاك اليماني الموعود؟ ومن أين يخرج - كما يزعمون -؟.. ولماذا يخرج؟ وما علاقة خروجه بما حدث وما يحدث في اليمن منذ أن ظهرت الحركة الحوثية؟ فقد احتضنتها أمريكا وإيران بعد أن أنشأتها وأهَّلتها لأن تصل إلى الاستيلاء بالقوة على أخطر أراضي اليمن، بما فيها العاصمة صنعاء، التي سقطت بأيديهم في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م!!

يذكرون عن الإمام أبي جعفر في وصف المهدي المنتظر (أنه يُنصَر بالسيف وبالرعب، وأنه لا تُردُّ له راية، وإن من علامات خروجه: خروجَ السفياني من الشام، وخروجَ اليماني من اليمن، وصيحةً من السماء في شهر رمضان، ومناديًا ينادي من السماء باسمه واسم أبيه)[1].

والذين لا يحبون - أو لا يريدون - أن يكون اليماني يمنيًّا؛ ينكرون العبارة المصرِّحة في الروايات بأنه «يخرج من اليمن»، ويقولون: هذا خطأ من الناسخ، أو اجتهاد خاطئ من الشارح، أو إنها دُسَّت لغرض سياسي!

ومن سلَّم بذلك قال: إن هناك أكثر من يماني، لكن يماني المهدي الذي وُصفت رايته بأنها (أهدى الرايات) سيخرج من العراق، أو على الأقل سيكون منطلق فتوحاته المهدة للمنتظر من العراق، وبالتحديد: جنوب العراق.

ويبدو أن مقتدى الصدر عدَّ نفسه الممهِّد الحقيقي للمهدي، مع جماعته التي سماها: «الممهدون للمهدي»!

---

(١) كتاب كمال الدين للصدوق (ص: ٣١٩)، والأثر مشهور مستفيض عند الشيعة، ولكن لا أثر له في مصادر السنة الموثوقة.

وبمقتضى ما عند الشيعة؛ فإن للمهدي ممهدين في آخر الزمان، هما (اليماني) من اليمن أو العراق، و(الخراساني) من إيران. وله عدو معاصر له ولهما، وهو السفياني الذي سيخرج من الشام، ويقاتل المهدي فيها وفي العراق.

وهم يعتقدون أن خروج اليماني والسفياني والخراساني يتم في وقت متزامن، وأن حركة اليماني ستستهدف الوصول إلى الكوفة بالعراق بجيش يريد تحريرها من استيلاء قوات السفياني عليها، وبعضهم يُلصق وصف الزيدية على من سيخرج ممهدًا للمهدي؛ حيث ينسبون للإمام الصادق قوله: «إن من علامات الظهور: خروج راية من المشرق وراية من المغرب، وفتنة تظل أهل الزوراء - بالعراق -، وخروج رجل من ولد عمي زيد باليمن»[1].

وفي كتب الشيعة يوصف اليماني أحيانًا بوصف «القحطاني»؛ إشارة إلى أصله اليمني.

أما (الخراساني) فيروون في وصفه عن أبي جعفر الصادق أنه قال: (يخرج من بني هاشم - بكفِّه اليمنى خال - من خراسان، برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياني فيهزمونهم)[2].

وبناء على هذا الوصف فقد شاع على مدًى واسع في الأوساط الشيعية الإيرانية في وقت من الأوقات أن مرشد الثورة (الخامنئي) هو الخراساني؛ لأن بلده هي مدينة خراسان في غرب إيران، ونظرًا لدعوى نسبه الهاشمي، ولأن بيمينه عجزًا؛ فقد قالوا: إنه المقصود، والمراد بـ«الخال» هو الخلل في يده! وكانوا يقولون أيضًا: إن (أحمدي

(١) سفينة البحار (٧/ ٤٧).

(٢) المصدر السابق (٥٢/ ٣٠٧).

نجاد) رئيس الجمهورية السابق الذي عمل تحت إمرته؛ هو (شعيب بن صالح) الذي جاءت الروايات بأنه سيكون من أشد أنصار المهدي، والوصف ينطبق عليه؛ لأنه رجل (صالح) له (شعبية)!!

ومن مبالغات المهتمين بشأن اليماني، وتنزيل أخباره على الوقائع الراهنة في اليمن؛ ذهاب بعضهم إلى أنه إذا كان خروجه علامة فارقة على ظهور المهدي، فإن ذلك اليماني نفسه له علامة ظهور، وهي وُجود من يُعرَف عندهم بـ «كاسر عينيه»! فهم ينسبون لأبي عبد الله (أبي جعفر الصادق) أن السفياني ذُكر عنده فقال: (أنَّى يخرج ذلك ولما يَخْرُج كاسر عينيه)، ويتأول المتعجلون للأمر «كاسر عينيه» بالرئيس اليمني السابق (علي عبد الله صالح) الذي كُسرت عيناه - كما يقولون - بأحداث الثورة اليمنية معنويًّا، أو كُسِرَت حسيًّا جراء التفجير الذي استهدف اغتياله على يد بعض خصومه السياسيين في صنعاء أثناء أحداث الثورة!

هذه الخرافات التي يعرف جميع العقلاء أنها خرافات، عن الخميني وخامنئي ونجاد، واليماني والخراساني، والسفياني، وعن التمهيد والممهدون، والمنتظر والمنتظرون، والتي تروَّج في أوساط على مستوى رئاسة الجمهورية وقيادة الثورة، وكبار القادة من سياسيين وعسكريين؛ تدل على ما للخرافة من سطوة على عقول القوم! وما لها من موقع في واقعهم المعاصر موصولة بماضيهم الغابر! وأن ما وراء كل ذلك من التربص والتحرش بأهل السنة؛ كله يشير إلى أن هؤلاء مصابون بداء الاستعلاء على الناس، حتى على خيار الناس من سادة الجنة بعد الأنبياء، وهم الصحابة رضوان الله عليهم.

وهو ما يدفعهم إلى الاستعجال واستنزال أخبار الساعة التي عبثوا بها على مَن شاءوا من الأحداث والأشخاص، وعلى المصائب الواقعة في الأمة، من التي شاركوا

في صنعها ثم أردوا توظيفها، كاحتلال العراق، واجتياح اليمن، واستفزاز أهل السنة في الشام وبلدان الخليج.

إن تلك العَجَلة، وذلك النزق في تنزيل أحداث قرب الظهور يعكسان تشوقًا - بل تحرُّقًا - للانتقام ممن يُدْعَون عند الشيعة بـ(العامة)؛ أهل عموم السنة، في مقابل الخاصة، وهم الشيعة! و(العامة) تعبير يستعمله دائمًا فقهاء الأزمة طوال أزمنة الشيعة، حين يعجزون عن ترجيح قولٍ في مسألة فيقولون: الراجح فيها «مخالفة العامة»؛ يعني السنة!.. وتعبير العامة هذا يكاد يطابق الوصف الذي يطلقه اليهود على (الأغيار) من غير اليهود الذين يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ويدعون غيرهم بـ(العوام)، وبالعبرية: (الجويم)!

استعجال الثأر من (العوام) جعل بعض العلماء والدعاة الشيعة يتداولون في الآونة الأخيرة أسماء أشخاص لتنزيل أخبار (اليماني الموعود) عليها، علمًا بأنَّ أخبار ذلك اليماني عند الشيعة لا تحدِّد له اسمًا، بل تحدِّد وصفًا.

فبعضهم يكاد يذهب إلى أنه زعيم الحوثيين (عبد الملك بن بدر الدين الحوثي) الذي طمع بعضهم أن يتعاظم أمره حتى يجتاح الجزيرة العربية، ويصل بجيشه للكوفة!

وبعضهم يقطع بأنه المدعو: «الإمام» (أحمد الحسن اليماني) الذي يعلن عن نفسه في جنوب العراق منذ الغزو الأمريكي وسقوط نظام صدام.

وآخرون يكتبون (اليماني الممِّهد للمهدي)، ويضعون صورة حسن نصر الله!! ويقولون: إن منطقة جبل عامل التي ينحدر منها نصر الله ترجع إلى قبائل يمنية هاجرت قديمًا!

وهناك من يحاولون الظهور بمظهر التعقل، وعدم التعجل فيقولون: دعُونا نمضي في تهيئة الأمر في اليمن؛ وسيكون أمر تعيين شخص اليماني بعد ذلك تحصيل حاصل!.. تماماً كما يقول اليهود والنصارى المختلفون في شأن تعيين شخص المسيح المنتظر؛ ولكنهم اتفقوا على التمهيد لخروجه؛ فإذا خرج يلحق بمن يشاء!

ويسخر من كل هؤلاء المدعو (ناصر محمد اليماني) الذي لا يدَّعي أنه اليماني الممهد للمهدي، بل يجزم بأنه هو المهدي نفسه!.. وله نشاط أخرق مُعلَن، وله مواقع وحسابات على الشبكة العنكبوتية باسمه ووصفه، يراسل من خلالها المسؤولين من رؤساء وملوك، ويدعوهم للدخول تحت طاعته قبل أن يأتيهم الهلاك!

إنَّ كلَّ ذلك يدل على حقيقة واضحة، وهي أن ظاهرة المهدوية السياسية في اليمن أو العراق أو إيران أو غيرها؛ يعيش أصحابها أجواء ما يسمى عندهم: (عصر الظهور)، ويتحدثون بما يشبه اليقين أنهم يعيشون الساعات الأخيرة من عمر الانتظار الذي طال لما يقرب من ألف ومئتي عام منذ غاب غائبهم في السرداب، وأن ذلك السرداب يوشك أن ينفتح منه الباب، باب الخروج من زمن الغيبة إلى زمن الظهور.

ويضرب بعض مروِّجي هذا الاستعجال آجالاً لقيام قائمهم لا تتعدى العام ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م. وهو أجل قريب من الموعد الذي ضربه مؤخرًا رموز الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية لهدم المسجد الأقصى عام ٢٠٢٠م؛ للبدء في بناء هيكل سليمان الثالث لاستقبال (عصر الخروج)؛ خروج موعود اليهود أو معبود النصارى الذي لن يكون أحدًا آخر غير المسيح الدجال!.. ولاشك أن الأجل عندما يمر دون تحقق أحلامهم؛ فإنهم يضربون آجالاً أخرى، يستهلك الشيطان بها آجالهم وأعمارهم في الباطل، مثلما كان الأمر مع المحمومين بحمى عام ٢٠٠٠م!

هل هناك علاقة بين هياج الشيعة ومن وراءهم، وهيام اليهود ومن في صفِّهم فيما تعلق بأحداث المستقبل القريب؟!

وبصيغة أخرى: هل هناك صلة أو تواصل بين شياطين الإنس والجن التي تخطِّط لزمن النهاية المزعوم، و(نهاية التاريخ) لدى أصحاب مشروعات الصهيونية اليهودية، والصهيونية المسيحية، والشيعية الفارسية على أرض النبوات والنبوءات؟

أمر يحتاج إلى تأمُّل، أو إعادة تأمُّل، أو بالأحرى: دراسة أو إعادة دراسة، خاصة وأن هناك عوامل تشارُك أو تقاسُم بين تلك المشروعات فيما يُستهدف من بقاع ومقدرات ومقدسات.

بين مقدسات الإسلام ومقدسات التشيع:

لا نريد أن نغادر الكلام عن عقائد الشيعة الدينية المحرِّكة لمواقفهم ومخططاتهم وخطواتهم السياسية والعسكرية، دون التعرض لموقع المشاهد والمراقد في معتقدهم، تلك التي يدَّعُون أنها (مقدسات) لا تقارن بالمقدسات التي ثبَت – عندنا أهل السنة – أنها حقًا مقدسة بالوحي المُنَزَّل كتابًا وسنَّةً، فتلك المراقد والمشاهد قد تبيَّن أنها يمكن أن تُخاض لأجلها حروب، وتُدبَّر لأجلها غزوات؛ لأن لها عندهم قدرًا ومنزلة، قد لا يستطيع استيعاب أبعادها الواقعية الفعلية إلا مَن يطَّلع على أُسسها الاعتقادية النظرية لديهم، ولا بد لمن يراقب خطط التوسع الشيعي، أن ينظر إلى خريطة المقدسات عندهم، التي تُعَدّ قبور ومشاهد الأئمة على رأسها، حتى إن ساستهم وقادتهم يتعهدون ببذل المستطاع للدفاع عنها، ولو بخوض الحروب المدمِّرة، فقد قال الرئيس الإيراني (حسن روحاني) في كلمة ألقاها في ٢٤ ديسمبر ٢٠١٤م بحشد من أهالي محافظة لرستان غربي إيران: «إن الشعب الإيراني سيقدم النفس والنفيس دفاعًا عن مراقد الأئمة الأطهار»،

وقد قال هذه الكلمة في سياق تبرير التدخل العسكري الإيراني في سورية بذريعة حماية قبر (السيدة زينب)[1]. وقد كان من أحد أسباب تواصل الحرب الإيرانية العراقية لثماني سنوات؛ تصميم الشيعة على «تحرير» المراقد في النجف وكربلاء وغيرها!

هذه التصرفات والمواقف تدل على ما للقبور والمشاهد والمراقد من منزلة دينية وأهمية سياسية عند الشيعة المعاصرين، لا تقلُّ عنها في معتقد الأقدمين؛ فالقبور والمراقد - وخاصة قبور الأئمة الأحد عشر - من حيث تقديسها، وزيارتها، وعمارتها وبذل (النفس والنفيس) لحمايتها؛ تتفوق في الأهمية - لدى الشيعة الإمامية - عن ركن الحج، فهي عندهم ضرورة لبقاء الأرض واستمرار الحياة واستقرار الكون! وقد يتساهلون مع مَن لا يصلِّي ويرتكب الموبقات، ولكن مَن لا يزور قبور الأئمة في اعتقادهم مفتونٌ ومشكوكٌ في دينه وإخلاصه.

قبور الأئمة.. مشاريع احتلال:

يمكننا استجلاء حقيقة قدر القبور والمشاهد والمراقد في دين الشيعة الاثني عشرية من خلال الآثار والأقوال التالية؛ لمراجعهم القديمة والجديدة:

فعن منزلة كربلاء والنجف ومراقد الأئمة فيها وفضيلة زيارتها:

■ روى الكليني عن أبي عبد الله - جعفر الصادق - أنه قال: (إن المؤمن إذا أتَى قبرَ الحسين عليه السلام يوم عرفة، واغتسل من الفرات، ثم توجَّه إليه،

(١) يدَّعي الشيعة أن قبر السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب هو الموجود بالمسجد الكبير باسمها بجنوب العاصمة السورية دمشق، ويدَّعي الصوفية بمصر أن قبرها هو الموجود في المسجد المسمى باسمها في القاهرة، وكلا المسجدين يقصدهما بالزيارة عشرات الآلاف في العاصمتين في آنٍ واحد! وخاصة في يوم مولدها الموافق للخامس من شهر جمادى الأولى من كل عام.

له بكلِّ خطوة حَجَّة بمناسكها - ولا أعلمه إلا قال - وعمرة)[1]!

- ويروون عنه أن رجلاً جاءه ولم يزر قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال له: (بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور مَن يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون)[2]!

- وفي كتاب (منهاج الصالحين) للخوئي المرجع الأكبر للإمامية في زمانه[3]: (تستحب الصلاة في مشاهد الأئمة عليهم السلام، بل قيل: إنها أفضل من المساجد. وقد ورد أن الصلاة عند عليٍّ بمائتي ألف صلاة)[4].

- وفي موضع آخر قبله، قال: (الصلاة في مسجد النبي ﷺ تعادل عشرة آلاف صلاة)! أي: إن الصلاة في مسجد النبي ﷺ دون الصلاة عند عليٍّ بعشرين مرتبة!!

- ويقول محمد صادق الصدر - والد مقتدى الصدر -: (وردت رواية بتفضيل كربلاء على البيت الحرام، ونحن نعلم أن عليًّا عليه السلام خير من الحسين كما نطقت به الروايات فيكون قبره خيرًا من قبره، فيكون أفضل من الكعبة أيضًا).[5]

- ينسب المجلسي إلى الإمام جعفر الصادق أنه قال: (إن الله أوحى إلى الكعبة: لولا تربة كربلاء ما فضَّلتُك، ولولا مَن تضمُّه أرضُ كربلاء ما خلقتُك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقرِّي واستقرِّي وكوني ذَنَبًا متواضعًا

---

(١) كتاب (كامل الزيارة) لابن قولويه القمي (ص: ٣١٧)، ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ص: ٨٩).
(٢) الكافي للكليني (٤/ ٥٧٩).
(٣) منهاج الصالحين للخوئي (مسألة: ٥٦٢).
(٤) منهاج الصالحين للخوئي (مسألة: ٥٦١).
(٥) كامل الزيارات (ص: ٤٤٤).

ذليلاً مهينًا غير مستنكِف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم)[1].

- ويُطلق إمامهم (الحائري) على مسجد الكوفة: (مزار المسلمين وكعبة الموحدين)[2]! ولا بد من إظهار الحب لهذه القبور، وإظهاره بأن يزور قبر الحسين أو قبر الرضا أو أحد من الأئمة، ويأخذ صكوك المغفرة والرضوان والجنة، ففي مروياتهم أن زيارة قبور الأمة الأحد عشر، طريق سهل إلى جنة الخلود.

- في الإرشاد للمفيد: (زيارة الحسين - أي: قبره - تعدل مائة حجة مبرورة ومائة عمرة متقبَّلة)، ونسبوا كذلك إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (من زار الحسين بعد موته فله الجنة)[3].

- والبُكاء على الحسين عند عدم التمكن من زيارة قبره؛ ينوب عن الزيارة، فيروون عن باقر بن زين العابدين أنه قال: (لا يُخرج قطرة ماء بكاءً على الحسين إلا ويغفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر)[4].

- وفيه أيضًا (من بكى على الرضا فله الجنة)، ونقلوا عن الباقر أيضًا أنه قال: (ما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من ماء إلا حرَّم الله تعالى جسده على النار)[5].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) أحكام الشريعة (١/ ٣٢).
(٣) الإرشاد للمفيد (ص: ٢٥٢).
(٤) (جلاء العيون) للمجلسي (٢/ ٤٦٨).
(٥) المصدر نفسه.

- وأما من زار قبر الرضا فينقلون عن ابنه محمد الملقَّب بالجواد - الإمام التاسع عندهم - أنه قال: (من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فإذا كان يوم القيامة وُضع له منبر حذاء منبر النبي ﷺ حتى يفرغ الله من حساب العباد)[1].

- وقد بالغ (ابن بابويه) في الكذب - حتى على المذهب - حين ذهب إلى أن زيارة قبر الإمام الرضا أفضل من زيارة قبر الحسين نفسه، فبالرغم من أنه ذكر في الإرشاد: (أن زيارة قبر الحسين تعدل مائة حجة، إلا أنه قال عند كلامه عن زيارة الرضا أنها تعدل عند الله ألف حجة)[2]، وأكثر من ذلك أنه قال: (زيارة قبره أفضل من بيت الله العتيق)[3].

- وتمتد وعود الجنة لَمن زار قبور الأولاد والبنات إلى الأحفاد وأحفادهم، فيروي الشيعة عن سعد بن سعد أنه قال: (سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن زيارة فاطمة بنت موسى بن جعفر(بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب) عليهم السلام فقال: من زارها فله الجنة).![4]

ومرجعيات الشيعة المعاصرون لا يقلُّون ترديدًا للكذب على الله ورسوله من المرجعيات القديمة، فهم يردِّدون افتراءاتهم على أنها وحي مُنزَّل، ودين مُتَّبَع؛ فقد أورد «آية الله» الخميني في كتاب (كشف الأسرار) رواية منسوبة إلى الإمام جعفر، أنه سُئل: (ما هو أجر من يزور أمير المؤمنين، ويبني قبره؟

---

(١) (عيون أخبار الرضا) (٢/ ٢٥٩).
(٢) عيون أخبار الرضا (٢/ ٢٥٧).
(٣) جلاء العيون (٢/ ٢٦١).
(٤) عيون أخبار الرضا (٢/ ٢٦٧).

فقال: لقد روى أبي عن جده الحسين بن علي بأن الرسول قال لأبي: (إنك ستنتقل إلى العراق وتُدفن في أرضه. فقال: يا رسول الله، وما هو أجر من يزور قبورنا ويقيمها ويجدِّد العهد معها؟

فقال: يا أبا الحسن! إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعة من بقاع الجنة، وصحنًا من صحونها، وإن الله أدخل في قلوب المختارين من خلقه حبّكم، وجعلهم يتحملون الأذى والذل من أجلكم، ويقومون بإعادة بناء قبوركم، ويأتون لزيارتكم تقربًا إلى الله وزلفى إلى رسوله، وهؤلاء مشمولون بشفاعتي. يا علي! إن مَن يبني قبوركم، ويأتي إلى زيارتها يكون كمن شارك سليمان بن داوود في بناء القدس، ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وتُمحى خطاياه، ويصبح كمن ولدته أمه توًّا. إنني أبشِّرك بذلك، وبشِّر أنت محبيك بهذه النعمة التي لم ترها عين، ولم تسمع بها أذن، ولم تطرأ على بال أحد، ألا إن هناك توافه من الناس يلومون زائري قبوركم كما يلومون المرأة الزانية؛ إن هؤلاء هم أشرار أمتي، والله لا يشملهم بشفاعتي)[1].

وينقل الخميني في كتابه (تحرير الوسيلة) أن (تربة كربلاء تخرق الحُجُب السبعة، وترتفع على الأرضين السبع، وهذه الخاصية ليست لشيء، حتى قبر النبي[2]).

والقول نفسه يكرِّره عن التربة التي دُفن فيها عليٌّ، والمسماة (التربة الحيدرية) في أرض النجف. وأما عن زيارة قبر عليٍّ؛ فيقرر «آية الله» الخميني أن ثواب الزيارة أو إقامة التعزية تعادل ثواب ألف نبي أو شهيد[3].

(١) كشف الأسرار للخميني (ص: ٨).
(٢) تحرير الوسيلة للخميني (١/ ١٤١).
(٣) كشف الأسرار (١٩٢، ١٩٣).

أين تقع قبور الأئمة الاثني عشر؟

بحسب ما يعتقده الشيعة فإن قبور أئمتهم تقع في المناطق والبلدات الآتية:

- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مدفنه بمدينة النجف بالعراق، ويدعي شيعة أفغانستان أنه مدفون عندهم في بلدة مزار شريف.
- الحسن بن علي - رضي الله عنه - مدفنه بالبقيع بالمدينة المنورة.
- الحسين بن علي - رضي الله عنه - مدفن جسده بمدينة كربلاء بالعراق. ورأسه يقول بعضهم في مصر، ويقول آخرون بالشام.
- عليّ بن الحسين زين العابدين - رحمه الله - مدفنه بالبقيع بالمدينة المنورة.
- محمد بن علي الباقر - رحمه الله - مدفنه بالبقيع بالمدينة المنورة.
- جعفر بن محمد الصادق - رحمه الله - مدفنه بالبقيع بالمدينة المنورة.
- موسى بن جعفر الكاظم - رحمه الله - مدفنه بالكاظمية ببغداد.
- علي بن موسى الرضا - رحمه الله - مدفنه بمدينة مشهد بخراسان في إيران.
- محمد بن علي الجواد - رحمه الله - مدفنه بالكاظمية ببغداد.
- علي بن محمد الهادي - رحمه الله - مدفنه بسامراء بالعراق.
- الحسن بن علي العسكري - رحمه الله - مدفنه بسامراء بالعراق.
- أما الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن أو (المهدي المنتظر)؛ فهو عندهم حيٌّ يُرزَق، ينتظرون ظهوره، ويقولون: إن الحسين بن علي - الذي سيرجع إلى الدنيا - سيتولى دفنه!

وقد مر أن قبور بقية آل البيت رجالا ونساء، لها منزلة عظيمة أيضا في دين الشيعة.

وأردت أن أشير بهذه الأمور الاعتقادية عندهم؛ إلى أن الأماكن التي بها تلك المشاهد والمراقد والقبور؛ لن يكون للمشروع الشيعي أيّ أهمية دون فرض السيطرة التامة عليها. وهو ما يفسِّر استماتتهم في التغلغل والتسلل للعراق سابقًا، ولو على أكتاف اليهود والنصارى الذين قرروا غزو العراق، وهو ما يفسِّر ما فعلوه، وما يمكن أن يفعلوه للوصول إلى فرض السيطرة على المدينة المنورة، وغيره من الأماكن التي تضم العديد من المراقد التي يقدِّسونها، ويتعاهدون على إعادة تشييدها.

من تأمل ما تُمليه عقائد الشيعة من خطط وخطوات تجاه الحرمين الشريفين عندما يخرج مهديهم - كما مرَّ ذكره - ويقارن ذلك بما يكنونه من الغلو التخريفي التحريفي في المشاهد والقبور، يدرك أن مشروع القوم التطبيقي العملي؛ لابد أن يقوم على ذلك البُعد الاعتقادي النظري، فإذا كانوا قد سعوا بكل ما يستطيعون إلى استعادة الهيمنة على المناطق التي بها مقدَّساتهم القبورية في المنطقة العربية - وخاصة العراق - فإنهم يسعون بالقدر نفسه للوصول إلى مقدساتنا ومقدسات كل المسلمين في مكة والمدينة؛ لتمهيد الطريق لمهديهم، كي ينفِّذ فيها خرافاتهم.

حفظ الله المدينة ومكة وبيت المقدس، وطهرها وغيرها من الشر والشرك والمكر. آمين.

الأقصى عندهم..لا يُقصد، ولا يُوجد!

مع ما للقبور والمراقد من منزلة في اعتقاد الشيعة؛ فإن المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؛ والذي أسرى الله بنبيه إليه من المسجد الحرام بنص القرآن، فمراقدهم أفضل منه، وهو في اعتقادهم لا يُوجد في فلسطين، بل لا يوجد على الأرض أصلاً! فهم

يدَّعُون أن كلمة (أقصى) لا تتوافق مع مكان وجود بيت المقدس الكائن في فلسطين؛ حيث إن كلمة (أقصى) تعني البعيد؛ وحيث إن بيت المقدس بعيد عن أهل الحجاز - كما يقولون - فلا بد أن يكون بعيدًا عن أهل الشام، ويُفلسِفون الأمر فيقولون: إن القرآن الكريم الذي بهَر العالم ولا يزال ببلاغته؛ لا بد أن يُعطي الأقصى صفة متوازنة بين الناس؛ حيث إنه بعيد عن أهل الأرض جميعًا بنفس التوازن[1]!..

ويتساءل علماؤهم الجهال: «إذا كان بيت المقدس الكائن بفلسطين على هذه الدرجة من الأهمية؛ فلماذا لا نجد أيَّ مديح له من أهل البيت عليهم السلام!! بل نجد العكس؛ وهو أنهم - صلوات الله عليهم - تحدثوا عن أن مسجد الكوفة أهم منه بكثير»[2].

---

(١) للمفسر الطاهر بن عاشور - رحمه الله - كلام لطيف ودقيق في معنى الأقصى، بتفسيره (التحرير والتنوير) حيث قال في تفسيره لأول سورة الإسراء: (والأقصى، أي الأبعد، والمراد بعده عن مكة، بترينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة= =هذا الإسراء وكونه خارقًا للعادة؛ لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة. وبهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علمًا بالغلبة على مسجد بيت المقدس كما كان المسجد الحرام علمًا بالغلبة على مسجد مكة. وأحسب أن هذا العَلم لهو من مبتكرات القرآن، فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف، ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء. ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ. وفي هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خفية من معجزات القرآن إيماء إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ. فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضلة في الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتي بينها قول النبي ﷺ: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي.

(٢) أمثال الشيعي الخبيث (ياسر الحبيب) الذي يقول على موقع القطرة التابع له: «لا نجد في روايات أئمتنا - عليهم السلام - ما يوحي بأن لبيت المقدس تلك الخصوصية الاستثنائية العالية، كما نجدها للمسجد الحرام أو المسجد النبوي أو مسجد الكوفة، أو الحرم الحسيني، بل نجد أن شيخنا الكليني - رضوان الله تعالى عليه - عندما يعقد في كتابه الكافي فصلاً في ذكر فضل المساجد التي حث الأئمة - عليهم السلام - على زيارتها والصلاة فيها، فإنه يذكر مساجد كثيرة؛ من بينها مسجد قباء، ومسجد=

وهذه بعض الروايات التي يستندون إليها في نفي الفضائل عن المسجد الأقصى وتفضيل (مسجد الكوفة) عليه:

■ ففي بحار الأنوار أن رجلاً أتى عليًّا فقال: يا أمير المؤمنين إني تزوَّدت زادًا، وابتعت راحلة، وقضيت حوائجي، وأنطلق إلى بيت المقدس، فقال له: (انطلق فبع راحلتك، وكُلْ زادك، وعليك بمسجد الكوفة، فإنه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه تعدلان كثيرًا مما سواه من المساجد، والبركة منه على رأس اثني عشر ميلاً من حيث ما جئته، وقد ترك من أُسِّه ألف ذراع ومن زاويته فار التنور، وعند الأسطوانة الخامسة صلى إبراهيم الخليل، وصلى فيه ألف نبي وألف وصي، وفيه عصا موسى وخاتم سليمان وشجرة يقطين، ووسطه روضة من رياض الجنة، وفيه ثلاثة أعين يزهرن: عين من ماء، وعين من دهن، وعين من لبن، تُذهب الرجس وتطهِّر المؤمنين، ومنه يسير جبل الأهواز، وفيه صلى نوح النبي عليه السلام، وفيه أُهلك يغُوث ويعُوق، ويحشر يوم القيامة منه سبعون ألفًا ليس عليهم حساب ولا عذاب، في جانبه الأيمن ذكر، وجانبه الأيسر مكر، ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوًا). [1]

=الأحزاب، ومسجد الفضيخ، ومسجد الفتح، ومسجد الغدير، بل وحتى مشربة أم إبراهيم، هذا فضلاً عن مسجد السهلة، ومسجد الكوفة، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، ووسط كل هذه الروايات لا تجد هناك رواية واحدة يرويها الكليني في فضل مسجد بيت المقدس»!! وهذا الشخص شيعي كويتي، مقيم في بريطانيا بعد حصوله على حق اللجوء السياسي فيها، بعدما صدرت ضده أحكام في الكويت بتهمة إثارة الفتن الطائفية. وهو خريج كلية العلوم السياسية بالكويت، وتلقى علومه الدينية من أبيه الروحي: المرجع الديني المتعصب (صادق الشيرازي) المقيم بمدينة قم.

(١) بحار الأنوار (٩٧ / ٣٩٤ - ٣٩٥).

■ وفي الكافي للكليني يروون عن أبي عبد الله - جعفر الصادق - أنه قال: (جاء رجل إلى أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فقال: جُعلت فداك! إني أردت المسجد الأقصى فأردت أن أسلم عليك وأودعك، فقال له: وأي شيء أردت بذلك؟ فقال: الفضل جعلت فداك، قال: فبع راحلتك وكل زادك وصلِّ في هذا المسجد؛ فإن الصلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة، والنافلة عمرة مبرورة، والبركة فيه على اثني عشر ميلاً، وصلى فيه سبعون نبيًّا، وسبعون وصيًّا، أنا أحدهم، وقال بيده في صدره ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج إلا أجابه الله وفرَّج عنه كربته[1].

وقريبًا من ذلك وردت القصة في كتاب وسائل الشيعة.

ولا يكتفي أئمة الشيعة وعلماؤهم بالافتراء واختراع الآثار والأحاديث التي تدعم دعواهم؛ بل يتقولون على الله بتفسير آيات كتابه على حسب ما يذهب إليه مذهبهم.

جاء عن عالمهم المفسر (الفيض الكاشاني) في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] «أي: إلى ملكوت المسجد الأقصى الذي هو في السماء، كما يظهر من الأخبار»، وأتبع ذلك القول بهذه الرواية: روى القُمي عن الباقر عليه السلام أنه كان جالسًا في المسجد الحرام، فنظر إلى السماء مرة وإلى الكعبة مرة، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وكرر

(١) الكافي للكليني (٣/ ٤٩١ - ٤٩٢).

ذلك ثلاث مرات، ثم التفت إلى إسماعيل الجُعفي فقال: أي شيء يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قال: يقولون: أُسري به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، فقال: ليس كما يقولون، ولكنه أُسرِي به من هذه إلى هذه، وأشار بيده إلى السماء، وقال: ما بينهما حرم»[1].

وقد تجرأ إمام الجمعة في مدينة مشهد الإيرانية المدعو «آية الله» أحمد علم الهدى، في خطبة له في ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٩م، ودعا إلى اتخاذ مدينة مشهد (قبلة المسلمين) بدلاً من مكة - كما ذكرت صحيفة الشرق الأوسط في وقتها -، وقال في خطبته التي نقلتها وكالة (فارس) الإيرانية للأنباء: «إن بلاد الحجاز أصبحت ضحية للوهابية، والعراق محتلَّة من الكفرة والمغتصبين، لذلك فإن مدينة مشهد المقدسة وحدها يمكن أن تكون قبلة للمسلمين...».

وأضاف أنه يزور (مشهد) سنويًّا ٨٠٠ ألف زائر من الخارج و٢٠ مليون زائر من داخل إيران على مدار العام، وذكر أن مشهد تُعتبر عاصمة روحية ودينية حتى قبل وجود الإمام الرضا - ثامن أئمة الشيعة - زاعمًا أن النبي محمدًا ﷺ اعتبرها نقطة روحية ومركزًا لنشر تعاليم الدين!

وهناك علماء شيعة معاصرون، لا يستنكفون عن نقل العقائد الكفرية في تفضيل مسجد الكوفة على المساجد الثلاثة، ومن هؤلاء عالم شيعي له كتاب مشهور ومقدَّر عند بقية علماء الشيعة، وهو المدعو (آية الله جعفر مرتضى الحسيني العاملي)، وكتابه هذا سماه: (الصحيح من سيرة النبي الأعظم) ومؤلفه تلقى علوم التشيع في النجف

(١) تفسير الصافي للكاشاني (٣/ ١٦٦).

بالعراق عام ١٩٦٢، ثم استكمل دراسته في مدينة (قُم)ليعود بعد ذلك إلى مسقط رأسه في جبل عامل بجنوب لبنان عام ١٩٩٢م، في تنقُّل دائم بين لبنان والنجف وقُم وطهران.

يقول مؤلف هذا الكتاب في الجزء الثالث منه: «حين دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس لم يكن هناك مسجد أصلاً، فضلاً عن أن يسمى أقصى، وأن المسجد الأقصى الذي حصل الإسراء إليه، والذي بارك الله حوله هو في السماء الرابعة في البيت المعمور، وقد تناولنا إثبات ذلك تفصيلاً في كتابنا (المسجد الأقصى أين؟)».

واستدل المؤلف على قوله المنكر الشاذ بكلام المرجعيات الشيعية الكبرى، وكتبهم المعتبرة عندهم، وعلى رأسهم المجلسي في كتابه (بحار الأنوار).

واستند صاحب الكتاب إلى أقوال جمع كبير من المرجعيات الشيعة في أقوالهم؛ مثل كتاب الصافي للفيض الكاشاني. وصاحب كتاب (تفسير نور الثقلين) لعبد علي ابن جمعة العروسي الحويزي، وصاحب كتاب (تفسير العياشي) ومحمد بن عياش السُلمي السمرقندي. وهاشم البحراني في كتاب (البرهان في تفسير القرآن) وسلطان محمد الجنابذي الملقَّب بسلطان عليِّ شاه في كتابه (بيان السعادة في مقامات العبادة)، وكذا كتب (بحار الأنوار) لمحمد باقر المجلسي. و(منتهى الآمال) لعباس القُمي. و(كامل الزيارات) لابن قولوبه. و(الكافي) للكليني. و(علل الشرائع) لمحمد ابن بابويه القُمي.و(المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات) لتقي الدين الكفعمي.

وقد ذكر الكاتب رواية للمجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار: «عن أبي عبدالله جعفر الصادق قال: سألته عن المساجد التي لها الفضل. فقال: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، قلت: والمسجد الأقصى جُعلت فداك؟ قال: ذاك في السماء، إليه

أُسري برسول الله، فقلت: إن الناس يقولون: إنه بيت المقدس فقال: مسجد الكوفة أفضل منه)[1].

وقد كرَّمت الجمهورية الإيرانية - التي تدَّعي ليل نهار دفاعها عن فلسطين والقدس والأقصى - صاحب ذلك الكتاب، وأهداه الرئيس الإيراني السابق (أحمدي نجاد) جائزة (الفارابي) الممنوحة من وزارة العلوم والأبحاث والتقنية بإيران في شهر أكتوبر ٢٠٠٩م.

المقدسات وسقوط طاقية التقية:

يظهر مما سبق أن موقف الشيعة الاثني عشرية من المقدسات تحكمه الحقائق التالية:

- أن للشيعة الإمامية مقدساتهم الخاصة بهم، وهي لا تستمد قداستها إلا من مقولات الكذب على ألسنة مرجعياتهم القديمة والجديدة.
- أن المساجد الكبرى الثلاثة التي تطوَّرت أوضاعها في عصور غيبة إمامهم ليست ذات شأن عندهم، لا في الأمس ولا اليوم ولا غدًا؛ لأنه لا علاقة لأئمتهم بها، ولا دور لهم - كما يرون - في تعميرها، ولا تقديم شأنها.
- أن نظرة الشيعة الدونية لمقدسات المسلمين ومساجدهم الثلاثة؛ تمثل انعكاسًا للنظرة الدونية لأصحاب القرون الأولى المفضلة، فضلاً عمن جاء بعدهم، فالصحابة والتابعون وتابعوهم في عصور الخلافة المتتابعة - وهم الذين يعاديهم الشيعة ويبغضونهم - هم الذين قاموا بتعمير تلك المساجد وتوسعتها، وكانوا سببًا في حفظها على الوجه المغيظ للشيعة.

---

(١) بحار الأنوار(٩٧/ ٤٠٥).

فالمسجد الحرام جرت توسعاته كلها في ظلال دول الخلافة الإسلامية السُنية التي لا يعترف الشيعة بواحدة منها، وفي مقدمتها الخلافة الراشدة، لذلك سوَّلت لهم شياطينهم تهوين أمرها، وسوَّغت التنقيص من شأنها، تفريعًا عن تحقيرهم للصحابة ومن بعدهم من الذين عمروا تلك المساجد وعظَّموها على غيرها. ولذلك فإن الشيعة ينتظرون من مهديهم المنتظر أن «يصحِّح» أوضاع تلك المساجد إذا خرَج؛ بالطرق المذكورة آنفًا في مصادرهم، كسرًا وهدمًا ونبشًا وإذهابًا للهيبة!!

وقد زيَّنت الشياطين أمام الشيعة أحلام التخلص من كل آثار تعمير المسجد الحرام على مر العصور، بدعوى إعادته إلى الأسس التي بُني عليها أول الأمر! وأما المسجد النبوي الذي لا يكادون يطيقون دخوله، لوجود قبري أعدى أعدائهم فيه - وهما أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بجوار القبر النبوي الشريف، فإنهم يشتاقون لليوم الذي سيخرج فيه مهديهم المزعوم، ليخرج جسديهما ويحرقهما!!

وأما المسجد الأقصى الذي فتحه عمر - عدوُّهم الأول - ثم حرَّره صلاح الدين الأيوبي - عدوُّهم الثاني -؛ فإن الشيعة لا يعترفون بأصل وجود ذلك المسجد، فيغالطون ثوابت الدين ووقائع التاريخ وحقائق الجغرافيا، بل ومسلَّمات العقل؛ فينفون وجوده في فلسطين، بل ينفونه عن الأرض كلها؛ زاعمين أنه في السماء الرابعة!

فإذا كان هذه هو مقام ومكان المقدَّسات التي نزل الوحي الخاتم بتعظيمها وتحريمها عند الشيعة؛ فماذا تساوي حرمات البشر العاديين في عصرنا من أهل السنة في جنبها؟! وهم الذين اعتقدوا كفرهم، واعتنقوا حِل أذاهم، وتمنوا أن يعجِّل الله مجيء مهديهم الضالّ لينتقم منهم، ويقيم بنيان التشيع على رفاتهم وأنقاضهم؟!..

إن استباحة أرواحهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم ستكون أهون بكثير من استباحة الحرم في مكة أو المدينة أو المسجد الأقصى الذي خدعوا الأمة بدعوى تحريره!

أي حرمة تبقى للمسلمين؟!

إذا كانت نوايا القوم تجاه الحرمين الشريفين تتجه نحو الاستباحة بعد الاجتياح إذا تمكنوا منهما؛ فماذا عن حرمات (العامة) من المسلمين أو «النواصب» في نظر عميان البصيرة هؤلاء؟! وما نظرتهم لتلك الحرمات من أنفس ودماء وأموال وأعراض..؟! ماذا عن حرمة المسلم التي هي أعظم عند الله من حرمة الكعبة، كما صح الحديث بذلك؟[1]

لا مكان لعامة أهل السنة ولا مكانة عند الشيعة ما لم يدخلوا في مذهب التشيع؛ اختيارًا أو إجبارًا، فالمشروع الإيراني هو مشروع معادٍ لهم قبل غيرهم، ما داموا على مذهبهم، وهذا أمر عجيب من بشر يدعون الإسلام، فعندما يقوم لليهودية الصهيونية مشروع يقوم على العداء التاريخي والكراهية المزمنة للعرب والمسلمين ولو بالتحالف مع الوثنيين والمشركين؛ فذلك أمر مفهوم، نبَّه عليه الوحي المعصوم منذ زمن التنزيل في قول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

---

(١) وهو الذي رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك! وأطيب ريحك! وما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به خيرًا» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٣٤٢٥).

وأيضًا عندما تتبارى طوائف من النصارى معهم في ذلك العداء وتلك الكراهية؛ فهذا في التاريخ أمر معلوم وغير غريب على الفهوم، خاصة وأن القرآن أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

أما ما تحار فيه بعض العقول، ويَستعصي استيعابه على كثير من الأفهام؛ فهو أن ينافس هؤلاء في شدة العداء طائفةُ الشيعة التي تدَّعِي صحيحَ الإسلام وخالصَ الإيمان، وترفع الشعارات الإسلامية والشارات الاعتقادية، لا بل النضالية الثورية اللابسة زورًا ثوب إقامة الدين ونصرة المستضعفين نيابةً عن سائر المسلمين!

لقد اتخذ أصحاب المشروع الإيراني من عموم المسلمين - الذين يمثل أهل السنة سوادهم الأعظم وغالبيتهم الكبرى - العدوَّ الأول، والأوْلى بالمحاربة؛ فهم في فهمهم الأعداء الذين تهون أمام عداوتهم كلُّ العداوات، وتُقبل من أجل إذلالهم وتفريقهم كلُّ التحديات وسائر التحالفات.

إن ازدراء أهل السنة عمومًا من الناحية المذهبية، واحتقار العرب منهم خصوصًا من الناحية القومية والعنصرية؛ هو قصة الموقف التاريخي الشيعي في صيغته الإيرانية الفارسية المعاصرة.

ولذلك كان دين الرافضة الشيعة وديدنهم - ولا يزال - إنزال الأذى بأهل السنة، الذين يصفونهم بـ(النواصب) ليناصبوهم العداء! والمطَّلع على كمِّ الكراهية والبغضاء الذي يكنُّه بل - يُظهره - هؤلاء تجاه أفضل البشر بعد الأنبياء - وهم الصحابة رضوان الله عليهم - يمكنه أن يتصور بعد ذلك كم هو مقدار البغض والعداء والازدراء لمن هم أدنى منهم في المنزلة، وهم عموم المسلمين السائرين على نهجهم في العصور المتتالية وحتى عصرنا هذا، بل وأتباعهم مستقبلاً من المتوعَدين بشعار التهديد والوعيد

المشهور: (يا ثارات الحسين!)[1].

وفي حين يزعم أنصار المشروع الإيراني تعظيم الرسالة وتعزير الرسول ﷺ يبالغون في أذى أُمته، ولا يستثنون خاصته من أقرب بطانته وألصق الناس به، بل حتى أزواجه أمهات المؤمنين - رضي الله عنهنّ أجمعين - ما نجونَ مِن التُّهَم التي كِيلت ولا تزال تُكال لهنَّ ذات اليمين وذات الشمال.

إن جمهور الصحابة عندهم مرتدُّون، إلا بضعة عشر من أنصار علي - رضي الله عنه -! فماذا يكون شأن «المساكين» مثلنا ومثل بقية المسلمين؟! ولقد علم كلُّ ذي عقل ودين أن طعن الشيعة في حَمَلَة الرسالة من الصحابة هو طعنٌ في الرسالة نفسها، وطعن في المبلِّغ بها ﷺ؛ إذ كيف يكون أمناؤه وأصدقاؤه وأحبَّاؤه من الخائنين وهو لا يَعرِف أو يُعرِّف؟! وكيف يتنزل القرآن عليه بالثناء عليهم، دون أن (يُكتشَف) أنهم «سيرتدون» بعد حين؟!

إن الشيعة الاثني عشرية - كما مر البيان - لم يستثنوا من جيل الصحابة العظيم ومن حواريي الرسول الكريم ﷺ إلا بضعة عشر شخصًا، واختاروا من بينهم بضعة أشخاص من أهل البيت، بالغوا في رفعهم والغلو فيهم حتى رفعوهم إلى منزلة الملائكة

(١) (يا لثارات الحسين) شعار يرفعه الشيعة تعبدًا، ويتنادون فيه وبه للأخذ بثأر الحسين بن علي - رضي الله عنهما - ممن قتلوه، وهم يرفعونه في المناسبات، وخاصة يوم عاشوراء الذي قُتل فيه الحسين، لأجل شحن المشاعر وإلهاب الحماس للأخذ بثأره، وهم لا يقصدون فقط مَن باشر القتل، بل بكل مَن رضي به وسكت عنه، وهم جميع أهل السنة، من لدن جيل الصحابة وحتى قيام مهديهم الموهوم.
ويدعي الشيعة أن ذلك الشعار نزلت به ملائكة من السماء لنصرة الحسين؛ لكنهم وجدوه مقتولاً «ففوجئوا» بذلك، فمكثوا عند قبره ينتظرون حتى يقوم القائم فيكونون من أنصاره! وقد نسبوا هذا اللغو الحرام إلى أبي عبد الله (جعفر الصادق) مدعين أنه فسر قوله تعالى: {وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٨] فقال: (يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يُقتلوا في سبيل شعار (يا لثارات الحسين) إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر). انظر كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ٢٦٨)، مستدرك الوسائل (١١/ ١١٤).

أو أرفع، كما بالغوا - في الوقت نفسه - في الحطِّ من شأن البقية المفترَى عليهم، حتى وضعوهم في درك الشياطين أو أوضع!!

لذلك فإن تاريخ الرافضة الماضي وتاريخهم المستقبل؛ كأنه قد خُصِّص لإيقاع الانتقام والثأر من أهل السنة، فتكفيرهم - تمهيدًا لتدميرهم - هو أبرز معالم عقيدة الشيعة القديمة وامتداداتها الحديثة، ولتثبيت مبدأ تكفير عامة أمة محمد ﷺ ابتكر (عبد الله بن سبأ) مؤسِّس ذلك الفكر والمبدأ الضالّ، بدعوى محبة أهل البيت، وجاء بعده من أصَّلوه على دعائم الكراهية لأهل القبلة عامة وأهل السنة خاصة؛ من خلال العقائد والأصول التي سبقت الإشارة إليها مثل: (الإمامة)، و(القائم)، و(العصمة) و(الرجعة)، و(التقية)، و(البراءة)، وغير ذلك من الأصول الرامية للوصول إلى حتف المخالف ومقاتله.

استباحة أهل السنة.. لا نتجنَّى على القوم:

لا؛ فمصادرهم الأصيلة وعقائدهم الأصلية تعجُّ بمقولات قديمة وحديثة لمرجعياتهم الكبيرة والصغيرة، التي تولَّت كِبَر التكفير، ونفخت في كيره للتنفير من كبار أئمة الأمة وعُدُولها، بدءًا بالخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين، وانتهاءً بعامة أهل السنة المعاصرين، مرورًا بأئمة المذاهب السنية المتبوعين!

يلخِّص محمد باقر المجلسي - أحد مرجعيات الشيعة الكبار في كتابه (حق اليقين) عقيدة الروافض (التكفيرية) في أصحاب النبي ﷺ وأزواجه فيقول: «وعقيدتنا في البراءة، أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة وحفصة، وهند وأم الحكم، ومن جميع أتباعهم وأشياعهم، وأنهم من شرّ ما خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا

بعد التبرؤ من أعدائهم»[1].

وإذا كان المحور الذي تدور حوله (الحتمية التاريخية) لدين التشيع المدَّعَى هو الاعتقاد الفاسد في (المهدي) الذي يقولون: إنهم سيقودون معه الدنيا كلها بعد مخرجه؛ فإن ذلك المهدي الذي نعتقد نحن - أهل السنة - أنه سيكون على منهاج النبوة وسيرة الخلفاء الراشدين[2] سيأتي بمقتضى عقيدة الشيعة لكي ينتقم من هؤلاء الخلفاء عدا عليٍّ رضي عنه وعنهم؛ لأن الراشدين - عند هؤلاء السفهاء المنافقين - هم أئمة الكفر ورموز الجبت والطاغوت! وسيثأر مهدي الضلالة وشيعته من نساء أهل البيت عدا فاطمة وأمها، وبدلاً من أن يخرج لكي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، فإنه (سيتفرغ) للقصاص من قادة القسط ورموز العدل من المسلمين، وعلى رأسهم كبار الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لا، بل إن النبي ﷺ سيرجع في اعتقادهم بنفسه، وسيرجع معه إلى الدنيا عليٌّ والحسن والحسين وجميع الأئمة المنصوص عليهم، لا لينقذوا العالم ويخلِّصوه من الظلم؛ بل لينتقموا من (خصوم) أهل البيت، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان!! وهو ما يسمى عند المتشيعة بعقيدة (الرجعة) التي سبقت الإشارة إليها، فماذا سيكون مكان ومقام من هم أدنى أدنَى منزلةً منهم، وهم العامة من أهل السنة؟! فهؤلاء لا مناص من الخلاص منهم!

والخلاص الذي يرجوه الرافضة له معنى واحد عندهم، وهو التخلص من أهل السنة، فلكي يتحقق «إيمان الشيعة»؛ فلا بد من إخراج أهل السنة من الإيمان، وهو ما يقتضي تكفيرهم ويُفضي إلى لعنهم.

---

(١) نقلاً عن المهدي في القرآن للشيرازي (ص ١٤٤).

(٢) ينظر: كتاب المهدي، لمحمد إسماعيل المقدم. وكتاب تحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر، لمحمد بن عبد العزيز بن مانع، تحقيق: عبد الإله الشايع.

والتاريخ في قديمه وحديثه يثبت أن الشيعة الروافض حملوا تلك الكراهية والحقد لكل مسلم سُنِّي، فبُغضُهم للعامة من أهل السنة لم ولن يقلَّ عن بُغضهم لخاصتهم وأئمتهم، وهو بُغض وحقد يقودان إلى المحاربة والقتال، ويعودان بالاستباحة والاستحلال، إما مباشرة وإما عن طريق الوقوف في صفوف أعدائهم، والتحالف معهم، وهو ما حدث كثيرًا على مر التاريخ، في أثناء الحروب الصليبية وغزوات التتار وأيام الدولة الصفوية الشيعية التي شايعت كل الأعداء على الدولة العثمانية.

وأخيرًا وليس آخرًا ذلك الخنوع والخضوع، بل الركوع أمام (الشيطان الأكبر) أمريكا، ليقفزوا من فوق ظهره إلى حرمات المسلمين في أفغانستان والعراق، وهو ما تباهى به (محمد علي أبطحي) الذي كان نائبًا للرئيس الإيراني، عندما قال في ٦/ ٤/ ٢٠٠٦م في مؤتمر عُقد في أبو ظبي: «لولا التعاون الإيراني لما استطاعت أمريكا أن تدخل أفغانستان أو العراق بهذه السهولة». وقبل ذلك استباحوا أهل السنة في لبنان، وبعده في اليمن وسوريا، مما يطول فيه الحديث، وتتشعب فيه التفاصيل.

التكفير المسكوت عنه:

إذا كان كل العالم بأركانه وإعلامه ينتفض كله من أقصاه إلى أقصاه ضد فكر التكفير - المُدان - الذي تحمله بعض الجماعات المنسوبة للسنة، فإن ذلك العالم يخرس ويصمت عندما يواجه بأن عامة الشيعة - لا بعض جماعاتهم - يحملون عقيدة تكفيرية تدميرية، لا تكتفي بنفي «الآخر» كما يقولون؛ بل لا ترى له مكانًا في الأرض ولا في ملكوت السماء.

وفكر التكفير عند الشيعة يشلُّ التفكير، فكل شيعي يعتقد كفر كل سُنِّي؛ لأن مرجعياتهم الكبرى تلقِّنهم هذا وتبُثُّه فيهم، ومع ذلك يتصايح رموز الشيعة بالتحذير من التكفير، ووصم كل من يتصدى لبغيهم بوصف «التكفيريين» و«الوهابيين»!!

وفي واقع الأمة المأزوم اليوم يصل المتشيعة في كثير من الأحيان لمرادهم، فينفثون أحقادهم، ويصبُّون جامَّ غضبهم وخلاصة عداوتهم على عامة أهل السنة وخاصتهم، من العلماء والحكماء والمجاهدين، ويسوِّغون عداءهم بخبث واضح، تحت مسمى محاربة الإرهاب، مع أن إرهاب الشيعة في العراق والشام، تشهد عليه الأجساد التي تُشوَى حية، والرؤوس التي تُثقب بآلات الثقب الكهربائي، ولن ينسى ضمير الإنسانية - الضامر في عصرنا - سُبَّة ذلك العصر وكل العصور، وهو مشاركة الشيعة الإيرانيين لإخوانهم الطغاة العلويين الفجرة، وهم يحرقون المدن بأطفالها ونسائها وشيوخها بالبراميل المتفجرة، من أجهزة القتل الجبانة الطائرة!

يتصايحون بعد ذلك عن ظلم «النواصب» الذين «ظلموهم» على مر التاريخ، ويلطمون صدورهم، ويشقون ثيابهم، ويسيلون دماءهم ودماء أطفالهم في مناسبات عاشوراء استعدادًا لتفجير كيانات السُّنة بعد تكفيرهم، وتصفيتهم بعد تصنيفهم.

ويكفي هنا في تصنيف الأعداء أن يقال: (ناصبي سُنِّي) فكلُّ سُنِّي ناصبيٌّ عندهم؛ يقول عالمهم (يوسف البحراني): «الناصب هو مَن يُقال له عندهم سُنِّيًا، ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن»[1].

وحكم هؤلاء «النواصب» عند الشيعة أنهم (كفار)، ولذلك فهم يستحلُّون منهم

(١) في كتابه المحاسن النفسانية (ص ١٤٧).

كل ما يحلُّ من الكفار الأصليين أو المرتدين، يقول إمامهم المعاصر أبو القاسم الخوئي المتوفى سنة ١٤١٢هـ: «لا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي والخارجي الغالي والناصب»[١]. وكل من لا يقول بإمامة الأئمة الاثني عشر هو عند الشيعة كافر كفرًا مخرجًا عن الملة. يقول (محسن الكاشاني) المتوفى سنة١٠٩١هـ «من جحد إمامة أحد من الأئمة الاثني عشر، فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء»[٢].

وقال عالمهم (يوسف البحراني): «ليت شعري، أي فرق بين كفر بالله سبحانه ورسوله، وبين كفر بالأئمة عليهم السلام، مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين»[٣].

وقال عالمهم (المجلسي): «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على مَن لم يعتقد بإمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضَّل عليهم غيرهم يدل على أنهم مخلدون في النار»[٤].

وهم يعتقدون «نجاسة» مَن يدعونهم نواصب، ويفتي بذلك كبيرهم (الخميني) في كلامه عن أحكام النجاسة فيقول:» غير الشيعة إذا لم يظهر منهم نَصْبٌ أو معاداة لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بإمامتهم طاهرون، وأما مع ظهور ذلك منهم فهم مثل سائر النواصب»[٥]. وقال: «أما النواصب والخوارج لعنهما الله، فهما نجسان من غير توقف»[٦].

و(النواصب) عند أصحاب مشروع الانتقام الشيعي تَحِلُّ دماؤهم وأعراضهم

(١) في كتابه منهاج الصالحين (١/ ١١٦).
(٢) في كتابه منهاج الحياة (ص ٤٨).
(٣) في كتابه الحدائق الناضرة (١٨/ ١٥٣).
(٤) في كتابه بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩٠).
(٥) تحرير الوسيلة (١/ ١١٩).
(٦) في كتابه المذكور (ص: ١١٨).

وأموالهم؛ فالشيعة يوردون أثرًا عن داوود بن فرقد أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام - يعنون جعفر بن محمد الصادق -: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: «حلال الدم، ولكن احذر؛ فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تُغرقه في ماء لكيلا يُشهَد عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: خذه ما قدرْتَ عليه»[1].

ويقول (الخميني): «الأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتُنم منهم، وتعلق الخُمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وُجد، وبأيِّ نحوٍ كان، وادفع إلينا خُمسه»[2].

وقال المجلسي: «ويظهر من بعض الأخبار، بل كثير منها، أنهم - أي أهل التسنن - في الدنيا في حكم الكفار، لكن لما علم الله أن أئمة الجور وأتباعهم يستولون على الشيعة، وهم يبتلون بمعاشرتهم، أجرى الله عليهم حكم الإسلام توسعةً، فإذا ظهر القائم يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبدًا، وبه يُجمع بين الأخبار، كما أشار (المفيد) و(الشهيد)»[3].

أما عن أئمة المذاهب المتبوعة عند أهل السنة؛ فيقول (الرضا محمد الرضوي) في كتابه «كذبوا على الشيعة»: «ولو أن أدعياء الإسلام والسُنة أحبوا أهل البيت - عليهم السلام - لاتّبعوهم، ولما أخذوا أحكام دينهم عن المنحرفين عنهم، كأبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل»[4]!. ويفتري ذلك الرجل على الإمام أبي حنيفة، ثم يسبُّه بسبب ذلك الافتراء فيقول: «قبّحك الله يا أبا حنيفة، كيف تزعم أن الصلاة

(١) علل الشرائع (ص: ٦٠١)، وأورده الحر العاملي في وسائل الشيعة (١٨/ ٤٦٣) والجزائري في الأنوار النعمانية (٢/ ٣٠٨).
(٢) تحرير الوسيلة (١/ ٣٥٢).
(٣) بحار الأنوار (٨/ ٣٦٩).
(٤) (كذبوا على الشيعة) لمحمد الرضوي (ص٢٧٩).

ليست من دين الله»[1].

وإذا كان الشيعة يتقربون بلعن الشيخين، ويتعبدون باتهام أمهات المؤمنين، فلا عجب أن كان أئمة المذاهب السنية عندهم من (أئمة الكفر) الذين يستحقون اللعن! وقد ادعى (الحر العاملي) أن موسى الكاظم قال: «لعن الله أبا حنيفة، كان يقول: قال عليٌّ وقلت، وقالت الصحابة»[2]!

وإذا كانت للخميني الإيراني مواقفه العقدية، وفتاواه الفقهية الموغلة في العداء للسنة وأهلها، فلا عجب أن يقتفي أثره «خميني العراق»: (السيستاني) المقيم في مدينة النجف؛ حيث نافَس سلفه في المواقف التكفيرية التحريضية ضد أهل السنة! مع ما يبديه من تلطف ولين مع الأعداء الظاهرين، حتى بلغت «سماحته» مع الأعداء الغزاة للعراق أن امتنع عن الفتوى بجواز مقاومة (الشيطان الأكبر) - أمريكا - عند غزوها العراق، ناصحًا العراقيين - الشيعة طبعًا - بالاكتفاء بالاحتجاج «السلمي» على الغزو! مع أنه هو الذي دعا مؤخرًا إلى تشكيل عصابات (الحشد الشعبي) لمزيد الإمعان في استباحة أهل السنة خارج نطاق القيود القانونية الشكلية.

وأما قرينه في المرجعية وقريبه في المرتبة والأكثر منه جرأة و«شجاعة» في الباطل المدعو «آية الله العظمى» صادق الحسيني الشيرازي، أعلى المرجعيات الدينية في كربلاء، فقد أوجب قتل - نعم قتل - كلَّ «النواصب» في فتوى مسموعة، موجودة على الشبكة العنكبوتية، ننقلها هنا على شناعتها وبشاعتها، لعل نائمًا يصحو وغافلاً ينتبه.. وجاهلاً يتعلم، ومجادلاً بالباطل عن المشروع الإيراني «المقاوم» يخرس!

---

(١) المرجع السابق (ص١٣٥).

(٢) في كتاب وسائل الشيعة (٣٣/ ١٨).

يقول ذلك المرجع في تفسير أشبه بالتفجير معلقًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]: «الوهابي، الإرهابي، الكافر، الناصب، المتوحش، إذا لم يكن مصداق هذه الآية، فمن يكون إذن مصداق الآية الكريمة؟ والذين يؤيدون الوهابيين الإرهابيين الكفرة النواصب الوحوش من رجال الدين، ومن غير رجال الدين، بنحو أو بآخر، إن لم يكونوا مصاديق الآية الكريمة، فمن يكون؟ إذًا كنا نكفُر بالقرآن الكريم، فلنكن شجعانًا نصرِّح بما نعتقد، أما إذا كنا نؤمن بالقرآن الكريم، فالوهابي الإرهابي الكافر الناصب الوحشي يجب قتله، وكل مَن يؤيده بنحو أو بآخر، من رجل دين أو غير رجل دين يجب قتله، ومن لم يقل بوجوب قتل هؤلاء، ووجوب قتل مؤيديهم، فهو علانية يكفر بالقرآن الكريم، (مو مشكلة!) الشيوعي أيضًا يكفر بالقرآن الكريم، ولكن الشيوعي يملك شجاعة أدبية، فخلِّيهم يمتلكون شجاعة أدبية».

ويتابع الشيرازي قائلاً: «شيء آخر؛الله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

إخواني: هذه الآيات الكريمات الواردات في مسجد الضرار، تنطبق على المساجد التي يتخذها الإرهابيون الوهابيون الكفرة النواصب الوحوش محاور لنشاطهم؛ فكل هذه المساجد يجب أن تُدمَّر وتُهدَم وتُحرَق، وإلا فنكون كافرين بالقرآن الكريم.

فلنكن صادقين مع أنفسنا، ومع الله تعالى، ومع القرآن، ومع أهل البيت - عليهم الصلاة والسلام - ومع المؤمنين والمؤمنات، إذا لم تكن هذه الآيات الواردة في مسجد

الضرار لا تنطبق على المساجد الوهابية الإرهابية الناصبية الوحشية، فعلى أيِّ مساجد تنطبق؟ هذه المساجد يجب هدمها فورًا، ويجب إحراقها فورًا، ويجب تدميرها فورًا إن كنا مسلمين. وإذا لم نكن مسلمين، فخلِّنا نمتلك نفس الشجاعة الأدبية كما يمتلكها الشيوعي، فيقول: الله خرافة، فخلِّهم يقولون: نحن لا نؤمن بالقرآن الكريم...».

ودعا الشيرازي في كلمته المسمومة؛ إلى الحسم مع من سماهم (العلماء البكريين) - نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه -، ويقصد كل علماء أهل السنة، فقال: «إن كل مَن لا يستنكر ولا يشجب أعمال الوهابيين الإرهابيين، يجب أن يعامَل بمثل المعاملة التي يعامل بها الإرهابيون الوهابيون».

وختم بقوله: «الوهابي الإرهابي ضد الله وضد الإسلام، وضد القرآن وضد رسول الله، وضد أمير المؤمنين، وضد سيدة نساء العالمين، وضد سائر المعصومين، وهم يقتلون المسلمين - أعني الشيعة -؛ لأنهم موالون لله وللقرآن ولأهل البيت». انتهى قوله.

بهذه الدرجة من الكراهية، وبتلك النفسية السوداوية يتهيأ القوم، ويمهِّدون لخروج مخلِّصهم ومهديهم (المنتظر) الأشبه بالأعور الدجال، والذي سيركز ثاراته ومآثره ومجازره على العرب والمسلمين.

إن كل أساطين المشروع الإيراني (النووي) يعدُّون أنفسهم من (الممهِّدين) لمهدي الدمار الذي ينتظرونه منذ قرون، ليستكمل (ثارات الحسين)، ويتوِّج مشروع (آل البيت) بهدم (البيت)، ونبش جوار القبر الشريف!

الفصل الثاني:

الأبعاد الواقعية للمشروع الشيعي

كيف تحولت الخرافة إلى واقع؟

إذا كان ما سبق يبرهن بما لا يدع مجالاً للتشكيك على أن مشروع إيران قام على خرافات وخزعبلات، غذَّتها أكاذيب وأساطير وتُرَّهات؛ فإنَّ ذلك المشروع السابِح أبدًا في بحر الظلمات، وجَد أنصارًا في عصرنا يحوِّلون كثيرًا من أوهامه إلى وقائع ملموسة، ويصنعون من أحلامه حقائق محسوسة، فماذا جرَى؟

لقد قامت في إيران ثورة؛ تحوَّلت إلى دولة، تطلَّعت إلى إمبراطورية بعد أن كانت جمهورية، تطمح لإدارة ما حولها لحسابها، كما كان شأن الفرس أول مرة. والأمر بهذه العجلة مُريبٌ، فلم يُعهَد في التاريخ الحديث المعروف أن ثورة تفاعلت في أيام، لتتحول إلى دولة في شهور، ثم يذهب بها الطموح لأن تتحول إلى قوة إقليمية نووية في غضون سنوات، حتى يصل بها الجموح لأن تصير قطبًا إمبراطوريًّا دوليًّا خلال عقود معدودة، ثم يحملها الجنون والجنوح - ولو من باب الأماني على الأقل - أن يأتي يوم بعد عقود قليلة أخرى (بعد فتوح المهدي) تتفرد فيها تلك الدولة الشيعية بالقطبية الدولية!!

إن هذا - للأسف - هو واقع المشروع الإيراني «الخرافي»، الذي فرض واقعه على المشروعات المنافسة في حِقبة قياسية من عمر الزمن.

مشروعات الحضور في زمن الغيبة:

قبل ثورة الخميني؛ ونظرًا لأن الإمام «الشرعي» الثاني عشر والأخير عند الشيعة قد غاب بإرادة الله - كما يعتقدون -، فقد كان لازمًا أن يبقى مكانه شاغرًا تعظيمًا لهذه الإرادة، إلى أن يخرج بالإرادة الإلهية ذاتها، فيتبوأ مكانه الذي لن يستطيع أحد من الخلق ملؤه!

وقد فسَّر لنا هذا الاعتقاد سبب غياب دولة جامعة لعموم الشيعة الاثني عشرية طول العصور، لكن المدعو «آية الله» الخميني؛ خرَق هذه القاعدة في عصرنا، فأصبح هناك استثناءان في التاريخ لقيام دولة شيعية اثني عشرية على خلاف ما درَج الإمامية على اعتقاده طوال تاريخهم، من عدم جواز إقامة الدولة قبل خروج المهدي؛ أولهما الدولة الصفوية التي استمر حكمها أكثر من قرنين من الزمان من سنة ٩٠٧هـ (١٥٠٧م) إلى سنة ١١٤٨هـ (١٧٣٥م).

وظلت طوال هذا التاريخ قائمة على الاعتقاد الإمامي الاثني عشري والفقه الجعفري[1]. وعلى ذلك يمكننا رصد تطور الواقع الشيعي السياسي، الذي تُعدُّ الدولة الصفوية منطلقه الواقعي.

إيران الصفوية (كيان الدم والهدم):

كان شعب إيران - وعلى مدى تسعة قرون - يعتنق المذهب السُّنِّي، ولذلك كان سكان بلاد فارس شركاء فاعلين في إقامة صروح الحضارة الإسلامية على النهج

(١) هو الفقه المنسوب للإمام جعفر الصادق، الذي هو عند أهل السنة من أئمة الفقه، حتى قال عنه أبو حنيفة: «ما رأيت أحدًا أفقه منه»، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: «كان من سادات أهل البيت فقهًا وعلمًا». وقال الذهبي في الكاشف: «صدوق فقيه إمام». ولكن جرى لفقهه ما جرى لفقه الأئمة المتقدمين، فحُفظت منه مسائل، ولكن لم يدوَّنْ بكامله كما حصل مع مذاهب الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد. ولم يتسلسل التمذهب به عند أهل السنة، ولكن انتحل مذهبَه قومٌ من المبتدعة، فأدخلوا عليه ما ليس منه، بل كذَبوا عليه في أصول الدين وفروعه، وقد ظهر أوائلهم في حياته فقال عنهم - رحمه الله -: «من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه بريء. وذكره الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» وقال: «كان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهرًا وباطنًا، هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة، قد هوى بهم الهوى في الهاوية، فبُعدًا لهم». اهـ. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٦/ ٢٥٥).

الصحيح، وكان للعلماء ذوي الأصول الفارسية إسهامات وإضافات ثرية في كل المعارف والفنون.

لكن تأسيس الدولة الصفوية على يد الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي؛ حوَّل كيان إيران إلى المذهب الشيعي الاثني عشري بالقوة والقهر.

ويُنسَب الصفويون إلى الجد الخامس للشاه إسماعيل، وهو صفي الدين الأردبيلي المتوفى سنة ٧٣٥ ه. وقد كان سُنيًّا صوفيًّا على المذهب الشافعي، وهو إيراني كردي الأصل، أسَّس الطريقة الصفوية في أردبيل مسقط رأسه، وكان له الكثير من الأتباع والمريدين المتصوفة الذين نشروا دعوتهم في كل الأراضي الإيرانية وفي العراق وبلاد الشام ومدن أخرى، ومن نسله ينحدر الصفويون الذين أسَّسوا الدولة الصفوية فيما بعد.

وفي سنة ٩٠٧هـ توَّج الشاه إسماعيل الصفوي نفسه مَلِكًا على إيران بعد انتصاره على القبائل التركمانية الحاكمة، وما إن تم له ذلك حتى أعلن فرض المذهب الشيعي رسميًّا، فانقاد له أهل فارس مكرهين.

وقد وجَّهت الدولة الصفوية الشيعية عداءها إلى دولة الخلافة العثمانية التي قامت في القرن السابع الهجري، في وقت كان المسلمون فيه متفرقين متناحرين.

وكان قيام الخلافة التركية قوة للإسلام وحماية للأقطار الإسلامية من الغزو النصراني والاستعمار الصليبي، فكانت تقاتل المعتدين الصليبيين على عدة محاور، فالروس من الشمال، والنمسا من الغرب، والإمارات الإيطالية وفرنسا وإنجلترا والبرتغاليون في البحار والمحيطات، وكلهم مُجمِعٌ على ضرورة القضاء على هذه

الدولة التي قاومت الدولة البيزنطية النصرانية، وتوغَّلت في أوروبا، كما أنها حالت دون انتشار النصرانية وامتداد نفوذها الاستعماري الصليبي على يد البرتغاليين، وتصدَّت لحملاتهم الهادفة لاحتلال القدس.

وقد انطلق العثمانيون شمالاً وغربًا في فتوحاتهم دفاعًا عن الإسلام، لكن الصفويين عملوا على عرقلة تلك الفتوح منذ عهد المؤسس الشاه إسماعيل، فكانوا يشاغلون دولة الخلافة باصطناع الاضطرابات على حدودها الشرقية، ومباغتتها من الخلف، وهو ما جعل السلطان العثماني سليم الأول يتصدى بجيشه لهم درءًا لخطرهم.

واستمرت الحروب بين الخلافة العثمانية وبين الصفويين عقودًا، انتصر العثمانيون في معظمها، غير أن الحروب ضدهم استنزفت دولة الخلافة وأنهكتها، وأعاقت الكثير من فتوحاتها.

وفي عهد (طهماسب) ابن الشاه إسماعيل الصفوي؛ جرت الاتصالات بملك المجر (هنغاريا) للتعاون معه ضد العثمانيين، فعزم الخليفة العثماني آنذاك (سليمان القانوني) على توجيه حملة إلى إيران لقتال الصفويين، لكنه حوَّل قواته ضد المجر؛ نظرًا لخطورة جبهتها، وأهميتها في مواجهة الصليبيين، لكن طهماسب استغل انشغال العثمانيين بقتال النصارى المستعمرين وقام بغزو بغداد واحتلالها، وحاول فرض المذهب الشيعي على أهل السنة في العراق الأوسط والجنوبي، واضطر القادة العثمانيون لإيقاف فتوحاتهم في أوروبا ليوقِفُوا الزحف الصفوي على الأراضي السُّنية، وهو ما حدث مع السلطان سليم والسلطان سليمان حينما حاصر سليمان النمسا عام ١٥٢٩م ودكَّ أسوارها لمدة ستة أشهر، وكاد أن يفتحها، ولكن طارت إليه أنباء من الشرق جعلته يكرُّ راجعًا إلى استانبول لمواجهة الخطر الصفوي.

تحالف الصفويون مع العديد من القوى الصليبية مواصلين التقارب مع النصارى ومبرزين العداوة للمسلمين السُنة، وفي الوقت الذي كانت دولة الخلافة ترفع راية الجهاد لترد غزوات أوروبا؛ كانت الدولة الصفوية تحيك المؤامرات ضدها، وتدخل في اتفاقيات مع دول أوروبا الصليبية للقضاء على قوة الجيوش الإسلامية التركية، حتى شهد كثير من المؤرخين أن الصفويين هم من تسبَّب في إدخال الاستعمار إلى منطقة الخليج، ومهَّدوا له الطريق من خلال عقد التحالفات العسكرية والتجارية مع البرتغاليين والهولنديين والإنجليز.

ومن الدول التي كانت تسعى إيران الصفوية لإيجاد علاقات قوية معها؛ للتخلص من الدولة العثمانية: إسبانيا والمجر؛ حيث بعث الشاه إسماعيل برسالتين إلى قادة الدولتين يطلب فيهما عقد معاهدة صداقة وتعاون، رغم كونهما في حالة حرب مع تركيا. وعرض فكرة تحالف مشترك بغرض سحق الأتراك العثمانيين.

وقدَّم عباس للإسبان عروضًا لتقاسم أراضي الدولة العثمانية، بحيث يحصل الصفويون على الجزء الأوروبي من تركيا، وتستأثر إسبانيا بالجزء الآسيوي. ولم يكن هذا العرض سوى واحد من عروض كثيرة حمَلها سفراء إيرانيون، كانوا يقطعون المسافة بين أوروبا وإيران مجيئًا وذهابًا، لتدبير المكائد ضد الدولة العثمانية التي كانوا يرون فيها قوة حماية ورعاية للمسلمين السنة!

كما أن إيران في عهد عباس الصفوي توجهت نحو التحالف مع قوة إنجليزية غازية للخليج، وشجَّعت البرتغاليين والهولنديين على التجارة في بندر عباس، ومنعت الأتراك من ذلك.

كان نهج التآمر والمكائد هو النهج الذي انتهجه الصفويون في تعاملهم مع دول السنة، وقد أثَّر ذلك في كثير من مجريات الأمور في ذلك العصر لغير صالح المسلمين، واستفادت منه الدول الصليبية الأوروبية أكبر استفادة[1].

ويذكر شاهين مكاريوس في كتابه (تاريخ إيران) أن الشاه عباس أصدر منشورًا إلى رعاياه يذكر فيه أن النصارى أصدقاؤه وحلفاء بلاده، وأنه يأمر رعاياه باحترامهم وإكرامهم أينما حلُّوا، ولذلك فتح موانئ بلاده لتجار الإفرنج، وأوصى ألا تُؤخذ منهم رسوم على بضائعهم، وألا يتعرض أحدٌ من الأمراء أو الأهالي لهم بسوء. ويقول مكاريوس: «إن الشاه إسماعيل كان أول مَن فعلَ هذا مجاهرًا من سلاطين المسلمين»[2].

إيران الخميني.. من الثورة إلى الدولة:

دلَّت حقائق التاريخ أن الشيعة ظلوا معظم تاريخهم ملتزمين بانتظار منتظرهم المزعوم دون تطلُّع لأن يكون لهم كيان سياسي في صورة دولة، حتى يجيء هو ويقيمها؛ وذلك استجابة لما حرَّمه علماؤهم من إقامة الجمعة والجماعات والجهاد وإقامة الدولة حتى يخرج؛ لأنه عندما يخرج فسوف يتكفل بنفسه بتأسيس دولته، وتوسيعها ونصرتها، واستمروا على ذلك المعتقد قرونًا طويلة، باستثناء الدولة الصفوية، التي ادعَّى مؤسسها أنه التقَى المهدي، وأن دولته الصفوية ستمتد حتى تسلم الراية له.

واجتهد علماء عصره، - كالمجلسي صاحب (بحار الأنوار) - لإثبات أن إسماعيل الصفوي هو صاحب راية المهدي أو الخراساني، فلما سقطت الدولة الصفوية، عاد

(١) انظر: التفاصيل في (الدولة الصفوية) لمحمد الخولي، و(التاريخ الإسلامي) لمحمود شاكر (ج٨).
(٢) تاريخ إيران لشاهين مكاريوس (ص ١٥٤).

الشيعة للانتظار دون دولة، حتى جاء زعيم الثورة الدينية الإيرانية (آية الله الخميني) فقطع هذا الانتظار الذي رآه سلبيًّا، ودعا إلى انتظار إيجابي يقوم على تهيئة الأرض لمجيء الموعود؛ من خلال كيان قوي فاعل على الأرض ومتفاعل فيها، وقادر على توفير المطلوب لبقائها قوية حتى يخرج المهدي. وهنا ربط الخميني بين الزمن الشيعي الماضي والحاضر والمستقبل.

وقد صاغ الخميني فكرته هذه في النظرية المسماة (ولاية الفقيه)[1]، وشرحها في كتابه (كشف الأسرار)، وهي تعني باختصار أن أكثر ما يُنتظر من الإمام الغائب في غيبته يمكن أن يقوم به الإمام الفقيه من خلال ولايته، فإذا مُنِحَ الفقيه هذه الولاية، وصار قائدًا لـ(المستضعفين)؛ فإنه سيخرج بهم من استضعافهم لا محالة.

لقد ألَّف الخميني في الأربعينيات الميلادية من القرن الماضي كتابه (كشف الأسرار) ليعالج فيه كيفية إقامة دولة للشيعة في إيران، دونما انتظار لمجيء المهدي، ثم ألَّف في الستينيات كتاب (الحكومة الإسلامية)، وفصَّل فيه نظرته ونظريته عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به دولة الفقيه نيابةً عن الإمام المنتظر، الذي اقترب انتظاره من ١٢٠٠ سنة.

وبالفعل لم يكد رأس القرن الهجري الخامس عشر يطلُّ على الدنيا حتى كانت للشيعة ثورة تحوَّلت إلى دولة، وها هي اليوم تتطلع لأن تكون إمبراطورية قادرة على التحول إلى قطب دولي، يجزمون بأنه سيتحول مع مجيء المهدي إلى قطب وحيد له

(١) ولاية الفقيه هي مصطلح سياسي ظهر في الفقه الشيعي؛ حيث عرفوها بأنها ولاية وحاكمية الفقيه الجامع للشرائط في عصر غيبة الإمام الحجة؛ حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام المنتظر في قيادة الأمة وإقامة حكم الله على الأرض. انظر تفاصيلها في كتاب (ولاية الفقيه وتطورها)، تأليف: خالد بن عبد المحسن التويجري، من إصدارات مجلة البيان.

حاكم واحد هو المهدي المنتظر، الذي يجزم علماؤهم اليوم أن عصر ظهوره قد أظلَّ الدنيا!

نفس القصة وذات النظرية التي صاغها (تيودر هرتزل) مؤسِّس فكر الصهيونية اليهودية الحديثة عن الانتظار الإيجابي للمسيح المنتظر اليهودي، وهي بعينها التي تسير وفقها الصهيونية المسيحية في انتظار مسيح النصارى المنتظر؛ عيسى ابن مريم، الذي كانوا يتوقعون عودته في بداية هذه الألفية الثالثة، فأصيبوا وأصابوا العالم معهم بـ (حُمَّى سنة ٢٠٠٠م)[1].

الدولة التي أقامها الخميني هي الاستثناء الثاني للدولة الشيعية الاثني عشرية، بعد الدولة الصفوية، فقد تخطَّت الحظر الاعتقادي الذي كان مفروضًا على الشيعة في إقامة الدولة قبل خروج المنتظر.

وكانت نظرية (ولاية الفقيه) تحايلاً على ذلك المنع، مثلما كان الشأن مع الدولة الصفوية، فهي صُوِّرَت على أنها دولة «ضرورة»، ودورها هو (التمهيد) لخروج المهدي.

وقد اتخذت الدولة الخمينية من نهج الصفويين سبيلاً لممارسة السلطة في زمان الغيبة، ولهذا جعلت من (الشاه عباس) مثالاً للبطل القومي؛ لشدة ما قام به من أعمال عدائية ضد أهل السنة، ولا يزال (بندر عباس) شاهدًا على هذا؛ حيث أُطلق اسمه على مدينة استراتيجية مهمة على شواطئ الخليج الشرقية، على الرغم من أن غالبية سكانها من السنة.

---

(١) انظر كتابًا للمؤلف بهذا العنوان.

وقد برهنت إيران في صفويتها الجديدة على استمرار العداوة المطلقة لأهل السنة لمجرد أنهم سُنَّة ولو بالاسم، كما شهدت بذلك أحداث غزو أفغانستان والعراق بالأمس القريب، واليوم سوريا واليمن، وما زال في جعبتهم الكثير.

على الرغم من كبر سِنِّه؛ قاد الخميني الدولة بعد مرحلة الثورة مدة عشر سنين كاملة، طبَّق فيها ما كان مقتنعًا به، من أن رجال الدين ينبغي أن يكونوا في المقدمة، وكثيرًا ما كان يتحدث عن الشهادة في سبيل الإسلام الشيعي، وأن الثورة ضد الظلم والطغيان جزء منه؛ ليحث بقية رجال الدين على قيادة الجماهير بالأفعال قبل الأقوال.

واستفاد الخميني من أساليب اليساريين في تثوير «الكادحين»، لكنه استخدم مصطلح «المستضعَفين» لمواجهة «المستكبرين»، ولتأكيد استقلال المشروع الفارسي عن المشروع الليبرالي الغربي، والمشروع الشيوعي الشرقي؛ حثَّ جماهير الثورة على أن يرددوا شعار: «لا شرقية ولا غربية - جمهورية إسلامية».

طبَّق الخميني مبدأ (ولاية الفقيه)، ووضع النظام الذي ستسير عليه إيران؛ من حيث تولي زمام الأمور في الجمهورية الإسلامية وشكل الحكومة فيها.

وبسط مفهوم ولاية الفقيه لعموم الشعب؛ بإقناعهم أن كل فرد بحاجة إلى «إرشاد» في شكل حكم أو إشراف يقدِّمه الفقيه أو الفقهاء، فالشعب كان يحتاج إلى ثورة، والثورة تحتاج إلى إرشاد، وإلى مرشد يقودها بمبادئ أئمة أهل البيت، ولهذا لا بد أن يكون الفقهاء على رأس الحكم، وأن يرضى الشيعة بذلك، وإلا لن يكونوا شيعة، ولن يكونوا أنصارًا لآل البيت.

وبذلك حقَّق الخميني ما كان يراه ويُنَظِّر له في كتاب (الحكومة الإسلامية)، فالحكام لابد أن يكونوا هم رجال الدين حتى يُقيموا الدين. ولذلك لم يصبر الخميني على شريكه في التدبير للثورة (أبو الحسن بني صدر) أول رئيس للجمهورية، فاستبعده من السلطة لتوجهاته الليبرالية، متهمًا إياه بالتقصير في قيادة الحرب ضد العراق، وتمت تنحيته، وضُيِّق عليه حتى اضطر للجوء السياسي إلى فرنسا.

وتتابع بعده رؤساء جمهورية ملتزمون بالتشيع في صيغته المتشددة، فالخميني كان يرى الحكومة في صيغتها الدينية الشيعية من أهم الضروريات، حتى قال عنها: «إنها حقًّا تعبير عن طاعة الله»، وهي في النهاية أهم من الصلاة والصيام في الإسلام، فدونها لن يحيا الإسلام الحقيقي».

وصبَغ الخميني على حكومته صفة العالمية، عندما فتح باب «تصدير الثورة»، ومعنى ذلك أن الثورة الشيعية ليست مقصورة على الإيرانيين، بل يلحق بها كل من التزم مبدأ ولاية الفقيه. وقد عارَضه بعض الشيعة العرب في هذا المبدأ، ولم يسلِّموا بقيادة الفرس للشيعة العرب دينيًّا؛ لأن أصل التشيع خرَج من العراق العربي، بينما تابعه عليه آخرون؛ وأبرزهم (حسن نصر الله) الذي عدَّ حزبَه مُؤتمِرًا بأمر الفقيه في إيران.

ولم يكتفِ الخميني بإحكام سيطرة «الفقهاء» المتمسكين بالعقائد الشيعية على الحكم، بل عمل على إقصاء الليبراليين واليساريين عن مراكز التأثير الحقيقية. لقد أقام فعلاً دولة على الدين، لكن ليته كان دين الحق!

لن أطيل كثيرًا في تفاصيل مرحلة الخميني؛ حيث إن كل تطورات المشروع الإيراني الآتي ذكرها؛ تفرعت عن مرحلته التأسيسية لذلك المشروع.

إيران الخامنئي.. من الدولة إلى الإمبراطورية:

من أبرز ملامح عهد خامنئي الذي تولى منصب مرشد الثورة عام ١٩٨٩ م بعد وفاة الخميني؛ الانتقال بثورة إيران إلى الخارج، والعمل على توسيع المشروع الإيراني شرقًا وغربًا، سلمًا وحربًا، حتى تخطو خطواتها الوئيدة نحو صيغة الحكم الإمبراطوري.

فلماذا تكون اليابان مثلاً ذات حكم إمبراطوري، بل لماذا كانت إثيوبيا حتى عهد قريب (إمبراطورية)، بل لماذا أصبح الاتحاد الأمريكي والاتحاد الأوروبي والاتحاد الروسي وقبله الاتحاد السوفييتي (إمبراطوريات) حقيقية بدون تسمية، وتظل (إمبراطورية فارس) مجرد تاريخ؟!

حلم الإمبراطورية الفارسية ليس جديدًا على الساحة الإيرانية، فقد كان شاه إيران السابق – محمد رضا شاه – يلقب نفسه رسميًّا بـ (الإمبراطور)، أما بعد ثورة الخميني ومن بعده الخامنئي؛ فإن مصطلح (إيران الكبرى) أصبح هدفًا استراتيجيًّا لدولة الشيعة الفرس، مثلما أن (إسرائيل الكبرى) هي الغاية البعيدة لدولة اليهود الصهاينة، والغاية الأبعد لكلا الأُمَّتين الضالتين، هي: الدولة العالمية اليهودية، والدولة العالمية الشيعية.

الترتيب الشيعي المعاصر لإقامة (إيران الكبرى) لمناطحة الدول الكبرى، لم يعد مجرد أماني أو مخططات حالمة مستقبلية، بل إنه صار غاية عُليا معلنة للمشروع الشيعي، تسير على وفقها التكتيكات، سلمًا أو حربًا؛ لتحقق الأهداف البعيدة لاستراتيجيات المشروع.

وفي إطار المخططات «السلمية» الممزوجة بالنوايا العدائية في تصدير الثورة الإيرانية؛ برزت توجهات تدعو للانفتاح، وتخفيف اللهجة الثورية للدولة الإيرانية، في مدة حكم الرئيس الإيراني (محمد خاتمي).

وتبين أنه كان يريد استعمال استراتيجيات (القوة الناعمة) في تلك المدة التي لم يكن يصلح فيها استعمال (القوة الخشنة)، بعد أن استنفدت إيران الكثير من رصيدها الخشن في الحرب العراقية الإيرانية، وبعد أن جرى تسويقها سُنيًّا - ولا أدري كيف! - بإعطائها رئاسة (منظمة المؤتمر الإسلامي) عام ١٩٩٩م.

مراحل الخُطة الخمسينية:

وقد أثمر هذا التوجه ما عرف بـ (الخُطة الخمسينية)، وهي عبارة عن رسالة سرية سُرِّبت، كانت موجَّهة من شورى الثورة الثقافية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية، وهي تدعو إلى التغلغل السلمي في دول الجوار التي بها كثافة سكانية شيعية.

وقد قسمت الوثيقة فئات شعوب المنطقة إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هم البدو وأهل الصحراء الذين يعود وجودهم في هذه البلاد إلى مئات السنين.

الفئة الثانية: هم الذين هاجروا من الجزر والموانئ التي تُعتبر امتدادًا لأراضي إيران - كما جاء في الوثيقة -، وبدأت هجرتهم منذ عهد الشاه إسماعيل الصفوي، واستمرت في عهد (نادر شاه افشار) و(كريم خان زند) وملوك القاجار وأسرة البهلوي، وحدثت هجرات متفرقة منذ بداية الثورة الإيرانية.

والفئة الثالثة: هم من الدول العربية الأخرى، ومن مدن إيران الداخلية.

وذكرت الوثيقة أن أعمال التجارة وشركات الاستيراد والتصدير والبناء يسيطر عليها في الغالب غير المواطنين الأصليين، ويعيش السكان الداخليون من هذه البلاد على إيجار البنايات وبيع الأراضي وشرائها، وأما أقرباء ذوي النفوذ فهم يعيشون على الرواتب العائدة من بيع النفط.

والفساد الاجتماعي والثقافي والأعمال المخالفة للإسلام - كما تذكر الوثيقة - واضحة للعيان.

ومعظم المواطنين في هذه البلاد يقضون حياتهم في الانغماس في الملذات الدنيوية والفسق والفجور! وقد قام كثير منهم بشراء الشقق، وأسهم المصانع وإيداع رءوس الأموال في أوروبا وأمريكا وخاصة في اليابان وإنجلترا والسويد وسويسرا خوفًا من تغير الأحوال في بلادهم.

وتنتهي الوثيقة بعد استعراض أحوال الشعوب المجاورة المستهدفة بالثورة «السلمية» إلى القول: (إن سيطرتنا على هذه الدول تعني السيطرة على نصف العالم)!

أما أسلوب تنفيذ الخطة المعدة؛ فاقترح واضعوها البدء بتحسين علاقة إيران مع دول الجوار بما فيها العراق، لكن بعد أن يسقط نظام صدام حسين! لأن تحسين العلاقات مع دول الجوار سيؤدي إلى هجرة أعداد من الإيرانيين إلى هذه الدول؛ ويمكن من خلالهم تحقيق اختراقات في كل المجالات.

ونبهت الوثيقة على أن ذلك التوجه سيحتاج إلى وقت كي يُؤتي أُكُله، فقالت: «لا تفكروا أن خمسين سنة تُعدُّ عمرًا طويلاً؛ فقد احتاج نجاح ثورتنا خطة دامت عشرين سنة».

ثم حددت الوثيقة مراحل مهمة في طريقة تطبيق الخطة:

المرحلة الأولى: وتعدها الوثيقة قد نُفِّذت، وهي تثبيت الواقع الداخلي في الدولة الإيرانية لحساب الجماهير المناصرة لولاية الفقيه، بما يُعطِي ثقةً لشعوب الجوار القريب التي بها كثافة شيعية أن حال الثورة مستقر ويُعتمد عليه.

المرحلة الثانية: وهي تخصيص عشر سنين لترويج المذهب في دول الجوار الأخرى، مثل أفغانستان وباكستان، وتركيا والعراق، والبحرين، وذلك عن طريق تكليف العناصر الشيعية المقيمة والمهاجرة بشراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت، ويزيدوا عدد السكان الشيعة. مع إنشاء علاقات وصداقات مع أصحاب رؤوس الأموال والمشاهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.

وأوصى واضعو الخطة بالنفاذ إلى القرى والبلدات المتفرقة التي لا تزال في طور البناء بشراء وتسكين المهاجرين فيها لزيادة الكثافة السكانية الشيعية بها؛ تمهيدًا لإخراجها من نفوذ السنة، مع السعي للحصول على تراخيص رسمية للاحتفالات المذهبية وبناء المساجد والحسينيات؛ لأن هذه التراخيص الرسمية سوف تُطرَح مستقبلاً على اعتبار أنها وثائق رسمية.

المرحلة الثالثة: بناء جسور بين كبار أصحاب رؤوس الأموال الشيعة وبين الموظفين الكبار في السلك العسكري والقوى التنفيذية للدول المستهدفة دون تدخل منهم في الأنشطة الدينية، حتى يظهر التشيع كمذهب لا خطر منه، وبحيث يمكن استثمار ذلك في تولِّي بعض الوظائف الحكومية المهمة.

وأوصت الوثيقة بتمكين الاقتصاديين الشيعة في منطقة الجوار الإيراني ليكونوا على استعداد للتدخل الاقتصادي المُربِك في دول الجوار عند حدوث تحولات خطيرة في تلك الدول.

المرحلة الرابعة: وهي تشير إلى إمكانية حدوث قلاقل في الدول المستهدَفة، وعندها كما تقول الوثيقة: (سيكون التجار على وشك الإفلاس والفرار، والناس

مضطربون ومستعدون لبيع ممتلكاتهم بنصف قيمتها؛ ليتمكنوا من السفر إلى أماكن آمنة؛ وفي وسط هذه المعمعة فإن عملاءنا ومهاجرينا سيُعتبرون وحدهم حُماة السلطة والحكم).

المرحلة الخامسة: عندما تكون الشعوب في تلك البلدان مهيأة للثورة؛ بعد سلب الأمن، والهدوء، والراحة؛ ستبدو الكيانات الشيعية المتماسكة كسفينة وسط الطوفان مشرفة على الغرق تقبل كل اقتراح للنجاة بأرواحها.

وهنا يمكن إبراز شخصيات معتمدة ومشهورة لتشكيل مجالس شعبية لتهدئة الأوضاع، وستساعد تلك الشخصيات في ضبط الأمور؛ وستقبل السلطات هذا التدخل، وسيكون مدخلاً لتصدير الثورة إلى بلاد كثيرة دون حرب أو إراقة للدماء، وإذا لم تثمر السلمية في بعض البيئات والمناخات فيمكن إشعال ثورة شعبية تسلب السلطة والحكم[1]!

تصدير الثورة إذن وتوسيع نفوذها، ورسم الخطط المتنوعة لنقلها من مرحلة ناجحة إلى مرحلة أنجح، بحسب مقتضيات الزمان والمكان؛ هو ما أعان على استفحال شأنها في دول الجوار أو دول (الهلال) على النحو الذي رآه العالم بعد أقل من ثلاثين عامًا من وفاة الخميني مؤسِّس المشروع الإيراني، الذي وجد من يأتي بعده فينافسه في رسم استراتيجيات جديدة، مع المضي في إنجاز ما تبقى من القديمة.

ومع كل ذلك نقول: إن ظلَّ الخرافة لم يكن بعيدًا عن تلك الاستراتيجيات «الواقعية»! فمن العجيب أن الشيعة الذين احترفوا التحريف والتزييف، وتدينوا

(١) نشرت هذه الوثيقة رابطة أهل السنة في إيران - مكتب لندن، ونشرتها مجلة البيان اللندنية في عدد (١٢٣) الصادر في ذي القعدة - ١٤١٨هـ - مارس ١٩٩٨م.

وتعبدوا بالكذب الذين يسمونه (تقية) وصلت جراءتهم في محاولات جلب معاني القداسة واحتكارها لمشروعهم المذهبي العنصري؛ إلى حدّ أن رسموا لمشروعهم معالم إمبراطورية (مقدَّسة)، بحدودها وامتدادها وعاصمتها، ومن ذلك أنهم اخترعوا مكانة لمكان لا قيمة له في تاريخ الرسالات والنبوات - وهو مدينة (طهران) ليُطلقوا عليها اسم (أم القرى)، لتصبح (العاصمة المقدسة)، وتكون بديلاً عن مكة المكرمة المعظَّمة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وادعى كذابوهم أن وصف (أم القرى) يمكن أن ينتقل من مكان إلى مكان بحسب مجريات التاريخ في نصرة الدين، واختار بعض مفكريهم ومنظِّريهم ذلك الاسم ليطلقوه على نظرية لمشروع جائر وجريء؛ يهدف في النهاية إلى إعلان دولة الخلافة أو الإمامة الشيعية المنتظَرَة!

وقد كان عهد خامنئي هو الظرف الزمني الذي أُطلقت فيه هذه النظرية، وانطلقت فعاليات نقلها من حيز النظريات والفرضيات الخيالية إلى عالم وضع الاستراتيجيات الواقعية، والتطبيقات الميدانية.

نظرية (أم القرى) من الإمبراطورية إلى العالمية:

صاحب هذه النظرية هو (محمد جواد لاريجاني)[1]، والنظرية تأسيس سياسي

(١) محمد جواد لاريجاني هو أحد أبرز خبراء إيران في مجال الفيزياء، وهو رئيس مؤسسة دراسات العلوم. تولى منصب مساعد وزير الخارجية لعدة سنين في عهد الخميني، شقيقه الأصغر هو علي لاريجاني - الذي ترأس البرلمان الإيراني -. وجواد يحمل شهادة الدكتوراه في الفيزياء من إحدى الجامعات الأمريكية المعروفة، وهو معجب بالمجتمع الأمريكي وثقافته، ويجيد اللغة الإنجليزية بدرجة ممتازة وله علاقات وثيقة مع الأوساط الإعلامية والجامعية ومراكز الأبحاث المتخصصة بشئون الشرق الأوسط في الولايات المتحدة، وتتسم شخصية محمد جواد لاريجاني بمزجها بين الجوانب الثقافية القومية والمذهبية الشيعية والبراجماتية السياسية، وربما كان مردُّ ذلك الخلفية العائلية والعلمية والتربوية له. وهو واحد من مثقفي إيران البارزين، كان له من الأطروحات الثقافية ما أثار الكثير من الجدل والإشكاليات والاجتهادات السياسية والمذهبية داخل إيران. شغل لاريجاني=

وتنفيذي لانتقال المشروع الإيراني المعاصر من مرحلة الثورة، ثم الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية الإقليمية، ثم «الإمامة العالمية»! حيث يعتبر صاحب النظرية أن من حق إيران؛ بل من واجبها أن تشيِّد دولة قوية تجعل العالم الإسلامي كله تحت قيادتها، تكون ممثلة للإسلام الحقيقي في زعمه، والمنطَلَق في رأيه هو (نظرية ولاية الفقيه) التي يرى لاريجاني أنها وإن نجحت في توسيع الرقعة الديمغرافية (السكانية) لخريطة الانتشار المذهبي الشيعي؛ إلا أنها أخفقت في توسيع الرقعة الجغرافية لذلك المشروع، على الرغم مما مضى من عقود على انطلاق ثورة ولاية الفقيه؛ حيث إن حدود إيران السياسية لم تتمدد فعليًّا خارج أراضيها طوال تلك المدة، في حين أن أصل المشروع - كما تصوَّره الخميني - أن تمتد قيادة إيران السياسية في العالم الإسلامي كله من إندونيسيا شرقًا حتى أقصى المغرب العربي غربًا، ومن صحراء سيبريا شمالاً حتى جنوب إفريقيا جنوبًا!

ولأجل الوصول إلى تحقيق المشروع الإيراني بهذا المعنى؛ طرح لاريجاني تصورًا للمراحل التي ينبغي أن يمر بها ذلك المشروع:

أولها: نشر ثقافة الانتماء إلى الجماعة الشيعية؛ باعتبارها في زعمه تمثِّل الإسلام الصحيح لا غيرها.

=- بالإضافة إلى ذلك - العديد من المواقع المُهمة؛ فقد كان عضوًا ومستشارًا في مجلس الأمن القومي الإيراني؛ ليصبح أحد أهم العقول التي صاغت السياسة الخارجية التي تعتمدها إيران اليوم، والتي أثَّرت في توجهها وبلورة رؤيتها الاستراتيجية تجاه المنطقة والعالم. كما شغل عدة مناصب أخرى لا تقل أهمية عما سبق؛ كموقعه في مجلس الشورى الإسلامي إذ كان نائبًا عن العاصمة طهران، ومديرًا لمركز الدراسات الاستراتيجية التابع لمجلس الشورى، الذي كان يقترح لأعضائه السياسات والتصورات الاستراتيجية على صعيد السياسة الخارجية. وتلقى تحليلاته خارج إيران المزيد من الاهتمام في المحافل ومراكز الأبحاث وصناعة القرار الغربية؛ لكونها تسهم في صياغة السياسة الخارجية الإيرانية في كثير من الأحيان.

ثانيها: إقامة كيانات سياسية على أساس ذلك الانتماء مهما كانت الوسائل؛ سلمية كانت أو ثورية؛ مسلحة أو غير مسلحة، بحيث تكون هذه الكيانات مربوطة بالثورة الأم.

وثالثها: اندماج تلك الكيانات في الكيان الأصلي في إيران، تحت قيادة (أم القرى) في طهران!

لذلك يتمسك لاريجاني بضرورة إضافة وصف (العالمية) للحكومة «الإسلامية» في إيران؛ لأن تلك الحكومة العالمية هي في ذاتها غاية، - إضافة إلى كونها وسيلة - لتمكين المشروع الإيراني العالمي. إلا أن إقليم جنوب غرب آسيا - الآنف الذكر - هو منطلق تلك الدولة العالمية المنشودة.

كيف فلسَفَ لاريجاني جَعْل طهران (أم القرى) بدلاً من مكة المكرمة التي نصَّ القرآن على أنها هي دون غيرها أمُّ القرى في قول الله تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

يقول لاريجاني «إذا ادعت دولة بأنها (أم القرى) فيجب عليها أن ترفع مستوى قياداتها إلى أبعد من حدودها الجغرافية، وأن تجعل تلك القيادة مفضلة لدى كل الأمة، وهذه الصفة لأم القرى لا يمكن أن تكون إرثًا لقوم معينين، بل إنه من الممكن أن تكون أم القرى لقوم ما في مدة ما؛ وبعد مدة يسقط هذا الوصف لهم ولها!»[1].

(١) نظرية أم القرى، مقولات في الاستراتيجية الوطنية، تأليف جواد لاريجاني (ص: ٢٥).

وقال لاريجاني صراحة عن أم القرى الجديدة التي هي طهران: «سواء أكانت في زمن قيادة الإمام الخميني الذي كان شمس البشرية، أو في الوقت الحاضر الذي هي فيه تحت ولاية ولي الأمر سماحة آية الله الخامنئي؛ تصبح أم القرى بدون شك هي دار الإسلام، ويصبح عليها أن تقود العالم الإسلامي!»[1].

لذلك فإن ولاية (ولي الأمر) في إيران - كما يرى لاريجاني - لها وجهان: ولاية قانونية للجمهورية الإسلامية في إيران طبقًا للدستور، وولاية شرعية على العالم الإسلامي طبقًا لما تُوجِبه الشريعة الإسلامية.

الإيرانيون إذن يرون أن المرشد الأعلى لجمهوريتهم؛ هو بالفعل (خليفة المسلمين) الواجبة له الطاعة على كل المسلمين!

لكن يبقى السؤال.. أين أهل السنة من هذه الولاية وتلك الخلافة؟ وكيف سيكون مصير المناطق السنية التي تستولي عليها إيران؟ هل ستدخلهم طهران قسرًا في مذهبها ليدخلوا بعد ذلك ضمن رعاياها فتشملهم برعايتها وحمايتها بعد خضوعهم لطاعة ولاتها؟ أم تبيد من أبَى منهم التشيع على الطريقة الصفوية أو على طريقة (هرمجدون) الإنجيلية وحرب (اليوم السابع) التلمودية، خاصة بعد سماح العالم الصليبي لها أن تصبح دولة نووية؟!

واقع خرافي أم خرافة واقعية؟

على الرغم من قيام المشروع الإيراني الفارسي الشيعي الاثني عشري على خرافات وأباطيل وأساطير جرى اختراعها بالأمس وقبل الأمس، لكنها تحوَّلت إلى خرافات مسلحة وأباطيل مدججة بالأساطيل، ومسنودة بسائر أنواع الترسانات والمعدات،

(١) المصدر نفسه (ص ٢٦).

ويُحشد لها المستطاع من الإمكانات، سياسية كانت أو اقتصادية، أو إعلامية أو تعليمية، أو تقنية حتى أصبح لهم مشروع في مشروعات، وخطط جاهزة للتنفيذ على خطوات!

كيف تحوَّلت الخرافة الشيعية الرافضية إلى واقع خطر؟ مثلما تحولت الأساطير اليهودية الصهيونية إلى واقع مدمر؟

إن المشروع الإيراني تأسَّس أولاً على البُعد الخرافي العقدي الذي سبَق تفصيل الكلام عنه، وحاول هذا البُعد العقدي أن يتقوى ببُغض عنصري تاريخي، ليتمدد بعد ذلك في أبعاد سياسية واستراتيجية، وعسكرية واقتصادية، وإعلامية وتعليمية، فما القصة؟ لنتأمل ونراجع تلك الأبعاد:

الأبعاد الاعتقادية للمشروع الشيعي:

المشروع الإيراني - كما تقدم - قام على (أيديولوجيا) مذهبية مهدوية خلاصية، تشمل عامة الشيعة وخاصتهم في العالم، وهو يستهدف في غاياته ووسائله أهل السنة في العالم، عامتهم وخاصتهم، وعلى الرغم من أن أهل السنة هم الأكثرية المطلقة بالنسبة إلى طوائف المسلمين، فلم يكن لهم منذ سقط كيانهم العالمي - بسقوط الخلافة العثمانية - أية (أيديولوجيا) من الناحية السياسية الواقعية تجمع أنظمتهم، أو توحِّد توجه حكوماتهم، بينما نجحت إيران منذ قيام ثورتها في اجتذاب طوائف الشيعة في المجتمعات التي بها وجود شيعي، فذهبت بالانسجام المجتمعي الذي كان موجودًا قبل الثورة الخمينية، واستقطبت إلى جانبها القسم الشيعي في كل قُطر تحت قيادة مركزية دينية تُضفي على نفسها صفات العصمة، وقيادة أخرى سياسية تريد الظهور باحتكار الحكمة، في حين بقي السُّنة بلا قيادة جامعة لجماعاتهم ولا مجتمعاتهم، لا سياسية ولا دينية.

الفارق في تأثير المذهب – المعمول به – في المشروع الإيراني القائم منذ أكثر من ثلاثة عقود؛ وبين تأثير المذهب في المشروع السُّنِّي غير المعمول به أو المجمَّد أصلاً منذ نحو قرن أو يزيد؛ هو أن المذهب الشيعي المعاصر له حُماته ومهماته وخططه، وله منظِّروه ومنفِّذوه والقائمون عليه، في حين لم يتبلور للمذهب الاعتقادي السُّنِّي بعدُ مشروع رشيد سديد له جهة تحميه، وأمة تجتمع عليه.

والسبب الأكبر في ذلك؛ أن مذهب اللا مذهب واللا دين المسمى بـ(العلمانية) قد فرَض أصحابه سطوتهم على بلاد السنة لأكثر من عشرة عقود، ففرَّغوا جعبتها، وفرَّقوا صفوفها، وأهدروا طاقاتها ومقدراتها، ورهنوها لأعدائها، في حين أن المشروع الإيراني الذي انطلق منذ ثلاثة عقود – فقط – أطلق بالباطل الطاقات، ورصَّ بالضلال الصفوف، وملك الأيديولوجيا الجامعة والتخطيط الواضح، مع ترابط بين القيادة والرعية الشيعية، وبين المراكز والفروع في البلدان الموجودة فيها، مما وفَّر إمكانات التطوير والتجييش والتثوير لدى جماهير متحفزة، تحمل طموحًا؛ بل جموحًا لنصرة قضية هي بالنسبة إليها قضية موت أو حياة.

ليس من الحصافة أو الحكمة، أو حتى من العقلانية هنا أن يقال: إن هناك مبالغة في تقدير الخطر الشيعي، فهم لا يمثلون سوى ١٣٪ من تعداد سكان العالم الإسلامي! يعني لا يزيدون عن مائتي مليون من البشر.

والجواب أن اليهود (الغرباء) عن المنطقة لا يزيدون اليوم في فلسطين عن ٥,٩ مليون يهودي في مقابل ٥,٦ مليون فلسطيني، ويجاورهم نحو ٣٩٠ مليون عربي، ووراءهم نحو ٢ مليار و٩٠ مليون نسمة من المسلمين، بحسب إحصاءات عام ٢٠١٥م، ومع ذلك فلا وجه للمقارنة بين قدرات وإمكانات اليهود الذاتية اليوم،

وبين قدرات وإمكانات جيرانهم العرب الجماعية، كما هو معلوم للجميع. فالفارق هنا هو فارق الكيف لا الكمّ، كما هو معلوم مشاهَد.

وقد أثبتت تطورات السنوات العشر الماضية؛ كيف أن هذه «الأقلية» العددية الشيعية، استطاعت أن تفرض إرادتها، وتبسط هيمنها على أربع عواصم عربية سُنية، وهي في طريقها إلى المزيد، إن لم تجد من (الأكثرية) الساحقة ردًّا رادعًا، وصدًّا موجعًا، ومشروعًا جادًّا مؤهلاً للتحدي، ومستعدًّا للنزال، لا مع المشروع الإيراني المعادي فحسب، بل مع كل مشروعات العداء الأخرى.

مشكلة الشعوب في البلاد السنية المستهدفة بالمشاريع المتعددة شيعية وصهيونية وصليبية غربية وشرقية؛ أنها لم تعد تحمل - في ظل نفوذ العلمانيين المنقلب والمتقلب - أية قضية؛ غير أوهام القوميات الجاهلة والوطنيات الفارغة، التي لم تنتصر في أيِّ تحدٍّ، ولم تتحد في أيِّ مواجهة، بل إن أوهام وحدتها المدَّعاة على المستوى القومي أو الوطني، لم تصمد في أوقات المحن والأزمات، فمزَّقتها الفتن كل ممزَّق.

العالم كله يرى الشرعية الدينية في المشروع الإيراني لا تنفصل عن الشرعية السياسية، بل لا قيمة للسياسة بدون الدين لدى الشيعة، كما هو الشأن لدى الدولة اليهودية أيضًا، بينما رفع العلمانيون المتحكمون في رقاب غالبية شعوب السنة شعار العلمانية البغيض (لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة) تحت حراسة الغرب وحرابه.

أما الربط بين الدين والسياسة عند الشيعة فهو الذي أوجد معنى (الجماعة) عندهم، وقد كان أهل السنة و(الجماعة) أولى بهذا!

الشرعية الدينية في المشروع الإيراني؛ لا تعني شيئًا آخر غير قواعد الاعتقاد الإمامي الاثني عشري؛ بانحرافاته وخرافاته التي صِيغت في أصول قامت على حراستها

مؤسسات سياسية وعسكرية، وإعلامية وتعليمية.

وأُعيد هنا أبرز المبادئ المستمدة من تلك الأصول العقدية - اختصارًا - لكن مع بيان الطريقة التي وظَّف بها القائمون على المشروع الإيراني هذه العقائد؛ بحيث يمكن القول: إن تلك العقائد تحوَّلت إلى مشروع شِبه متكامل، على الرغم من قيامها على الباطل.

» **أولاً: توظيف معتقد الإمامة والولاية:**

فالاعتقاد بوجود اثني عشر إمامًا (معصومًا) لا حق لغيرهم في الإمامة. وأنهم منصوص على أسمائهم وأعدادهم في الوحي المزعوم لدى أئمة الشيعة، وأن آخرهم المنتظر الذي سيظهر حتمًا لنصرة أنصاره. وظَّفه زعماء الشيعة المعاصرون في ربط جموع الشيعة في العالم بهدف عقائدي مستقبلي يستحق في نظرهم البذل والصبر والتضحية، ويستسيغون من أجل خدمته طول الطريق وتعب المراحل. ووظَّفُوه من جهة أخرى في تنزيل أشخاص (ولاية الفقيه) منزلة (الأئمة) في التبجيل والطاعة والانقياد.

» **ثانيًا: توظيف مبدأ البراءة العقدية:**

فكل من تقلَّد مناصب الإمامة والخلافة غير أئمتهم الاثني عشر، فإنهم ومن معهم من الأنصار - في اعتقاد الشيعة - كفار، تجب معاداتهم والبراءة منهم؛ لأنهم (نواصب) قتلوا الحسين وناصبوا أهل البيت العداء.

وقد وُظِّف هذا المعتقد في شحذ الهمم الضالة، وشَحْن الطاقات المعطَّلة، ضد أهل السنة، ليصبَّ ذلك كله في أخذ المشروع الإيراني بقوة، على مستوى القيادة الرئيسة في طهران، والقيادات الفرعية في كل الساحات المستجدَّة، ليتعاون الجميع في الإبقاء على جذوة الحماس الشيطاني مشتعلة، تتجدد في المناسبات الدينية، والمعارك المذهبية.

» ثالثًا: توظيف تعظيم المقدسات:

فقبور أئمة الشيعة ومراقدهم، وكذلك مشاهد (الأولياء)، وأضرحتهم «المقدسة»؛ وُظِّفت بإيجاب العمل لحمايتها، وتحرير ما وقع منها تحت أيِّ حكم أو سلطان غير شيعي. ومرجعيات الشيعة الدينية وقياداتهم السياسية يوظِّفون هذه المعتقدات أيضًا في توجيه الجهود صوب أهداف محددة، تُرسَم خطط الوصول إليها تكتيكيًّا واستراتيجيًّا وعلى مراحل، بحيث يضمنون بها دورًا لكل فرد مهما كان واقعه أو موقعه.

» رابعًا: توظيف كراهية الخصم:

فالكذب (الواجب) على الخصم باسم التقية، وأذاه (المباح) بكلِّ ما يُوهنه ويهينه ويُضعفه، هذا المعتقد وهذا التشريع الخبيث، يوظَّف على أوسع نطاق في إلحاق الأذى بأهل السنة في البلدان التي تقوى بها للشيعة شوكة، حتى لو لم تكن لهم في ذات المكان دولة، وإذا لم تتمكن كيانات الشيعة بنفسها من القيام بتلك المهمات فالتحالف مع الأعداء القادرين على أذى السنة، يدور عندهم بين الجواز والوجوب.

» خامسًا: توظيف عقيدة التمهيد:

فالاعتقاد بأن المهدي يمكن «التعجيل» بخروجه، عن طريق السعي في «التمهيد» لهذا الخروج بتحقيق «الأشراط» التي تسبق مجيئه؛ يلقى من رموز الشيعة تشجيعًا، يجعل حتى الرعاع والهمج يحلمون بأنهم يمكن أن يكونوا أصحاب دور «تاريخي» في صناعة الحدث «الكوني» غير المسبوق، وهو (استخراج المهدي).

ولا شك أن هذا التوظيف لتلك الخرافة يزيد في مضاعفة الجهد لخدمة المذهب ومشروعه، وخاصة عندما يتصدر لتلك المهمة رجال دين بارزون، فالمهدي عندما

يقترب ظهوره ينبغي له أنصار (ممهدون) من الخواص والعوام، وكل ممهَّد له «شرف» المساهمة في مطلب (التعجيل) بظهور المنتظر الموعود.

وتلعب المرجعيات بهذا المعتقد على وتر إشباع غرائز البطولة المزيفة، والرمزية المصطنعة، لكل مَن يقوم بدور بارز في دفع (المشروع الإيراني)، وهدفه القريب والبعيد، وهو: مهمة «التمهيد».

ولذلك نرى علماء الشيعة يمسكون عن نقد كلِّ حركات الخبل والخراب بدعوى التمهيد، ولعل أبرز مثال على ذلك حركة العته التي عُرفت إعلاميًّا بـ(فرق الموت) بقيادة مقتدى الصدر، وكذلك تصنع التريث في الرد على دعاوى الحوثيين بأن زعيمهم هو الممهد الأكبر أو (الموعود اليماني) الذي سيمهِّد من اليمن عملية الخروج الميمون!

» سادسًا: توظيف شعار (يا لثارات الحسين)!

الانتقام والثأر عند الشيعة لا يسقط بالتقادم، ولا حتى بموت المطلوب الثأر منه، كما ظهر من عقائدهم في رجعة أموات للانتقام من أموات، ويظل هذا المبدأ الوحشي، يصنع وحوشًا وكائنات كاسرة لا إنسانية، تتراقص وتتمايل وسط نزف الدماء، تحت وقع الأناشيد الثأرية الحماسية الهجائية البكائية، تحت أنغام الشعار الذي صنعوا منه شعيرة، بل شريعة، وهو (يا لثارات الحسين)!

حول هذه المبادئ الاعتقادية الخرافية، حاولت القيادات الدينية والسياسية للمشروع الشيعي - وستظل تحاول - الظهور بمظهر الثائر على الدوام، فتجعل من ذلك المشروع طريق (ثورة وثأر) أو ثورة من أجل الثأر، لذلك فالقيادة الإيرانية وأذرعها تمارس بتلك العقائد سياسة ثورية، وإعلامًا ثوريًّا، ودعوة ثورية لمشروع محارب ثوري وثأري.

قد يقال: هكذا شأن الثورات تظل تثور وتثأر حتى تقر أعين مشعليها، وتستقر أوضاعها وتتحقق مراميها؛.. لكن يبقى السؤال ثأر لمن وممن؟ وثورة مَنْ ضد مَنْ..؟ وما حد القرار لأعينهم والاستقرار لأوضاعهم؟!

الجواب المعروف الذي نعلمه ولا ينكرونه؛ هو أن مشروع إيران ثورة ضد الأحياء وثأر للأموات! أحياء السنة وأموات الشيعة! ولا قرار لهؤلاء ولا استقرار إلا بنيل المراد من الأعداء، لذلك فمشروع إيران ليس مجرد ثورة تريد أن تكون دولة، بل هو صراع مفضوح ومفتوح، يمثل في جوهره عبثًا تخريبيًّا، لا علاقة لها بالأخلاق أو القيم أو العقائد المصلحة دينًا أو دنيًا، وحتى التقدم والعمران في بلاد المسلمين، غير مرغوب إلا للشيعة.

لعل هذه الطبيعة السادية الاستئسادية في مشروع إيران لكل ما هو إسلامي سُني؛ هو السبب في أن تكون تلك الثورة هي الوحيدة التي تحمل وصف (الثورة الإسلامية)، ومع ذلك سمح لها بالوجود والاستمرار والتمدد! بخلاف غيرها من عشرات الثورات ومحاولات التغيير السنية التي لم يصبر عليها أكابر المجرمين فيما يسمى (المجتمع الدولي) حتى أجهضوها أو أفشلوها، فلم تقم القوى الكبرى بأيِّ عمليات حربية هجومية أو تحالفات عسكرية دولية، ضد هذا الكيان، إلا ما كان لأجل قصر أذاه على الجيران، دون مساس بمصالح القوى المتحكمة في المجتمع الدولي.

من المنطلق الاعتقادي الثوري، عمل القائمون على المشروع الإيراني على إنشاء وتقوية أذرع سياسية وعسكرية في المناطق التي بها وجود شيعي، وجرى تصنيع وتوزيع زعامات دينية تتولى قيادة تلك الأذرع، بما يجعل كلا منها مشروعًا فرعيًّا قائمًا بذاته، وداعمًا للمشروع الأصل.

وتحقق لإيران من خلال تلك الأذرع انتشارًا وتمددًا لم يكن يخطر على بال أحد - وسط سمع وبصر العالم - فلم يكد يمضي على الثورة الإيرانية ربع قرن؛ إلا وقد سيطرت من خلال أذرعها على أربع عواصم عربية من الإقليم الذي يسمونه (جنوب غرب آسيا)، أو منطقة «الصدع المذهبي»، وهذه العواصم هي (بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء)، وهي تتهيأ منذ سنوات للوثوب على عاصمة أخرى عربية خامسة، وهي المنامة عاصمة البحرين.

وكل هذا يشعر بأن قوى الطغيان في العالم أرادت أن تستنسخ أنموذجًا معاصرًا للدولة الصفوية، تستخرجه من بطون التاريخ بعد أن أيقنت أن الروافض لن يرقبوا في أهل السنة إلًّا ولا ذمةً، فيوفروا عليهم الكثير من الجهود العدائية، والحروب الجزافية التي تعب الغرب منها، فطلب الوكالة فيها، وقد قبلت إيران الوكالة من غير تعاقد، بل وكلت وكلاءها المعتمدين، بالتحدث باسمها، والتحدي نيابةً عنها.

الأبعاد العنصرية للمشروع الشيعي:

البُعد العنصري في المشروع الإيراني لا يقل خطرًا عن البُعد الاعتقادي، فالمشروع الإيراني فارسي الهوية مجوسي الهوى.

والظاهر أن مشروع إيران لم يتطهر من أدران النيران التي قدَّسها أهل فارس قبل أن يطفئها المسلمون الموحدون الأوائل. فهو كما يقوم على كراهية أهل السنة بداء الطائفية المذهبية الاعتقادية؛ فإنه يقوم على ازدراء العرب تحت تأثير سُمِّ الكراهية العنصرية.

وكراهية ضُلال الفرس للعرب لا تقل عن كراهية كفار بني إسرائيل لهم. ومن العبارات المتداولة شعبيًّا عند الإيرانيين الفُرس: «العربي في الصحراء يأكل الجراد،

بينما كلب أصفهان يشرب الماء البارد»! وعندما يريد الإيراني التعبير عن كراهيته ورفضه لشيء، فإنه يقول: «لا أحب كذا، كما لا أحب حليب الناقة ورؤية العرب»!

استعلاء الفرس على العرب له جذور تاريخية، فعندما كان للفرس إمبراطورية هي إمبراطورية كسرى، كانت المناطق العربية المجاورة خاضعة لنفوذهم، ولم يكن للعرب طيلة عهد الفرس كيان مهيب إلا عندما جاء الإسلام، فلم يمضِ على بدءِ انتشاره ربع قرن، حتى أسقط إمبراطورية الفرس المجوس، وأطفأ نارهم التي كانوا يعبدونها ويقدِّسون استمرار اشتعالها في إيوان كسرى، وعندما دخل الفرس في الإسلام كان منهم من دخل صادقًا، وهناك مَن دخلوا متظاهرين به، مدَّعين الخضوع والاستسلام له، لكن قلوبهم ظلت منطوية على حقد وكراهية ورغبة في الثأر من العرب، ومن الدين الذي فتحوا به بلاد فارس.

وعندما أنشأ اليهودي (عبد الله بن سبأ) مذهب التشيع؛ وجد الضالون من الفرس ضالتهم فيه، فدخل كثير منهم في الإسلام نفاقًا، كما فعل ابن سبأ، ولهذا عدَّ كثيرٌ من أهل العلم مذهبَ الرفض من صور النفاق، فهو يقوم على إظهار خلاف الباطن، ولا يخفى أن مذهب التشيع ألحَق بالمذاهب الباطنية؛ لأنه يجعل لنصوص الشريعة ظاهرًا غير مراد، وباطنًا مرادًا، لا يعلمه إلا الخواص منهم.

المحاولات الفارسية الباطنية للفتك بكيانات الإسلام العربية عبر التاريخ كثيرة، ومن ذلك مؤامرات وحركات (أستاذ سيس) سنة ١٣٦هـ، و (بابك الخرمي) سنة ٢٠٢هـ، والأفشين سنة ٢٢٤هـ، و(مرداويخ) سنة ٣٢٢هـ.

وقد تحوَّلت بعض تلك الحركات إلى دول، مثل (دولة البويهيين والساسانيين والزيدية)، ثم جاءت الدولة الصفوية التي أسَّسها إسماعيل الصفوي في إيران لتتوِّج

المسعى الفارسي للانتقام من أهل السنة ومن العرب، وأيضًا السنة غير العرب، فقد ناصبت تلك الدولة الصفوية دولة الخلافة التركية العداء - كما مر - من الناحيتين المذهبية والعنصرية، فالفرس - إلا من طهَّره الله بالإسلام - يكرهون الترك كما يكرهون العرب، وكراهيتهم للأتراك زادت لتزعمهم العالم السُّنِّي لنحو خمسة قرون، ووقف الصفويون الفرس في صفِّ النصارى الروس والبرتغاليين والهولنديين والإنجليز ضد المسلمين الأتراك العثمانيين؛ لأنهم سُنَّة، وقد أسقط الأفغان من أهل السنة دولة الصفويين، وقامت بعدهم المملكة (القاجارية) ذات التوجه الشيعي لتستأنف العداوة للدولة العثمانية مع أن أصول القاجريين تركية، غير أنهم كانوا شيعة؛ لذلك ناصبوا دولة الخلافة التركية العداء لسُنِّيتها، حتى سقطت الدولتان بعد الحرب العالمية الأولى، فجاءت الدولة البهلوية الشاهنشاهية (آل بهلوي)، ولكن تلك الدولة رغم علمانيتها، ظلت على عدائها للعرب من ناحية عنصرية أكثر منها مذهبية؛ لعدم وجود خصم مذهبي يُخشى منه؛ إذ لم يكن للانتماء السُّني في تركيا أيُّ أثر سياسي بعد سقوط الدولة العثمانية ومجيء عهد العلمانية الأتاتوركية.

تعتبر إيران نفسها بعد الثورة الخمينية الوريث الشرعي لإمبراطورية الفرس، ولذلك فهي تُعدَّ دول الخليج امتدادًا لمناطق النفوذ الفارسي الذي لا بد من استرجاعه.

وقد برزت في إيران - بعد الثورة - الزعامات السلطوية ذات الأصول الفارسية، فظلت محتفظة بالتوجهات العدائية للعرب وللكيانات السُّنية، ومع أن أهل السنة هم الأغلبية المذهبية الثانية في إيران، فإنه لا يوجد سُنِّي واحد في المناصب الرئيسة في المؤسسات السيادية.

ومع وجود نحو مليون سُنِّي في العاصمة طهران فلا يوجد مسجد واحد لهم هناك، بينما تكثر الكنائس ومعابد اليهود والمجوس، بما يدل على أن لليهود والمجوس اعتبارًا في إيران أعلى من السنة.

شعب إيران ليس كله من الفرس، فهم لا يُشكِّلون أكثر من ٥٠٪ من مجموع عرقيات الشعب الإيراني، الذي يبلغ تعداده نحو ٨٠ مليون نسمة، ومع ذلك يهيمن الفرس على جميع ذلك الشعب الذي يمثل الأتراك فيه ٢٣٪، والأكراد ١١٪، والعرب ٥٪، إضافة إلى البلوش والتركستان الذين يشكلون مع بقية الأعراق ٦٪ من شعب إيران، والعجيب أن غالبية الإيرانيين غير الفرس هم من أهل السنة، لكن دولة الخميني تتصرف، وكأن الشعب الإيراني كله فارسي وشيعي، وبالروح نفسها تتعامل إيران مع الشعوب المجاورة بمنطق الهيمنة الفارسية الشيعية؛ ولو كانت تلك الشعوب عربية سُنِّية!!

العداء العنصري المقترن بالبغضاء المذهبي، هما وحدهما المفسِّران لمواقف العداء المزمن عبر التاريخ للسنة والعرب في إيران منذ قيام الدولة الصفوية، التي يذكر بعض الباحثين أنها قتلت من أهل السنة مئات الآلاف لأجل فرض المذهب الشيعي، وقد ورث المشروع الإيراني الراهن تلك الحمولة التاريخية من الضغائن والأحقاد، التي تحدَّث التاريخ عن عجائبها وغرائبها.

ويذكر المؤرخون أن الجيوش العثمانية عندما اقتربت من فيينا، قال السفير النمساوي في فرنسا: «ما لكم حلٌّ لهذا الطاعون القادم - أي: الجيوش العثمانية - إلا الجيش الإيراني»، لقد بلغت كراهيتهم لأهل السنة أن يُفضِّلوا بقاء النصارى على نصرانيتهم حتى لا يدخلوا الإسلام على المذهب السُّنِّي، حتى قال بعض المستشرقين: «لولا الإيرانيين لكنا نقرأ القرآن في بلجيكا»[1].

(١) من مقالة للدكتور محمد عمارة في (مجلة الأزهر نوفمبر ٢٠١٤).

الأحقاد الممتدة حتى وقتنا الراهن تنبئ عن الكثير، فعندما هاجمت الحملة الصليبية الأمريكية كلاً من أفغانستان والعراق في أوائل العشرية الأولى من الألفية الثالثة، قال (محمد علي أبطحي) نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية «لولا التعاون الإيراني ما سقطت كابل وبغداد»، وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط في ١/ ٢/ ٢٠٠٤م أن هاشمي رفسنجاني رئيس ما يسمى مصلحة تشخيص النظام في ذلك الوقت، قال: «لولا الجيش الشعبي الإيراني ودوره في دحر طالبان لغرقت أمريكا في مستنقع أفغانستان».

واليوم تقوم إيران بدور بارز في إجهاض انتفاضات المستضعفين ضد أنظمة المستبدين بعد الثورات العربية، مثلما هو حادث في سوريا واليمن، ويختار «أنصار المظلومين» الانضمام إلى خندق (الاستكبار العالمي) ضدهم، لا لشيء إلا لأن إيران تُبغضهم مذهبيًّا، وتحتقرهم عنصريًّا، ومع ذلك تزعم أنها ثورة لنصرة كل المستضعفين!

الأبعاد السياسية والاستراتيجية للمشروع الشيعي:

لا ينفكُّ المشروع الإيراني في جانبه السياسي والاستراتيجي أيضًا عن الجوانب المذهبية والعنصرية، فإذا كانت بلدان العرب المجاورة هي مطمع الفرس طوال تاريخهم باعتبارها عمقًا استراتيجيًّا لهم، فإن الفتح العربي لبلاد فارس بعد الإسلام هو الذي أطاح بأكبر كيان سياسي للفرس، وذهب بالعمق الاستراتيجي لذلك الكيان ممثلاً في مناطق العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام وخُراسان (أفغانستان اليوم).

وكلما أعاد الفرس النظر في فرص العودة لإيجاد كيان سياسي جديد، تطلعت أنظارهم لذلك العمق الاستراتيجي، خاصة من ناحيته الجغرافية التي لها علاقة بطبيعة أيِّ مشروع سياسي له تطلعات استراتيجية.

إيران تحتل منطقة جغرافية متكاملة، مطلة على مَنْفَذين بحريين دوليين، وهما: الخليج العربي في جنوبها الغربي، وبحر قزوين في شمالها الشرقي، ومن خلال إطلالها على هذين المنفذين البحريين، تتطلع إلى التوسع غربًا وشرقًا، لذلك تُعدّ منطقة الخليج على امتداد سواحله حتى بحر العرب جنوبًا، والمنطقة المحيطة ببحر قزوين في آسيا الوسطى مجالين رئيسين للنفوذ والتمدد في مشروعها.

وهاتان المنطقتان كانتا تاريخيًّا مجال تمدد للفرس، فقبل الإسلام بألف ومئتي عام، أصبح للفرس دولة امتد نفوذها شرقًا وغربًا حول هذين الساحلين، وخاصة في مناطق الوجود العربي الذي توسَّعت فيه إمبراطورية فارس كثيرًا على حساب العرب.

والمشروع الإيراني المعاصر يراوح في خططه بين الاستراتيجيات الخشنة والاستراتيجيات الناعمة - كما أظهرته وثيقة (الخطة الخمسينية) - فبينما اعتمد استراتيجية الحرب الخشنة في الهيمنة على السلطة في العراق بعد الغزو الأمريكي، وكذا في خطواته المتسارعة للسيطرة على مقدرات الأمور في اليمن والساحل السوري؛ فقد سار في كل من لبنان والبحرين على طريقة استراتيجية الحروب الناعمة؛ من خلال تنشئة العناصر القيادية الدينية والسياسية الفاعلة بين قم وطهران، والإكثار من إنشاء الحوزات العلمية المرتبطة بالمؤسسة الدينية الإيرانية، مع التوسع في الأنشطة «الخيرية» الشاملة، بغرض تمكين المذهب الشيعي.

كلُّ ذلك تنفيذًا لفكرة (أم القرى) التي تسيطر على العقلية الإيرانية، حتى قبل أن يصوغها (لاريجاني) في صورة نظرية؛ حيث جعَل المنظرون للمشروع الإيراني طهران مركزَ الأهمية السياسية والاستراتيجية في الوسط الإقليمي المحيط.

ويبدو أن الإيرانيين لم يعودوا محتاجين إلى مبدأ (التقية) للتغطية على أطماعهم في المنطقة العربية أو (إقليم جنوب غرب آسيا)، فقد أدلى اللواء (محسن رضائي) - القائد السابق للحرس الجمهوري الإيراني، والذي تولى بعد ذلك منصب رئيس مصلحة تشخيص النظام - بتصريح قال فيه: «عندما أتحدث عن الإقليم فهذا يعني جنوب غرب آسيا، وتركيزنا على هذه المنطقة بالتحديد؛ لاعتقادنا أن لها قدرات كبيرة تتجاوز منطقة الشرق الأوسط، والتركيز على هذه المنطقة يوفِّر لإيران إمكانات كبيرة جدًّا للحفاظ على أمنها القومي»[1].

هذه النظرة الجيوسياسية لذلك الإقليم، ليست جديدة في المشروع الإيراني المعاصر، بل وُلدت بميلاده، فقد أدلى أول رئيس للجمهورية الإيرانية بعد ثورة الخميني بتصريحات لقناة الجزيرة في ١٧ يناير سنة ٢٠٠٠م قال فيها: «كان الإمام الخميني يقول: إنه يريد إقامة حزام شيعي يفرض القيادة على العالم الإسلامي، يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما تصبح إيران قائدة لهذا الحزام، ستستخدم النفط في تلك المنطقة وموقع الخليج «الفارسي» للسيطرة على بقية العالم الإسلامي»!.

إن هذا ما أُطلق عليه بعد ذلك «الهلال الشيعي». ولا شك أن مشروعًا بذاك الطموح التوسعي، لا بد أن يستند إلى حائط منيع بالقدرات العسكرية، من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية لتغطية السياسات الدفاعية والهجومية، وتصرُّ إيران على أن تكون لها قوة نووية رادعة، تمنع وقوف أيَّ قوة تهاجم تمدُّد مشروعها المستقبلي، وهي تلعب في هذا الموضوع بعامل الوقت، وتستغل التناقضات الدولية للوصول إلى أهدافها، كما برهنت على ذلك وقائع تعاملها مع دول الغرب فيما يتعلق بمشروعها النووي.

---

(١) دورية (العرب وإيران) عدد، ٢٦ لسنة ٢٠١١م، مقال: «مكانة الإقليم في سياسة إيران الخارجية».

نوايا إيران النووية:

البرنامج النووي الإيراني يمثل مسعى لإنتاج قنبلة نووية فارسية شيعية، تمثِّل بها إيران تهديدًا جوهريًّا لأمن الخليج ولأمن المنطقة العربية، خاصة وأنه لا يوجد أيُّ مانع لدى إيران الشيعية من قيام تحالف فارسي روسي أو حتى تواطؤ فارسي غربي صليبي أو يهودي صهيوني - إذا اقتضى الأمر؛ ضد السنة والعرب في المنطقة.

وقد مر المشروع النووي الإيراني بمراحل عديدة حتى تم الاتفاق النووي الأخير بين إيران وبين الدول العظمى:

- ففي عام ١٩٥٨م انضمت إيران إلى الوكالة الدولية للطاقة النووية.
- وفي عام ١٩٧٩م قامت الثورة الإيرانية فأنهت التدخل الغربي في البرنامج النووي.
- وفي فبراير ٢٠٠٣م وقبل الغزو الأمريكي للعراق، قام المدير العام السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية الدكتور (محمد البرادعي) بزيارة تفقدية للبرنامج النووي في إيران، وصرَّح بأن برنامجها النووي غير سلمي.
- وفي فبراير ٢٠٠٦م أمر الرئيس الإيراني السابق (أحمدي نجاد) بإنهاء التعاون مع وكالة الطاقة الذرية.
- وفي ديسمبر من العام نفسه؛ صوَّت مجلس الأمن الدولي بالإجماع على فرض عقوبات على إيران؛ لرفضها إيقاف برنامجها النووي.
- وفي سبتمبر ٢٠٠٩م كشفت إيران عن وجود منشأة نووية ثانية لها تحت الأرض في قاعدة عسكرية قرب مدينة قم.

- واستمرت العقوبات حتى عام ٢٠١٥م حيث جرت المفاوضات المعروفة بـ(٥+١) بين الدول الكبرى وإيران بغرض التوصل لاتفاق بشأن برنامجها النووي.

- وأخيرًا، وبعد ١٢ سنة من مخاض دبلوماسي صعب ومعقَّد، تم التوصل إلى اتفاق نووي مع إيران. وكان وراء ولادته أن الولايات المتحدة رغبت في ترتيب الفوضى الشرق أوسطية قبل تخفيض تدخلاتها بالمنطقة، مع وضوح عدم استعداد أمريكا لتكاليف حرب ضد إيران لا يُمكن حساب أبعادها وتداعياتها وتكاليفها، خاصة وأن خصوم إيران الذين كانوا دائمًا يُلقون على أمريكا عبء التعامل مع «الخطر الإيراني» لم يقوموا بأيّة محاولات حقيقية للوقوف بوجه الخطر الإيراني.

وقد أرادت أمريكا استغلال انخفاض قدرة إيران على احتمال العقوبات المفروضة عليها، لتسارع لقبوله طمعًا في إلغاء العقوبات، ورفع الحظر عن مئات المليارات، ولتستعين بتلك الثروة العائدة في توسيع ثورتها، ودفع مشروعها، فالطرفان الموقِّعان على الاتفاق من قوى الكبر والجبروت، لم يضعا في حسابهما إلا مصالحهما على حساب أمة الإسلام. ولهذا لم يكن الاتفاق مجرد حدث عاديٍّ، بل تم التوصل إليه لتغيير شكل الصراعات في المنطقة.

جاء الاتفاق وسط مشهد بدت فيه الولايات المتحدة وهي ترى مصلحتها في التخفف من أعباء أدوارها في الشرق الأوسط تمهيدًا لتركيز اهتمامها على منطقتي شرق آسيا وجنوب شرق آسيا؛ حيث باتت الصين تهدِّد بتقليص نفوذها في تلك المنطقة الحيوية من العالم.

وأظهرت توجهات أمريكا في الآونة الأخيرة أنها تريد إيجاد توازنات جيوسياسية تساعدها على استمرار تفوقها في المنطقة، وتفرض على أبرز اللاعبين الإقليميين التنسيق معها. لذلك؛ كان عليها سحب فتيل خطر القنبلة النووية الإيرانية من خلال معادلة بسيطة: هي ضبط المسار النووي الإيراني وإبقائه تحت المراقبة بشكل يمنع إيران من إنتاج قنبلة نووية في أقل من سنة في حالة وجود أيِّ توتر جديد ينشأ بينها وبين المجتمع الدولي.

وفي المقابل وجدت إيران في هذه الاتفاق تلبيةً لمصالحها؛ فمن ناحية ستُرفع عنها العقوبات الدولية التي أرهقت اقتصادها، ومنعتها من تطوير قدراتها الصناعية والتكنولوجية، ومن ناحية أخرى ستبقى «دولة نووية محتملة»، ما يمنع أيَّة قوة معادية لها من الوقوف ضدها؛ لكونها ستكون قادرة على الرد بعنف ولو بعد سنة.

القائمون على المشروع الإيراني أدركوا أن القنبلة النووية هي سلاح يُمتلك ولا يُستعمل، لكنه يُعطي مالكيه مكانة ومهابة. ومع ذلك يمكن لإيران الاستغناء عنه لأجل معلوم، اكتفاءً بمدِّ نفوذها بوسائلها التي أثبتت جدواها في المنطقة.

التفاهم - كما يظهر - سينحصر بالشأن النووي، ولن يطال مباشرةً الملفات الخلافية بين إيران وأمريكا؛ حيث ستبقى واشنطن ملتزمة بالتصدي لإيران في باقي الأمور التي لها تعلُّق بالتنافس على النفوذ، فلن تتغاضى أمريكا أبدًا عن أطماع إيران التي تخصم من أطماع أمريكا ومصالحها ومصالح حلفائها في أكثر مناطق العالم حساسيةً وأهميةً من النواحي الاستراتيجية والاقتصادية، وحتى الدينية لكل أصحاب الملل والنِّحَل المشهورة المعاصرة.

فالتضاد وليس الاتحاد؛ هو جوهر العلاقة بين الأهداف الإقليمية لكلٍّ من فارس والروم في عصرنا وفي كل العصور، إلا في حال ضمان كلٍّ منهما لمصالحهما بلا أدنى اعتبار لمصالح أصحاب الدار. والتاريخ الحاضر والمستقبل ليس استثناءً في ذلك.

وافقت إيران - بمقتضى الاتفاق - على الحدِّ من عدد أجهزة الطرد المركزي وتقليص مخزونها من اليورانيوم المخصَّب، الأمر الذي سيحرمها من صنع قنبلة ذرية عاجلاً، وهذا سيعني أن سباق التسلح النووي الوشيك لن يحصل، ولكن سيجري سباق تسلح تقليدي غير مسبوق عوضًا عنه، وهذا غاية مُنى أمريكا وشركائها في مجموعة (٥+١).

وخصوم إيران العرب الذين كانوا يحلمون بمواجهة أمريكية مباشرة مع إيران تُضعفها وتحدُّ من نفوذها في الدول العربية؛ وجدوا بعد الاتفاق أن حلمهم لن يتحقق، ووجدوا أنفسهم مضطرين، للعمل المباشر ضد المشروع الإيراني.

ولعل هذا ما عبَّرت عنه التطورات في اليمن؛ حيث بدأ تشكيل تحالف عربي خليجي، يحاول أن يشقّ طريقًا جديدة في المواجهة شبه المنفردة مع ظهور بوادر الاتفاق النووي، وهو ما جسَّدته عمليات (عاصفة الحزم).

ولم تُخفِ أمريكا وحلفاؤها الغربيون نيَّتهم في تمكين خصوم إيران الخليجيين من القدرة على خوض صراع متكافئ معها بأنفسهم، عن طريق بناء منظومات دفاعية متطورة لحماية دولهم وتزويدها بالأسلحة الهجومية الحديثة، ففي النهاية للغرب مصالح لن يتركها لإيران وحلفائها، وهو ما أظهرته القمة الأمريكية الخليجية التي عُقدت في واشنطن في مايو ٢٠١٥م؛ حيث جاء في البيان الختامي للقمة: «الولايات المتحدة والدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي ترفضان أنشطة إيران المزعزعة للاستقرار في المنطقة، وستتعاونان لمواجهتها».

ولكن في الوقت نفسه أكَّد الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) أن الشراكة بين أمريكا ودول الخليج لا تهدف إلى إضفاء صفة الاستمرارية الأبدية على المواجهة طويلة الأمد مع إيران، لكنها أيضًا لا تستهدف تهميش إيران.

أمريكا تريد ضمان دوام تحكمها بمفاصل هذه المنطقة. ولهذا فإنها لن تتوانى في الوقوف بشدة عند اللزوم ضد سيطرة حلفاء إيران على مضيق باب المندب؛ كي لا تتحكم إيران – التي تسيطر على مضيق هرمز – بشكل بكامل على خطوط نقل النفط.

من جهة أخرى سيؤدِّي الاتفاق النووي إلى رفع العقوبات عن إيران ما يعني حصولها على مبالغ ضخمة – ١٥٠ مليار دولار – من أرصدتها المجمّدة، إضافة إلى زيادة إنتاجها النفطي وتطوير قطاعات إنتاجية جديدة تُدِرُّ عليها المزيد من المال.

وهذا سيعني أن تمدَّ نفوذها بصورة أكبر في الإقليم الذي تعده عمقًا استراتيجيًّا لها أي: (إقليم جنوب غرب آسيا)، أو (منطقة الصدع المذهبي) كما يصفه استراتيجيوها، وخاصة المناطق ذات القابلية للخضوع للحكم الشيعي الإيراني.

يضاف إلى ذلك أن الاتفاق يقضي برفع جزئي لحظر تصدير الأسلحة من طهران؛ ما سيسمح لها بدعم حلفائها عسكريًّا.

وتبقى النوايا النووية لإيران حيَّة في ضمير مَن لا ضمير لهم مِن عتاة الساسة الروافض الفرس، الذين لن يتوانوا عن سلوك أيِّ سبيل من شأنه إيقاع المذلة وإشاعة اليأس في قلوب أعدائهم التاريخيين، وربما الوحيدين: المسلمون السُنة.

مخاطر القدرات العسكرية الإيرانية:

بخلاف تطلعاتها النووية؛ فإن إيران تقوم بمناورات عسكرية (هجومية) منذ منتصف التسعينيات تبلغ (٢٠٠) مناورة سنويًّا، وهي لا تخفي هدفها الواضح في

ذلك؛ وهو الهيمنة على منطقة الخليج عندما يحين الوقت، ولديها (سيناريوهات) متعددة في ذلك، فقد كان هناك (سيناريو) لغزو البحرين في أواخر التسعينيات الميلادية، لكن تم تأجيله بعد أن لاحت فرصة للسيطرة على العراق بالتعاون مع أمريكا[1].

فرأت إيران أن فرصة الهيمنة على العراق لا تُعوَّض، ولا بد من اقتناصها قبل ضياعها، فلما تمَّ لها ذلك، استدارت إيران إلى البحرين، في محاولة جريئة للسيطرة عليها من خلال تدبير عملية انقلاب عسكري عن طريق الشيعة البحرانيين للمرة الثانية، فالمرة الأولى كانت في ٣ يونيو ١٩٩٦م، لكنها فشلت فأعادوا الكَرَّة عام ٢٠١١م، مما استدعى تدخل قوات من مجلس التعاون الخليجي لإفشالها.

وفي الشهور الأخيرة من عام ٢٠١٤م، أجرت طهران مناورات عسكرية ضخمة، بحرية وبرية وجوية، في مساحة تقدر بنحو ٢½ مليون كيلو متر مربع، وهي المنطقة الممتدة من مضيق هرمز إلى باب المندب في مدخل البحر الأحمر الجنوبي، وشارك في هذه المناورات ١٣ ألف جندي إيراني، وكانت عين الفرس وقتها على باب المندب؛ استغلالاً لاضطراب الأحوال في اليمن بفعل عملاء أو عُمَّال الفُرس في اليمن، وهم الحوثيون.

إيران بهذه القدرات، وتلك المناورات، لا تريد فقط أن تتحول بمشروعها إلى دولة إقليمية كبرى؛ بل إلى قوة عالمية عظمى، تتحكم بمنابع النفط وممرات الملاحة في ثلاثة من أخطر المضايق الحيوية لاقتصاد العالم وهي: مضيق هرمز، ومضيق باب المندب الذي يتحكم في قناة السويس. ومضيق هرمز الواقع تحت السيطرة الإيرانية التامة؛ هو

(١) انظر كتاب (الحرب القادمة) لكاسبر واينبرجر وزير الدفاع في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان.

بمفرده يمر عبره نحو ١٨ مليون برميل نفط يوميًّا، أيْ: أكثر من نصف إنتاج منظمة (أوبك) لإنتاج النفط.

وإيران بهذا تزاحم المشروعين؛ الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة، وتضطرهما إلى مهادنته لتقاسم المصالح بالإكراه والإلزام، كما حدث بعد غزو الأمريكيين للعراق عام ٢٠٠٣م، بتعاون مع المحافظين الجدد؛ عتاة يهود العالم.

لقد تحول المشروع الإيراني إلى قلق عالمي منذ العام ٢٠١٠م بعد أن استفحلت هيمنة إيران على مثلث (العراق - لبنان - سوريا) انطلاقًا من العراق التي سرقت إيران ثمرات غزو أمريكا له.

وهذه الهيمنة التي بدأت واقعيًّا بعد تمكن إيران من العراق عام ٢٠٠٥م؛ شكَّلت الانطلاقة الأكبر لتصدير الثورة الإيرانية بعد ربع قرن من انطلاقها، فراحت إيران تتطلع إلى الاستيلاء على اليمن والسواحل الشرقية للجزيرة العربية، وهو ما جعل المشروع الإيراني ندًّا للمشروع الأمريكي ونظيره الصهيوني.

إن المشروع الإيراني بدا في مظهره الأخير - قبل انطلاق التحالف الغربي العربي بدءًا من سبتمبر ٢٠١٤م ضد الثوار في سوريا - مطوقًا للجزيرة العربية من أركانها الأربع، وبدت إيران على مقربة من المراحل النهائية للوصول إلى أرض الحجاز، خاصة بعد استيلائها عن طريق وكلائها (الحوثيين الشيعة) على اليمن، وهذا كله يجري وفق خطط استراتيجية مسبقة، يحلو للعرب أن يهربوا من تبعات مواجهتها المبكرة أو حتى المتأخرة؛ باللجوء إلى (حصن الوهم) وهو» عدم الإيمان بنظرية المؤامرة»!!.

تظل الأبعاد السياسية والاستراتيجية للمشروع الشيعي مربوطة بالأبعاد الدينية المذهبية - كما ذكرنا آنفًا -، ويدل على ذلك دلالة عملية صارخة؛ أن القيادة الدينية تنفرد وحدها بقيادة الحرس الثوري الإيراني، وهو أقوى وأحدث تسلحًا من الجيش النظامي نفسه.

إنه مشروع مشبع بإرث الثارات الدينية المفتراة، ومحمَّل بحمولة المظلوميات التاريخية المدَّعاة، والمترجَمة إلى سياسات واستراتيجيات، فالمشروع الإيراني يقوم على استراتيجية التمدد بلا توقف، والتوسع بلا حدود، حتى لا يزاحمه أحدٌ في أرض النبوات والنبوءات.

وهو على الرغم من طموحه الجموح؛ يظل محتاجًا إلى عوامل ضبط، تضمن له الاستقرار والاستمرار، ولذلك فهو يعتمد سياسيًّا على العوامل التالية:

- الإمساك بزمام الشعب الإيراني تحت قيادة سياسية قوية ذات طبيعة طائفية، لا تسمح بوجود منافسة مذهبية أو عرقية باسم التعددية ونحوها من المبادئ الليبرالية الغربية، فهو مشروع مرهون بربط ذلك الشعب بأهدافه مصيريًّا؛ باعتبار ذلك الشعب هو القائد والمتصرف والمستفيد من تحقيق ذلك المشروع.
- فرض إرادة سياسية موازية على الشعوب المجاورة؛ من خلال زعامات الطائفة الشيعية المتنفذة فيها، لتمثل تلك الزعامات عامل ضغط سياسي يؤثر على خيارات القيادات السياسية في تلك الدول، كما هو واضح في كل من الكويت والبحرين، والعراق ولبنان، وسوريا واليمن.

- استغلال عوامل النفوذ الإيراني الإقليمي في فرض رأي سياسي مؤثِّر في النظام الدولي؛ حيث لا يمكن تجاوز إيران سياسيًّا في مشروعات القوى الكبرى المتعلقة بمناطق نفوذها، وهو ما برهنت عليه بوضوح؛ الحرب في أفغانستان سنة ٢٠٠١م، والحرب في العراق سنة ٢٠٠٣م، والحرب اللبنانية الإسرائيلية عام ٢٠٠٦م، ومستجدات الأمور في كل من سوريا واليمن.

- محاولة تصدُّر الواجهة في بعض القضايا المركزية بالمنطقة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية؛ حيث لا تزال إيران تتظاهر بأنها ممسكة بزمام المقاومة ضد المشروع الصهيوني، وتستغل ذلك في التأثير على مجريات الحرب والسلام في المنطقة، وهو ما كانت تحاول به ربط قطاعات من الشعوب والجماعات والمنظمات السنية بأذرعها الطائفية في سوريا ولبنان وفلسطين قبل أن تفضح الثورة السورية وجهها الطائفي القبيح.

- الوقوف الصوري الظاهري في وجه مشاريع الهيمنة الغربية الدولية، التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية التي يطلق عليها الإيرانيون (الشيطان الأكبر)، وما كان لها من مواقف مستقلة في بعض القضايا، فإنها تكون بأجندة إيرانية خاصة وخالصة، تسعى طهران من خلالها لاستغلال بعض الأوراق في إيجاد مواقف مناوئة لسياسات الغرب فيما لا يوافق المصالح الإيرانية، وقد أظهرت ذلك تداعيات وتطورات مفاوضات الملف النووي الإيراني مع دول الغرب، وكذا المواقف الإيرانية السياسية من الثورة السورية، والثورة اليمنية، والاضطرابات الموسمية في المملكة البحرينية.

الأبعاد الثقافية والإعلامية للمشروع الشيعي:

كل ما سبق من الأبعاد يعكسها إعلام وظيفي، يخدم الجانبين الثقافي والدعوي الشيعي، وهو يعتمد على عدة استراتيجيات أهمها ما يلي:

- اختراق الأوساط السنية غير المحصَّنة في العالم الإسلامي؛ لنشر الفكر الشيعي من مدخل محبة آل النبي ﷺ، واستغلال المناسبات الدينية والسياسية لذلك (عاشوراء - يوم القدس العالمي - يوم الأسير)؛ لإدخال بقية المفاهيم الشيعية الدينية والسياسية، كولاية الفقيه، وعصمة الأئمة، وانتظار المهدي، ونحو ذلك، ضمن الدعوة لتكتل سياسي يضمن رجوع حقوق آل البيت.
- التوسع في آليات تلك الدعوة الشيعية؛ من خلال المراكز الثقافية الإيرانية ودور النشر، والمشاريع والفعاليات الثقافية ومعارض الكتب.
- الانتشار الإعلامي من خلال القنوات الفضائية الشيعية، سواء أكانت سياسية أم دينية، وقد واكَب المشروع الإيراني في جانبه الإعلامي تقنيات البث الفضائي، لعرض العقائد الدينية فضائيًّا، وكانت البداية قناة إيرانية ناطقة بالعربية أطلق عليها اسم «سَحَر» اشتهرت ببرامج الشيخ المتخصص في قضايا النبوءات السياسية (علي الكوراني) والشيخ (حبيب الكاظمي)، وغيرهم، وكانت تلك القناة تبث لمدة ساعة واحدة يوميًّا حتى وصلت ساعات البث إلى عشرين ساعة، ثم قام أصحابها لاحقًا بتغيير اسمها إلى فضائية الكوثر، وأنشأ النائب الكويتي الشيعي (صالح عاشور) قناة «الأنوار» لتكون في حينها أول قناة شيعية عربية دينية سياسية كاملة. وانطلقت القناة عام ٢٠٠٤م، من مركز بثِّها الرئيسي في واشنطن، وافتتحت مكاتب لها في كل من سوريا ولبنان، والكويت والبحرين، وأصفهان.

وأنشأ الشيخ هادي المدرسي من البحرين قناة (أهل البيت) بغرض معلَن هو: تثقيف أبناء الطائفة والدفاع عن معتقداتهم، ومن أشهر برامجها: (برنامج المهدي منا) للشيخ علي الكوراني العاملي، وأنشئت (قناة المنار) لتكون قناة إخبارية سياسية خاصة، ومقرها الرئيس لبنان، وشعارها الإعلامي: (شمعة لن تنطفئ)؛ ولأنها شبه ناطقة بلسان حزب الشيعة اللبناني الذي تحاول احتكار الحديث عن (المقاومة)، فقد ركّزت على القضية الفلسطينية، وأعطتها اهتمامًا كبيرًا، وللتغلب على محاولات التشويش؛ فإنها تبث على الإنترنت.

وفي عام ٢٠٠٣م، أنشئت (قناة العالم) لتتوجه في البداية إلى الشعب العراقي، بعد سقوط نظام صدام حسين، ولكنها توجهت بعد ذلك نحو بقية الشعوب العربية لتخاطبها بلسان إيران، التي اعتبرت الهيمنة على العراق بوابة لبقية الدول العربية.

وأنشئت قناة خاصة بالأفلام الإيرانية؛ حيث أنتجت إيران نحو ٧٠ فيلمًا سينمائيًّا طويلاً، وتنتج أيضًا نحو (١٠٠٠) ساعة من المُسلسلات التلفزيونية إضافة إلى ١٧٠ فيلمًا تلفزيونيًّا سنويًّا، تحوم بأحداثها وقضاياها حول خدمة الجوانب المختلفة للمشروع الشيعي ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً.

وفي السنوات القليلة الماضية تطورت القنوات الشيعية، وتنوعت، وزاد عددها بشكل لافت، لتبث على مدار الساعة على أنحاء العالم وبكل اللغات تقريبًا.

وأهم هذه القنوات حتى اليوم:

- الأنوار الأولى - الأنوار الثانية - الحجة - المعارف - فورتين - قناة المهدي - «قناة فدك» - الفرات - بلادي - كربلاء - الثقلين - الغدير - الأوحد - العهد - الكوثر - المنار - المسار - المسار الأولى - الكوت - العالم - مجموعة العراقية -

الفرقان - طه - السلام - برس تي في - الاتجاه - هدهد للأطفال - قناة الأفلام - هادي للأطفال - قناة الولاية - قناة المصطفى - الإمام الرضا - الدعاء الفضائية - الصراط الفضائية - النعيم الفضائية، وغيرها.

وعندما تقارن هذه الفضائيات الشيعية الدينية والسياسية بقنوات المجون التي تلوِّث الفضاء من سماء بلدان السنة، نعرف ما هو الفرق بين قوم يعملون، وقوم يلعبون، ولا يدرون أنهم هم المستهدفون.

أطلقت إيران قمرًا صناعيًّا عام ٢٠١١م، في مدار القمر العربي (النايل سات)، وأدخلت مجالاً جديدًا في بثّ دعاياتها «التبشيرية» بالمذهب الشيعي، وهو مجال الدراما التمثيلية، من خلال مخاطبة الجمهور العربي بالأفلام والمسلسلات الدينية عن قصص الأنبياء والقصص التاريخي والأعمال الفنية الإيرانية التي يقوم بتمثيلها ممثلون سوريون، وآخر ذلك الضجة التي أحدثتها إيران عالميًّا بإنتاج فيلم (محمد رسول الله) الذي يصوِّر - في ثلاث ساعات حياة النبي ﷺ في العهد المكي من خلال الرؤية الاعتقادية الشيعية.

وهو فيلم استمر إنتاجه أربع سنوات، وبلغت تكلفته نحو ٤٠ مليون دولار، ومع أن الفيلم لم يجسِّد شخصية الرسول ﷺ؛ لكنَّ خطورته تتمثل في كسر حاجز المنع من تعريض سيرة الرسول ﷺ للجدل المذهبي، والخلل العقدي، على النطاق الأوسع كثيرًا من نطاق الكتب المقروءة والدروس والمحاضرات المسموعة والمرئية، والأخطر من ذلك أن ذلك الفيلم الذي يعالج الفترة المكية القليلة في أحداثها الخلافية عقديًّا؛ يعد توطئة ومدخلاً - كما يبدو - لفيلم آخر يتناول الفترة المدنية؛ حيث لن يستطيع الشيعة مقاومة رغبتهم العارمة في النيل من جمهور الصحابة، وعلى رأسهم الكبار

منهم أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - إضافة إلى زوجات النبي أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن جميعًا - اللاتي يعدهن سفهاء الشيعة كزوجات نوح ولوط عليهما السلام!

ويعمل هذا الغزو الثقافي الإيراني على تدمير مكونات الثقافة الإسلامية السُّنية، التي تُحارب بدورها في بلادها من الأطروحات والمنظومات الفكرية العلمانية بكافة صورها؛ الليبرالية واليسارية، وفي السنوات الأخيرة بدا تعاون بين تلك الأطراف المعادية للسنة في التشكيك وحملات الطعن في أصول السنة ورموزها، والتاريخ الإسلامي جملة، وخاصة العقود الأولى التي تمثل العصر الذهبي للتاريخ الإسلامي.

الأبعاد المذكورة آنفًا، تقوم على خدمتها شبكة من المؤسسات والهيئات والكيانات النشطة في مجالات الثقافة والإعلام، وكلها تعمل باتساق لخدمة المشروع الإيراني، من حيث تمهيد السبيل لتغلغل الفكر الشيعي في عمق ساحات الخصم، ومن هذه الكيانات الخادمة للمشروع السياسي والمتناغمة مع النشاطات الخارجية الإيرانية:

- (المجمع العالمي لأهل البيت)، ويقوم بعقد مؤتمرات وندوات لوضع ومتابعة المخططات الشيعي عبر العالم.
- (مجمع التقريب بين المذاهب): ويمارس عملاً دعائيًّا، الغرض منه مدّ جسور العلاقات مع الكيانات المذهبية غير الشيعية لاختراقها أو على الأقل تحييدها.
- (منظمة التبليغ الإسلامي)، وتشرف الدولة الإيرانية عن طريقها على الحسينيات والمراكز الدينية الشيعية خارج إيران، وترصد لها الميزانيات الضخمة لنشر التشيع في البلدان المستهدفة.

- مؤسسة (جهاد البناء)، وتقوم بأعمال خدمية خيرية في البلدان الفقيرة، الهدف منها اكتساب مساحات جديدة للتبشير بالمذهب الشيعي بين غير المسلمين.
- (لجنة الإمام الخميني للإغاثة)، وتقوم بتقديم المعونات المالية والخدمات الصحية والاجتماعية، بغرض جذب شرائح جديدة للتشيع في بلاد السُّنة.
- (مركز حوار الحضارات)، وهو تابع لرئاسة الجمهورية، ويعمل على الترويج للرؤية الإيرانية للقضايا الفكرية والسياسية والحضارية، ويهدف لإنشاء علاقات مع المثقفين والمفكرين العلمانيين العرب، وكسبهم في الصفِّ السياسي الإيراني.
- (مؤتمر دعم المقاومة الفلسطينية)، ويعقد سنويًّا في طهران بغرض إظهار إيران على أنها المدافع الوحيد عن المقدسات في فلسطين، والحامل الوحيد للواء مقاومة العدو الصهيوني بعد انصراف كافة الأنظمة العربية عن دعم القضية الفلسطينية.

إن كل ما سبق يتعلق بالشق الأشقى من المشروع الإيراني، وهو الشق الفارسي، لكن.. لا ينبغي أن نغفل الشق الآخر الأخفى، والذي قد يكون الأخطر مستقبلاً، وهو شق الذين من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، من الشيعة العرب.

موقع شيعة العرب من مشروع شيعة الفرس:

الشيعة العرب هم أصل التشيع، واتفاق شيعة العرب الاثني عشرية مع شيعة الفرس في الأصول الاعتقادية أمرٌ بدهي؛ حيث إن مصادر التلقي عندهما واحدة، غير أن بين الفريقين تنافسًا مبعثه التفاخر والتحاسد، فبينما يرى شيعة العرب أنفسهم

أولى بالزعامة الدينية لعروبة القرآن والسنة ومعدن النبوة، وحتى الإمامة والصحبة المرضي عنها عندهم؛ فإن الشيعة الفرس لا يستطيعون أبدًا التخلص من داء احتقار العرب عنصريًّا وازدرائهم لمجرد كونهم عربًا حتى لو كانوا شيعة!

ولكن البغض المشترك لأهل السنة يُخفي كثيرًا من التناقض بين شيعة الفرس وشيعة العرب، ويجعل بينهما قواسم مشتركة، تنشئ تقاطع مصالح على مساحة كبيرة من أرضية المشروع الإيراني في البلاد العربية. وهذا ما أكدته مواقف الشيعة العرب من تحركات إيران الهمجية الهجومية فيما يعد أوطانًا لهؤلاء «الأعراب».

لهذا لا يمكن فصل هؤلاء عن أولئك، فهما يمثلان خط تحالف متعاون فيما بينه، لكنه معادٍ لعدوٍّ مشترك واحد يمثِّله أهل السنة المتشاركون مع عرب الشيعة في رابطة (القومية العربية) البائدة.

إن شأنهم في ذلك قريب من موقف اليهود والنصارى المشترك من العرب والمسلمين - على الرغم من عداوتهم فيما بينهم وتكفير بعضهم لبعض

وقد برهن غالبية شيعة العرب خلال أحداث عقود ثلث القرن الأخير على أن ولاءهم لإيران الفارسية على الرغم من التباعد والتباغض؛ لا يقارن بانتماءاتهم لبلدانهم العربية، فعند كل حدَث مهم يعلن هؤلاء عن ولاءٍ مطلق لإيران، يؤكدون عليه بالقول والفعل، والانقياد الأعمى لما يصدر عن المرجعيات الدينية في قُم والقيادات السياسية في طهران.

ومواقف طوائف الشيعة العربية وقيادتها في العراق ولبنان ودول الخليج واليمن؛ تمثل التجسيد الحي لاحتفاء الشيعي بالشيعي، وولاء الشيعي للشيعي في القدر المتفق

عليه. فلا يمكن مثلاً فصل نشاط حزب الله اللبناني، ولا نشاط الأحزاب والجماعات الشيعية في العراق ودول الخليج، ولا نشاط الحوثيين في اليمن عن مجمل أهداف المشروع الإيراني الفارسي، فهذه المجموعات الشيعية العربية حتى ولو كان لبعضها طموحات فردية؛ إلا أنها ليست إلا أدوات مساعدة في إتمام المهام والمطامع الإيرانية في البلدان العربية شاءت أم أبت، صحيح أن هناك بعض الشخصيات الشيعية العربية التي تهاجم أحيانًا سياسات إيران، لكن هذه لا تأثير كبير لها، ولا تَسمع الغالبية لقولها، هذا إذا افترضنا أن هذه الاعتراضات مخلصة، ولست مجرد مشاهد في تمثيلية تحكي حقيقة التَقِية السياسية.

وقد شاركت أحزاب وجماعات شيعية عربية بفاعلية فائقة في تنفيذ سياسات إيران في مواطن الأحداث الكبرى في السنوات الأخيرة، فمن حزب حسن نصر الله في لبنان إلى فيلق بدر وحزب الدعوة وجيش المهدي، ومؤخرًا (الحشد الشعبي) في العراق، وصولاً إلى جماعة الحوثي، أو ما يسمى (أنصار الله) في اليمن، و(حزب الوفاق) في البحرين، وما يسمى (حزب الله) في دول الخليج؛ كل هذه الأحزاب والجماعات والميلشيات كانت كلها - ولا تزال - خناجر مسمومة تطعن بها إيران الفارسية في جسد البلدان والشعوب العربية السُنِّية.

وحتى من يُحسَب على المعارضين لإيران كمحمد حسين فضل الله، المرجع اللبناني المستقل نوعًا ما؛ فقد ظل يحتفظ بأوثق الصلات مع النظام السوري النُّصَيْري الحليف الوثيق لإيران.

وما يقال عن عرب الشيعة، يقال عن عجمهم غير الفرس مع مواطنيهم، سواء كانوا في أفغانستان أو باكستان، أو أذربيجان أو بعض البلدان الأخرى الآسيوية

والإفريقية التي توجد بها أقليات شيعية أعجمية، فكلُّها أو جُلُّها كأن في عنقها بيعة للإمام النائب عن «الإمام الغائب»!

وإجمالاً ما كان للمشروع الشيعي أن يتمدد في أربع عواصم عربية، ويتهدد عواصم أخرى إلا بتنسيق وثيق مع هذا العضو العَقوق من الجسد العربي.

الفصل الثالث:

المشروع الإيراني واستكمال الهلال

كيف تتحول منظومة العقائد إلى برنامج عمل؟

تبين فيما مضى أن منظومة العقائد الشيعية الاثني عشرية الخرافية، حوَّلتها إيران بعد ثورة الخميني إلى مشروع واقعي، يُترجم عمليًّا منذ عدة عقود، ويتحرك أفقيًّا ورأسيًّا، شرقيًّا وغربيًّا، سلميًّا وحربيًّا؛ فيما تسميه إيران إقليم (جنوب غرب آسيا) أو (منطقة الصدع المذهبي) التي هي عندنا: (أرض النبوات والنبوءات).

فلكلِّ قُطر من الأقطار المحيطة بإيران، والتي كانت تمثل جزءًا من أجزاء هيمنة (إمبراطورية فارس) القديمة، موقع خاصٌّ في المشروع الإيراني، ومكان متميز في الخطة الشيعية التوسعية، الجامعة بين الاستقطاب المذهبي والضم السياسي والتمكين الاستراتيجي.

لكنَّ الواضح - كما أسلفنا - من خط سير الخُطة الإيرانية في استهداف البلدان السنية العربية؛ أنها صُمِّمت على طريقة الزحف من الأطراف إلى القلب، والأطراف هنا هي بلدان العراق والشام واليمن، وهو ما أُطلق عليه إعلاميًّا وسياسيًّا: (الهلال الشيعي). أما القلب، فهو جزيرة العرب، المسماة اليوم إعلاميًّا وسياسيًّا: دول الخليج، وفي قلبها بلاد الحرمين، وفي قلب بلاد الحرمين: الحرمان ذاتهما. فالحرمان الشريفان هما فعليًّا قلب القلب، وغاية الغاية في المشروع الفارسي الشيعي الذي يطمع في خطف «الشرعية» للتسلط على عالم المسلمين، من خلال «خطف» الحرمين.

ولأن أطماع مشروع إيران تتصادم مع مشروعات غيرها، فهي تحرص أن تتلاقى مطامعها مع مصالحهم، بحيث يتقاسم الجميع الغنيمة، وتتداعى أيديهم على القصعة، فالمنطقة ترتب لها مشاريع تقسيم منذ زمن قديم، ولكنها تتجدد وتتعدد، وتدخل فيها أطراف جديدة، ويبقى الطرف الفارسي حريصًا على قصم الخصم التاريخي

(المسلمون السنة)، وقضم المستطاع من لحم هذا الخصم وشحمه وعظمه، ويُقبِل هذا الطرف الطائفي بدناءة وخسة على مشاركة خصوم الأمة من اليهود والنصارى مشاريعهم القديمة والحديثة للتقسيم، عسى أن ينال أوفر حظ وأعلى نصيب من حقوق السنة الذين يُدعون عند الشيعة بالنواصب أو(العامة). ولسان حالهم يردد ما يردده اليهود عمن يطلقون عليهم (الجوييم) - أي: العامة -: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

إيران ومشروعات التقسيم:

عندما قامت الثورة الإيرانية، ووقع الصراع بين العراق وإيران في حرب دموية استمرت ثماني سنوات بتسعير غربي خبيث؛ علت بعض الأصوات بضرورة استعادة الأراضي العربية التي استولت عليها إيران، مثل: شط العرب، وعربستان، وجزر الإمارات العربية، فردَّ الخميني وقتها قائلاً: «إذا كنتم تريدون هذه المناطق لأنها عربية تاريخيًّا، فإن الإمبراطورية الفارسية تاريخيًّا تمتد من خراسان (إيران وأفغانستان) حتى اليمن!

وبعد ما مر من عقود على صدور ذلك الكلام لم يتوقف التآمر الثوري الإيراني في المنطقة الممتدة من خراسان حتى اليمن التي أصبح النفوذ الشيعي والفارسي في شمالها يمثل خطرًا إضافيًّا على ما تمثله إيران من خطر على سائر الجزيرة العربية.

قد لا يكون لإيران مخططات معلنَة معروفة للتقسيم كتلك المخططات الإسرائيلية والأمريكية المتعددة والمتجددة؛ نظرًا لاعتماد الشيعة مبدأ التقية حتى في السياسة؛ لكن الأمر الأكيد أن إيران تستفيد من كل المشروعات التقسيمية الأخرى؛ إما بالشراكة المباشرة، أو بالاستفادة من النتائج عن بُعد، فكل ضعف يصيب أهل السنة يصبُّ في

مصلحة إيران العدوُّة التاريخية لهم، منذ أن أدخل الصفويون التشيّع على بلاد فارس؛ فالعراق الذي أعلنت النوايا اليهودية تقسيمه منذ أكثر من أربعة عقود لم يظفر الشيعة بثلثه الغني فقط؛ بل وقع العراق كله تحت سلطانهم مع شراكات عربية شكلية هزيلة، وأخرى علمانية كردية عميلة.

ولبنان الذي كان مخططًا له أن يُقسَّم إلى ثماني (كانتونات) طائفية؛ أحرز الشيعة الموالون لإيران فيه ما يشبه الهيمنة على مجموع أراضيه فيما يُعد انقلابًا سياسيًّا، سيطر حلفاء إيران فيه على مفاصل السلطة.

وإذا كان حديث التقسيم في اليمن يتحدث عن شطره مرة أخرى إلى جنوب وشمال منفصلين؛ فإن تآمر الشيعة شمل الجنوب والشمال معًا، فهم يمدون الحبال إلى الجنوب الشافعي الحانق، مع حملهم الكامل لمشروع الشمال الشيعي الحاقد؛ حيث التصعيد المتواصل والمخطط له بدءًا من صعدة وحتى عدن.

كما أن مساعي التمرد في مملكة البحرين تجاوزت الطمع إلى الجشع، فإيران لا تريد بحرًا واحدًا من «البحرين»؛ بل تريدهما معًا في جمهورية شيعية ثورية تكون هي الأولى في الجزيرة العربية السنية ريثما تلحق بها «جمهوريات» أخرى شيعية!

وسورية التي يتوارد الحديث عن تقسيمها بعد سقوط النظام البعثي النصيري؛ بحيث يكون للعلويين قسم في شمالها تكون عاصمته اللاذقية - بحسب مخططات قديمة -؛ تحاول إيران الآن عدم تضييع الفرصة لتأمين منفذ لها على البحر المتوسط هناك، من خلال تلك الدويلة الصنيعة الوضيعة، التي يريد الرافضة أن يكونوا شركاء أصليين في صنعها، لتظل شوكة في خاصرة شام الإسلام والسنة.

إيران تراهن على كل مشروعات التقسيم اليهودية الصليبية، التي توضع الطائفية

والعنصرية على قائمة مسوغاتها، وهي مع سعيها إلى فصل أجزاء متعددة من مواطن أهل السنة التي فيها أكثرية شيعية؛ لا تتأخر عن إيجاد موطئ قدم لها حتى في البلاد ذات الأغلبية السنية، فمحاولات الاختراق تجري على قدم وساق منذ زمان، في كل من مصر وفلسطين والأردن والسودان، وعدد من بلدان إفريقيا وآسيا؛ حيث لا وجود حقيقيًّا للشيعة هناك.

المقصود أن لكلِّ قُطر من أقطار أرض النبوات والنبوءات وما حولها موقعه ومكانته في المشروع الإيراني، والمراقب لتوظيف أصحاب ذلك المشروع لتفاعلات الأحداث زمانيًّا ومكانيًّا في كل واحد منها، يلحظ أن الشيعة يسيرون في طريقهم، وكأنما يوجد هناك من يعطيهم ضوءًا أخضر في الحاضر، ليبني عليه خططًا للمستقبل.

وفي كل حال؛ فلكل وجهته وأجندته، ولا ينبغي للضحايا أن يلوموا غير أنفسهم، عندما يرضون أن يظلوا ساحة تجريب وتخريب من كل المشروعات دون أن يكون لهم مشروعهم الناهض بهم والمناهض أعدائهم.

سأقف مع كل قطر من أقطار الدول الرئيسة في المشروع الإيراني في الإقليم المسمى دوليًّا (الشرق الأوسط)، أو المسمى إيرانيًّا: (إقليم جنوب غرب آسيا)، أو (منطقة الصدع المذهبي).. والذي يلاحظ كل متابع أنه هو (أرض النبوات والنبوءات) التي تصطرع عليها اليوم كل المشروعات، حرصًا على تحقيق ما لديها من مخططات أو أطماع أو نبوءات.

العراق في المشروع الإيراني:

للعراق مكان بارز في صدارة المشروع الإيراني، عبَّر عنه من دعا نفسه «العلامة» السيد سامي البدري» في كتابه (شيعة العراق) بقوله: «لقد تتابع مشروع النبوات

الأولى (نبوة آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام) على أرض العراق، وهو مما اتفقت عليه كتب الأنبياء عليهم السلام.وتتابع عليها أيضًا مشروع أوصياء النبي الخاتم - صلى الله عليه وآله - الأئمة من أهل بيته، علي والحسن والحسين، والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام.وشاء الله - تعالى - أن يُولَد المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام المهدي الموعود على هذه الأرض الطيبة.وأن يكون مراجع الشيعة الأوائل السفراء الأربعة عثمان بن سعيد، وولده محمد بن عثمان بن سعيد، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري (ت٣٢٩ هجرية، رحمهم الله)، الذين اختارهم الإمام المهدي عليه السلام من العراقيين، ليقوموا بنشاطهم في السفارة عنه في العراق أيضًا، وأن تكون هذه الأرض الطيبة مركز المرجعية الشيعية، التي امتدت من بعدهم إلى اليوم ما عدا فترات قصيرة جدًّا. والشهيد الصدر - رحمه الله - أحد مراجع الشيعة الوارثين لهذا المشروع العظيم والمعبرين عنه.وأخيرًا؛ فإن قَدَرَ الله تعالى للعراق أن يكون بلد المرحلة النهائية من مسيرة مشروع الأنبياء والأئمة عليهم السلام؛ إذ سوف يتخذه المهدي والمسيح عليهما السلام محورًا لحركتهما في إحياء سنن الأنبياء، وإحلال السلام، وإقامة العدل في المجتمع البشري، ثم فتح باب الحوار لحل الخلافات الفكرية المستعصية بتهيئة كل وسائل إثبات الحق اللازمة، ومن ثَم تسود عبادة الله تعالى وحده وفق دينه الواحد وكتابه الواحد وشريعته الواحدة» (انتهى كلامه).

والعبادة والدين الذي يقصدهما هذا المبتدع بالطبع؛ هما على المذهب الشيعي الاثني عشري!

هذا عن موقع العراق في ساحة الصراع المذهبي في نظر الشيعة، أما تاريخيًّا فقد كان العراق لصيقًا بالصراع السياسي بين الفرس والروم من الناحية التاريخية والجغرافية

ساحة صراع بين مشرقه الفارسي ومغربه الشامي الواقع تحت النفوذ الروماني.

ولما جاء الإسلام أصبح ساحة رباط وارتباط بين ما هو شرقه وما هو غربه لحساب الدين الحق، فأصبح منطلق الفتح الكبير لبلاد فارس التي طالما هددته واجتاحته، فإذا بأكثر الفرس يدخلون الإسلام، ويحسن إسلامهم على المنهاج الصحيح، وكان منهم القادة والعلماء والصلحاء، حتى صدق فيهم قول النبي ﷺ: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»، وأشار إلى سلمان الفارسي[1].

ولم يلبث العراق أن أضحى حصنًا للإسلام بعد أن تحوَّلت بغداد إلى عاصمة للخلافة العباسية، وظل منيعًا بالإسلام والسنة في غالبيته السكانية إلا مِن قلة مِن المتشيعة، كان أهل السنة يتعايشون معهم على ظاهرهم المهادن أو المداهن.

ولما وقعت إيران تحت حكم الشيعة الصفويين الذين أكرهوا عامة السنة على التشيع بالإرهاب والقتل؛ طمع الصفويون في استرجاع العراق إلى بلاد فارس، ودخلوا في صدام متتابع ضد العثمانيين الذين كانت لهم ولاية على العراق، وظل التربص الصفوي متواصلاً ببلاد الرافدين حتى زال حكم الصفويين عام ١١٤٨هـ - ١٧٣٥م، ولم يهدأ الرافضة حتى غزا النصارى الإنجليز العراق عام ١٩١٤م، واستمر احتلالهم له إلى ١٩٣٢م، وقد زرعوا خلال الاحتلال مزيدًا من بذور الشقاق والشجار بين العراق وجارته إيران التي تحولت إلى الحكم (الشاهنشاهي) الجامع بين العلمانية والتشيع!

ولم تكن إيران على وفاق مع العراقيين طيلة حكم (آل بهلوي)، بل كانت الخلافات الحدودية تعصف بهدوء العلاقات بين البلدين، حتى وُقِّعت اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م، التي تم بموجبها ترسيم الحدود بين البلدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥١٨) ومسلم (٤٦١٩).

تزييف للتاريخ وعبث بالجغرافيا:

يخلط شيعة العراق الحق بالباطل؛ ليثبتوا دعاوى طالما كذبوا بشأنها، ثم صدَّقوها، وأرادوا من الناس تصديقهم فيها، وهي أن العراق شيعي منذ دخله الإسلام، وسيظل شيعيًّا حتى آخر الزمان، ولهذا فإن ارتباطه بالسنة أمر عارض لن يلبث أن يزول!

هم يقولون: إن التشيع دخل إلى العراق مع دخول الإسلام إليه عام ١٥هـ، وأن اليمنيين من قبائل همدان التي أسلمت على يد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقت إرساله لليمن هم الذين فتحوه، ونشروا الولاية لأهل البيت فيه، ولذلك هاجر علي - رضي الله عنه - إلى العراق واتخذها مقرًّا لحكمه!

ويدَّعِي الرافضة أن قريشًا لما أسلمت تبنَّت «نظرية» حصر الحكم في قريش، ولذلك أمر خلفاؤها - قبل علي بن أبي طالب - بعدم رواية السنة، واقتصروا على القرآن الذي تحكموا فيما يُدَوَّن فيه وما لا يُدَوَّن.

وزعم الشيعة أن الخليفة الأول أبا بكر افتعل حروب الردة حتى يصفِّي خصوم قريش ومنافسيها على الخلافة، وادَّعَوْا أن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - قتلته قريش؛ لأنه امتنع عن مبايعة من عيَّنته قريش للخلافة، يعنون أبا بكر، وأن عليًّا أُكره على المبايعة، بعد أن هُدِّد بالقتل، وفُرضت عليه الإقامة الجبرية بعيدًا عن الناس، وظل مغلوبًا على أمره متطلعًا للخروج إلى أنصاره في العراق ليستردَّ حقَّه المهضوم وأحقيته وذريته في الخلافة!

ويدَّعُون أن هجرة عليٍّ - رضي الله عنه - للعراق كانت بناء على مبشِّرات رهبان النصارى الذين انتظروا قدومه للعراق بنبوءات إنجيلية، كما انتظر أحبار اليهود قدوم النبي ﷺ بنبوءات توراتية!

ويقول الشيعة: إن العراقيين كانوا يبغضون قريشًا، ويحبون أهل البيت؛ لأن عليًا أسَّس لمذهب التشيع لأهل البيت في العراق، كما أسَّس له النبي ﷺ في الحجاز! لكن نبتة التشيع في الحجاز ذبُلت؛ لأنها لم تجد من يرعاها ويعتني بها، لكنها نمَت وترعرعت في العراق حتى صارت شجرة راسخة على يد عليٍّ والأئمة من ذريته!

ويحشد الشيعة مئات الروايات المكذوبة عن علي - رضي الله عنه - في مدح أهل العراق ومدن التشيع فيها، وأن أهلها هم سيف الله ورمحه، وبهم ينصر الله الدين في المشارق والمغارب، ومن ذلك نسبتهم إليه القول: (الكوفة كنز الإيمان وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء، والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز).. ويسندون إليه القول: (إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة)! ولذلك يرددون أن الكوفة ظلت مركز رواية فقه عليٍّ، وأحاديثه المسندة إلى رسول الله ﷺ.[1]

ويلاحظ هنا أن الأماكن المقدسة في مذهب الشيعة الإمامية، وهي مدن النجف وكربلاء والكوفة وسامراء؛ هي التي يدور حولها دينهم ومعتقدهم. فإذا كانت (الكوفة) هي البلدة التي اتخذها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عاصمة لخلافته لفضائلها الدينية المزعومة عندهم؛ وبها المسجد الذي يفضِّلونه على المسجد الأقصى؛ فإن (النجف) هي الأرض التي بها قبره الذي يجاوره فيه كلٌّ من آدم ونوح عليهما السلام، ولذلك فإنهم عندما يلقون السلام على من في القبر يقولون: (السلام عليك وعلى ضجيعيك)!، ودعوى وجود جثمانه في ذلك القبر؛ هو ما ذهب أكثر أهل العلم إلى نفيه - كما نقل ذلك ابن تيمية رحمه الله[2] -، وجزم كثير منهم بأن المدفون في القبر

(١) انظر هذه التفاصيل في كتاب (شيعة العراق) تأليف سامي البدري.

(٢) (١) انظر: فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٠٢).

هو المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه -؛ الذي يعدُّه الرافضة ممن ارتدُّوا من الصحابة!

وأما (كربلاء) فأرضها مقدسة عندهم لاستشهاد الحسين - رضي الله عنه - بها ودفنه فيها.

وأما سامراء فهي تضم قبري إمامين من الأئمة الاثني عشر عند الشيعة، وهما الإمام العاشر (علي الهادي)، والإمام الحادي عشر (الحسن العسكري)، وبين القبرين يوجد السرداب الذي غاب فيه الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) الذي هو مهديهم المنتظر.

إذن فالعراق هو المبتدأ والمنتهى في دين الشيعة، ولذلك فلا يمكن تصوُّر وجود مشروع جاد لهم دون الهيمنة عليه وعلى مدنه «المقدسة».

ويردد الرافضة القول بأن شيعة العراق دفعوا الثمن غاليًا بسبب حبِّهم لعليٍّ، وأن محنتهم بدأت منذ عهد معاوية - رضي الله عنه -، ثم في عهد الزبير بن العوام، إلى أن سلَّط عبد الملك بن مروان عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وامتدت محنتهم إلى زمن العباسيين.

ويردِّد الشيعة أن أهل السنة لما غلبوا على العراق في العصور المتأخرة استأنفوا اضطهاد شيعة أهل البيت، وبلغ الاضطهاد مداه في عهد صدام حسين.

الخميني واستدراج العراق:

بدأ فكرة الهيمنة الشيعية على العراق تأخذ بُعدًا دينيًّا آخر بقيام الثورة الشيعية بقيادة باعث الشيعية الحديثة المدعو (آية الله) أو (روح الله) الخميني؛ حيث بدا لكل عارف بارتباط مذهب التشيع بالعراق أن ثورة إيران الشيعية لن تطبق مبدأ (تصدير الثورة) الذي دعا إليه الخميني في أي بلد قبل العراق.

وقد استشعرت الحكومة العراقية ذلك؛ فكان التأهب لبدء صراع شامل حول هوية العراق هو الأمر المنتظر من الطرفين، وهذا ما عبَّر عنه وزير خارجية العراق الأسبق (طارق عزيز) الذي تولى ذلك المنصب طوال الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات، وظل في منصبه حتى وقوع الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م فبالرغم من نصرانيته؛ أدرك طارق عزيز حقيقة نوايا إيران تجاه العراق؛ حيث قال في تصريحات له عام ٢٠٠٩م - وكان وقتها تحت المحاكمة -: «الخميني أراد أن يحتل العراق، لم يقم بعمل عسكري مباشر؛ لأنه لم تكن له قوة، ولكنه أعلن نفسه إمامًا للمسلمين، ولا يمكن لشخص أن يكون إمامًا - وخاصة للشيعة الذين يقولون: إنهم أغلبية بالعراق -، وهو لا يسيطر على النجف وكربلاء وسامراء، فالإمام لا بد أن يسيطر على تلك المدن المقدسة الثلاث، وهذه المدن عراقية تحت سيطرة العراق. وحتى يكون الخميني إمامًا فكان لا بد أن يسيطر على تلك المدن، لذلك كان دخول العراق للحرب دفاعًا عن النفس».

وهذه التصريحات موجودة صوتيًّا على الشبكة العنكبوتية، وهي على وجازتها تشرح إجمالاً الخلفية المذهبية للحرب بين العراق وإيران، بغضِّ النظر عن تعيين الطرف البادئ للقتال فيها، وهي خلفية كانت تبدو خفية وقت اندلاع الثورة الإيرانية التي كانت توصف بالاستضعاف، أما بعد أن تحولت من ثورة مستضعفين إلى شبه إمبراطورية للمتجبرين؛ فقد تزايدت النبرة الاستكبارية والنعرة الدينية، بصورة واضحة، وهي في ازدياد.

فقد أدلى (علي يونسي) رئيس الاستخبارات في عهد خاتمي، ومستشار الرئيس الحالي (حسن روحاني) بتصريحات في سياق حديث له في (منتدى الهوية الإيرانية)

المنعقد في طهران في ٨/ ٣/ ٢٠١٥م، قال فيها: «إن إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد، التي هي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم، كما هي في الماضي!

ومضى يقول: «إن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نتقاتل وإما أن نتحد»، ثم قال: «إن منطقة الشرق الأوسط إيرانية، وسندافع عن كل شعوب المنطقة؛ لأننا نعتبرها جزءًا من إيران»!

ولأن العراق «إيرانية»؛ وليست شيعية فقط في نظر القوم، فقد كان طبيعيًّا أن تنشب الحرب العراقية الإيرانية، وأن تمتد لثماني سنوات، وأن تقف معسكرات الكبر والكفر العالمي متفرجة ومساعدة على أكبر حفل افتتاح للفتن في المنطقة في تاريخها المعاصر؛ حيث كانت تلك الحرب بمنزلة إضرام نار غير قابلة للانطفاء، وإذكاء صراع يستعصي على التوقف.

وهذا ما كان؛ حيث أُطلق على هذه الحرب فيما بعد: حرب (الخليج الأولى)، واندلعت في سبتمبر ١٩٨٠م، واستمرت حتى ١٩ أغسطس ١٩٨٩م، ثم اشتعلت (حرب الخليج الثانية) في ١٧ يناير ١٩٩١م، واستمرت حتى ٢٨ فبراير ١٩٩١م، إلى أن نشبت (حرب الخليج الثالثة) في ٢٠ مارس ٢٠٠٣م لتحتل أمريكا العراق كله، ولم تنسحب منه إلا في ١٥ ديسمبر ٢٠١١م. وقد عادت بقوات لا تقلُّ عن خمسة آلاف من العسكريين في عام ٢٠١٥م لمساعدة الشيعة على تخليص المحافظات التي سيطر عليها الجهاديون في العام ٢٠١٤م.

كل تلك الحروب قامت في العراق وحول العراق، لأجل تغييره جذريًّا، وهي كلها - بكل تفاصيلها - تحكي في نحو ربع قرن قصة تمكين الشيعة من ذلك البلد

بعد تمرير القوى الكبرى تمكين التشيع من إيران بعد ثورة الخميني، ليكون العراق منطلقًا للتمدد الشيعي في أرض النبوات والنبوءات بقليل من التراضي بين الفرقاء المتشاكسين، من فرس وروم ويهود، وكثير من التنسيق بينهم ضد عدوهم المشرك: أهل السنة من العرب.

لم يهتم الشيعة بما يصير إليه مصير العراق، ما دام ذلك سيكون من الممهدات لقدوم المهدي، ولذلك قصة قد تطول، فعندما سقط نظام الشاه في إيران عام ١٩٧٩م؛ وقامت ثورة الخميني التي أسقطته، ثم أنشأت ما أسمته (الجمهورية الإسلامية) في إيران؛ رفعت منذ يومها الأول شعارات العداء لأمريكا وإسرائيل وقوى الاستكبار في العالم؛ ومع ذلك فإن ذلك العالم لم يتعامل معها بعشر معشار ما تعاملت به مع كل الثورات أو محاولات الثورات التي قامت بها حركات التغيير الإسلامية السنية في شتى بقاع العالم الإسلامي، والتي كانت تُوصَم في كل مرة بالإرهاب، وتوصف بالخروج على قواعد الشرعية الدولية، وتظل محاصرة من أرباب تلك الشرعية اللا شرعية حتى تسقط أو تفشل، كما حدث في إفشال وإفساد ثمرات الجهاد الأفغاني ضد السوفييت، والشيشاني ضد الروس، والبوسني ضد الصرب، ومع محاولات جماعات التغيير الإسلامية السنية في مصر والجزائر والصومال، وفلسطين وأفغانستان في عهد طالبان، وحركات التحرر في الفلبين وشمال إفريقيا ودول آسيا الوسطى.

الثورة الوحيدة الدينية والتي وصفت بـ«الإسلامية» والتي سُمح لها أن تتحول إلى دولة، وتصبح عضوًا معترفًا به في الأمم المتحدة، لتقيم نظامًا قابلاً للبقاء والتطور، ثم التمدد والانتشار في أخطر إقليم في العالم؛ هي تلك الثورة، التي يُراد لنا أن نصدِّق أن القوى الكبرى كلها كانت غافلة عن تطور قوتها وتضاعف إمكاناتها حتى تصل إلى مرحلة التصميم على اللحاق بدول النادي النووي!

وعندما يقارن القارئ المتابع ما حدث مع كل حركات التغيير الإسلامية السنية الراغبة في النهوض والتحرر من الاستبداد - سلمية كانت أو مسلحة - مع ما حدث ولا يزال يحدث مع ثورة الشيعة التي أصبحت تحوز مختلف ترسانات الأسلحة؛ سيكتشف أن تلك الثورة المسكوت عنها كانت هي الوسيلة الأنجح والأنجع لإدخال المنطقة في حروب طائفية إقليمية لا تنقطع، تستنزف الشعوب السنية، وتستهلك مقدراتها، وتستفرغ طاقاتها في صراعات جانبية، تشغلها عن أعداء الإسلام التاريخيين من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين.. والبداية كانت في العراق!

وقبل الثورة الإيرانية كانت هناك خلافات حدودية بين إيران في عهد الشاه وبين العراق، فقبل تلك الثورة بأكثر من عشر سنوات، وتحديدًا في عام ١٩٦٩م، ألغى شاه إيران (محمد رضا بهلوي) من جانب واحد الاتفاقية المشتركة بين إيران والعراق بشأن الحدود المشتركة بينهما، وهي اتفاقية كانت قد وُقِّعت عام ١٩٣٧م، وطالب الشاه بتعديل الحدود ليدخل قسم من أراضي العراق (حتى منتصف نهر دجلة) ضمن الأراضي الإيرانية، وزاد طمع إيران في عهد الشاه في أراض عربية أخرى عدَّها الإيرانيون ضمن أراضي فارس التاريخية، فاستولت البحرية الإيرانية على الجزر الإماراتية (طنب الصغرى، وطنب الكبرى، وأبو موسى)، وهو ما تسبَّب في قطع العلاقات بين العراق وإيران.

ثم أبرم العراقيون مع إيران اتفاقية في الجزائر عام ١٩٧٥م لترسيم الحدود، لكن لم تمضِ سنوات قليلة على إبرامها حتى قامت الثورة الإيرانية، فتسببت في توتر أكبر من ترسيم الحدود، حيث أغلقت السفارات بين البلدين.

وفي عام١٩٨٠م اتهمت العراق إيران بالبدء في الحرب ضدها، وذلك عندما قصفت طهران مدنًا حدودية بين البلدين، وردَّ صدام حسين بإلغاء اتفاقية الحدود

المبرمة، واعتبر مياه شط العرب المختلف عليها جزءًا من المياه الإقليمية العراقية، وفي ذات الشهر بدأ صدام الهجوم في العمق الإيراني، فردت إيران بقصف أهداف عسكرية واقتصادية داخل العراق، واستعرت تلك الحرب التي تُعدُّ أطول حرب تقليدية في القرن العشرين؛ لتُهلِك مُقَدَّرات البلدين، ولينتج عن خرابها قتل ما لا يقل عن مليون إنسان، وجرح أضعافهم، وتشريد وإفقار أضعاف أضعافهم بسبب الدمار الهائل والخسائر الفادحة في الثروات والمقدرات التي قدرت بنحو ١، ١٩ تريليون دولار.

لقد بدأت الحرب عراقية إيرانية، ثم اتسعت لتتحول إلى حرب إيرانية خليجية، بعد إلقاء دول الخليج بثقلها خلف العراق بهدف الوقوف أمام المد الشيعي المستهدف تصدير الثورة إلى تلك الدول.

ولما انتهت تلك الحرب دون أن تنتصر إيران أو تهزم العراق - مثلما أراد الأمريكيون على لسان وزير خارجيتهم وقتها (هنري كيسنجر) -، ولما لم يظفر الشيعة وقتها بالعراق لاستعصائه ووقوف دول الخليج بثقلها المادي وراءه، كان لابد من كسر التحالف بين العراق ودول الخليج، ولذلك تفتقت ذهنية المكر الأمريكية اليهودية عن إيقاع صدام حسين في فخِّ احتلال الكويت بدعوى عدم وفاء الدولة الكويتية باستحقاقات حربه ضد الإيرانيين نيابة عن الخليجيين.

وكانت حرب الخليج الثانية التي كان الهدف المعلن لها تحرير الكويت، والغرض المبيَّت منها كسر شوكة الجيش العراقي الذي خرج بعد الحرب أقوى مما كان، وعلى غير ما توقع أو خطط الأمريكان.

ثم حُوصر العراق بعد تلك الحرب إمعانًا في إضعافه وإذلاله تمهيدًا لاحتلاله، وبعد ثلاثة عشر عامًا من الحصار قامت حرب الخليج الثالثة لتُجهز على ما تبقى من قوة العراق ووحدة العراق، بل ووجود العراق كبلد عربي سُنِّي كبير؛ أُريد لهويته السنية أن تتحول إلى شيعية، ولأرومته العربية الإسلامية أن تتمزق بين كردية وفارسية، وقومية عربية بعثية علمانية!

ولما وقع الغزو، لم تكن هناك قوة عربية أو خليجية بوسعها - أو برغبتها - الدفاع عن العراق العربي السُّني، وعن بغداد عاصمة الرشيد وحاضنة الخلافة العباسية، ولم يقم لجبروت الروم الأمريكان المتواطئ مع مكر الفرس في إيران؛ إلا المستضعفون من المقاومين والمجاهدين السُّنة من العراق، ومن أنحاء دول الجوار وغيرها؛ حيث نفروا خفافًا وثقالاً؛ لاستنقاذ (البوابة الشرقية) من اجتياح تلك الحملة الصليبية المتحالفة - ولو مؤقتًا - مع الخطط الشيعية الفارسية.

وكاد المجاهدون في العراق أن يُوقِعُوا الهزيمة الكاملة بالأمريكيين، لولا التقاط ساسة أمريكا لخيط مخطط إجرامي شيطاني، لإيقاع المجاهدين السنة في فتنة لم تكن تخطر لهم على بال، وهي ضرب السُّنة بالسُّنة؛ من خلال فتنة المنافقين الموالين للمحتلين الذين مثلتهم العناصر الخائنة من رجال العشائر الذين اختاروا الانحياز إلى خندق أعداء بلدهم ضد المدافعين عنها؛ حيث جرى تسليحهم بعد تدريبهم للوقوف ضد إخوانهم في الدين والمذهب والوطن! وقد اصطلح إعلاميًّا على تسمية تلك المجموعات المسلحة الخائنة بـ(الصحوات).

ونشأت «الصحوات» بدعم وتنسيق بين أمريكا وإيران لتكوين وتدريب جيش مقاتل قوامه خمسين ألفًا للقتال بالنيابة عنهم؛ وعمدت إيران إلى المزيد من دعم

الميلشيات الشيعية العراقية الموالية لها. وكان للحرس الثوري الإيراني دور خطير ومباشر في ذلك، أدَّى في النهاية إلى أن تضع إيران أيديها وأقدامها على العراق، بنوع من التنسيق أو فرض الأمر الواقع على أمريكا.

وبعد هيمنة إيران على العراق؛ بدأت في تمديد نفوذها خارجه، وانطلاقًا منه، لتنفيذ استراتيجية (الهلال الشيعي) في كل من لبنان وسوريا وإمارات الخليج والبحرين واليمن. ليكون ذلك «الهلال» بمنزلة إطار أو إسار، يلتف حول عنق جزيرة العرب ليحاصروا عمقها؛ حيث مكة والمدينة، وحيث المسجدين المقدسين، والحرمين الشريفين، اللذين لا يتعامل معهما الشيعة إلا على أنهما محتلين مغتصبين ممن يطلقون عليهم «النواصب».. «أعداء أهل البيت»!

وهكذا نرى أن كلَّ الحروب الكبيرة أو جلُّها في المنطقة منذ قيام الثورة الرافضية؛ تُجير نتائجها لحساب تلك الدولة الرافضة للحق والحقيقة،، والثائرة على السنة وأهلها، منذ حرب الخليج الأولى وحتى الثالثة، مرورًا بحرب لبنان عام ١٩٨٢م، والتي أوجدت للشيعة موطئ قدم هناك، ثم حرب لبنان عام ٢٠٠٦م التي جعلت لبنان تحت قدمهم باسم الممانعة، وبدعوى الحفاظ على سلاح المقاومة..!!

أما المقاومة في العراق ضد الغزو؛ فقد تبرَّأ الشيعة منها، بل حاربوها، وقاوموها بالاشتراك مع الأمريكيين والعراقيين المنافقين تحت مسمى الصحوات - كما سبق -، فكان لذلك أكبر الأثر في إشغال المدافعين عن العراق عن مهمتهم، وتسهيل مهمة تدمير وحدته، تمهيدًا لتمزيقه وتقسيمه بحسب الخطط القديمة والحديثة.

ما وراء تقسيم العراق:

كان الحديث عن تمليك الشيعة ثلث العراق، حبيس الجدران في المنتديات السياسية أو مراكز الأبحاث أو دوائر اتخاذ القرار لدى القوى المعنية بمشروعات التقسيم في إقليم الشرق الأوسط، لكن ذلك الحديث صار مطروحًا في العلن وأمام عموم الناس بعد حرب الخليج الثانية.

- وقد سارت خطة تقسيم العراق وفق محطات تلاقت فيها وتلاقحت أفكار عتاة اليهود ودهاة النصارى لزرع مزيد من الفتن في المنطقة، بدءًا من العراق، وذلك على النحو التالي:

- كان أول كشف عن تلك النوايا فيما عُرف بتسريبات (كرانجيا)، ذلك الصحفي الهندي الذي أخرج للعلن المعلومات التي وصلت إلى الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر، في صورة وثيقة سُرِّبت من هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، وفيها كلام مباشر عن تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات، شيعية، وسنية، وكردية. ونُشرت الوثيقة عام ١٩٥٧م.

ويُلاحظ أن كلَّ ما يُذكر عن (دولة سنية) في أيِّ خطة من خطط التقسيم لأيِّ قُطر من الأقطار، إنما يُراد بها (السُنية الجغرافية) لا الاعتقادية، فأي دولة «سُنية» ضمن خطط التقسيم لا بد حتمًا أن تكون (علمانية) قلبًا وقالبًا.

- وفي عام ١٩٨٢م نشرت مجلة (كيفونيم) التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية وثيقة بعنوان (استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات) تحدثت عن رؤية الصهاينة لما ينبغي أن تقسم إليه البلاد العربية المحيطة بها، والتي لها تأثير

عليها، وكان مما جاء في الوثيقة بخصوص العراق: (إن بوادر الخلاف بدأت تلوح)؛ إشارة إلى اندلاع الحرب بين إيران والعراق، ثم قالت الوثيقة: «إن تفتيت العراق أهم بكثير من تفتيت سوريا، ويمكن تقسيم العراق إلى ثلاث مقاطعات إقليمية، كما حدث في سوريا أثناء الحكم العثماني».

- وفي عام ١٩٩٢م وبعد عشر سنوات من ظهور وثيقة (كيفونيم)؛ نُشر ما يُعرف بخرائط (برنارد لويس) المستشرق الأمريكي اليهودي، ضمن خطة لتقسيم المنطقة طبقًا لحدود عرقية وطائفية ولغوية، وتطرَّق التقرير الملحق بها للحرب العراقية الإيرانية، عندما زوَّد الغرب كل الأطراف بالأسلحة الفتاكة لكي يظل القتال مستمرًّا لأطول فترة ممكنة قبل أن يدرك المتصارعون كم كانوا أغبياء، واعتبر برنارد لويس غزو العراق للكويت بداية النهاية الفعلية لسيطرة العرب على سلاح البترول، فلن تتمتع بعده أية دولة نفطية بالاستقلال أو القوة، ويصبح التحكم من الخارج مغنيًّا عن الحاجة للاحتلال العسكري على الأرض، إلا بالقدر الذي يحمي موارد البترول إذا تعرضت لخطر مسلح.

وتعرض مخطط برنارد لويس لتقسيم العراق إلى ثلاثة دول؛ إحداها شيعية في الجنوب، والثانية سنية في الوسط، والثالثة كردية في الشمال.

- وفي عام ١٩٩٢ أيضًا صدر تقرير عن مؤسسة (راند) الأمريكية القريبة من مركز القرار السياسي، كتبه (جراهام فولر)، دعا فيه إلى ضرورة إسقاط النظام العراقي؛ لنقل السلطة من السنة إلى الشيعة، وتحويل السنة إلى أقلية ضعيفة بعد مدة.

واقترح التقرير للوصول إلى ذلك وسيلتين؛ الأولى: شلّ وتفتيت مرتكزات وأسس النظام العراقي السياسية والعسكرية بالاستعانة بالأمم المتحدة وأدواتها لإضعاف ذلك النظام أمام خصومه المحليين والإقليميين، مع إنشاء منطقة آمنة للشيعة في الجنوب - عن طريق حظر الطيران فوقها - ومنطقة آمنة أخرى للأكراد في الشمال، لتمكين الطائفة الشيعية والأكراد غير العرب من السيطرة على المناطق الموجودين الساكنين فيها، تمهيدًا للاستقلال بها.

أما الطريقة الثانية؛ فهي تدبير انقلاب عسكري ضد السلطة التي يهيمن عليها السنة. لكن التقرير أكَّد على أن هذا الخيار الثاني مع إمكانيته سيكون صعبًا وطويلاً؛ لأنه سيستفز المشاعر القومية والعربية في العراق وخارجه، والأفضل تمكين الشيعة من حكم العراق بوسائل «ديمقراطية»..!!

وحدد التقرير سقف التغيير في العرق بالعام ٢٠٠٢م، بعد سلسلة من العقوبات الدولية.

ومن العجيب أن التقرير اشترط أن يكون نظام الحكم في العراق الجديد شيعيًّا (ليبراليًّا)!.. ليكون في مناكفة دائمة مع الحكم الديني في إيران، ولكن جهل واضع التقرير بالطبيعة العقدية للشيعة جعله يتصور أن الشيعة يمكن أن يتنازلوا عن القناعات التي تربَّوْا عليها منذ صغرهم، فقد كان نوري المالكي - رئيس الوزراء الأطول بقاء في المنصب - والذي يفترض فيه أنه ليبرالي؛ هو مهندس التحالف الاستراتيجي مع حكم الآيات في طهران. وكان من الواضح أن الإدارة الأمريكية للمحافظين اليهود الجدد في عهد بوش الابن قد وضعت مقترحات تقرير مؤسسة راند قيد التنفيذ، بشكل كاد يكون حرفيًّا، فتم احتلال العراق بعد الموعد الذي حدَّده

التقرير بعام واحد، وبدأ الأمريكيون العمل الفعلي على التقسيم المستقبلي القريب، فوضعوا عام ٢٠٠٤م قانون إدارة الدولة العراقية في ظل الاحتلال متضمنًا شرعنة تقسيم العراق على مستوى ثلاثة مكونات: شيعية، وكردية، وسنية، وادعى واضعو القانون أنهم اختاروا صيغة الحكم الفيدرالي - اللامركزي - لمنع وقوع التقسيم، كما هو الحال في أمريكا وكندا وأستراليا وسويسرا والهند!! لكنه في حقيقته كان بمثابة إلغاء لوحدة العراق التي عُرف بها منذ الاستقلال، وأصبح القانون مُلزمًا بعد موافقة مجلس نواب الاحتلال عليه، بحيث لا يمكن تغييره إلا بأكثرية ثلاثة أرباع الأعضاء وإجماع مجلس الرئاسة.

- وفي منتصف ٢٠٠٦م تسرّبت أول خريطة تفصيلية يتم تداولها في أروقة المؤسسات الأمريكية ومنظمة حلف شمال الأطلسي، والدوائر العسكرية.

أعد هذه الخريطة العقيد الأمريكي المتقاعد «رالف بيترز»، ونُشرت في مجلة القوات المسلحة الأمريكية في يونيو ٢٠٠٦م، ورغم أن الخريطة لا تعكس رسميًّا عقيدة «البنتاجون»، فإنه جرى استخدامها في برنامج تدريبي في كلية الدفاع لحلف (الناتو) لكبار ضباط الجيش، وقدّمها «بيترز» الذي يُعدُّ أحد منظري العسكرية الأمريكية باعتبارها حلاً جذريًّا لمشكلات الشرق الأوسط المعاصر.

وهذه الخريطة التي تنسف الشرق الأوسط الحالي، وتعيد بناءه على أساس عِرقي وديني في الأساس تدعو لقيام ٧ دول جديدة على أنقاض الدول الحالية. منها دولة «كردستان الكبرى» التي ستكون المرحلة الأولى منها الجزء الكردي من العراق. و«الدولة الشيعية العربية»، التي تشمل الجزء الجنوبي الشيعي من العراق والجزء الجنوبي الغربي من إيران والمعروف بمنطقة الأهواز أو عربستان، وتضم معظم الشيعة

العرب في إيران. والجزء الشرقي من السعودية، الذي يضم العدد الأكبر من الأقلية الشيعية في المملكة.

وتضمن التقسيم إنشاء «سوريا الكبرى» و«لبنان الكبير»، بعد تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام: كردى في الشمال، وشيعي في الجنوب، وسني في الوسط؛ حيث سيضطر الجزء السُّني - كما يقول بيترز - إلى الالتحاق بسوريا؛ لأنه سيصبح دولة لا مقومات لها، ومقابل ذلك سيتم اقتطاع جزء من سوريا الحالية لضمِّه إلى لبنان لتأسيس (لبنان الكبير) على البحر المتوسط؛ لإعادة إحياء دولة (فينيقيا التاريخية).

وفي الخطة المقترحة أيضًا إنشاء «الأردن الكبرى» التي تتكون من حدودها الحالية مضافًا إليها جزء من ناحية الجنوب من أراضي السعودية لتكون دولة كل الفلسطينيين في الشتات - مقترحات (رالف بيترز).. كل هذا وغيره يبدأ من العراق، وبعد تقسيم العراق.

- وفي عام ٢٠٠٧م قدم معهد (بروكينجز) الأمريكي اقتراحًا بورقة عمل، كتبها كل من (إدوارد جوزيف) و(مايكل أدهانلون) أكَّدا فيها على أن تقسيم العراق لا بد أن يتم عبر مساعدة المجتمع الدولي.

والعجيب أن الورقة أكَّدت على أن إنجاز التقسيم سيحتاج إلى تدبير ((حرب طائفية))!!

وبعد ثلاثة أشهر من تقديم معهد (بروكينجز) تصوره للتقسيم تقدم السيناتور الأمريكي (جو بايدن) بمقترحات جديدة، وطالب بتشكيل ثلاث حكومات؛ شيعية، وكردية، وسنية، تستطيع الولايات المتحدة التعامل مع كل منها، وتحول المقترح فيما بعد إلى قانون (غير ملزم).. لكن يبدو أنه سيتحول بعد عهد أوباما إلى قانون ملزم،

على غرار قانون غزو العراق الذي صدر عام ١٩٩٨م، وأسموه وقتها: (قانون تحرير العراق)، فقد كان غير ملزم في عهد كلينتون، لكنه أصبح ملزمًا في عهد بوش الابن، ليتم بموجبه اجتياح العراق عام ٢٠٠٣م.

الحاصل اليوم - بعد مرور أكثر من عقد من الزمن على صدور قانون التقسيم الفيدرالي المشبوه، وبعد تغير الأوضاع على الأرض بتأثيره؛ بدا أن الأغلبية داخل العراق أصبحت تطالب بالتقسيم، بما في ذلك سُنة العراق، فقد وصلت الأمور إلى حد عدم القدرة ولا الرغبة في التعايش بين مكونات الشعب العراقي، فالجراح أصبحت غير قابلة للاندمال، والنفوس لم تعد قادرة على الاندماج، وصارت الإدارة الأمريكية ترتب مع بعض الرموز السياسية السنية علنًا؛كي يتم تسليح العشائر السنية العميلة استعدادًا لحشدها في وجه الجماعات السنية الإسلامية المسلحة التي سيطرت على مناطق السنة في عامي ٢٠١٤، ٢٠١٥م؛ ليتم بعد التخلص منها لتأسيس دويلة (سنية / علمانية) هزيلة تابعة لأمريكا التي صنعتها وعينتها.

الذي يمكن استخلاصه من وراء تشارك الجهود التنظيرية والتفعيلية لكل من الغرب وإيران بشأن تقسيم العراق؛ أن الصليبيين واليهود أرادوا تقسيمه وأعينهم بعده على بلاد الحرمين لتسليمها لإيران أو لإشراكها في النفوذ على الحرمين الشريفين، ثم على مصر لقطع أيّ احتمال لتحرير المسجد الأقصى، وليفسح المجال - المحسوب لـ(إيران الكبرى).. ويوسع الطريق أمام (إسرائيل الكبرى)، وإيران تشارك في كل ذلك وعينها على الإمبراطورية الفارسية من أفغانستان إلى اليمن!

ولنتأمل مليًّا تصريح (ريتشارد بيرل) أحد عتاة (المحافظين الجدد) اليهود، وأحد صقور وزارة الدفاع الأمريكية في عهد بوش الابن، عندما قال كلمته الشهيرة أثناء

اجتماع مع الباحثين في معهد الدراسات الاستراتيجية التابع للبنتاجون، قبل غزو العراق بثمانية أشهر: (العراق هدف تكتيكي، والسعودية هدف استراتيجي، ومصر هي الجائزة الكبرى)!.. ويلاحظ أنه لم يذكر هنا إيران، الضلع الثاني في (محور الشر) كما كان يقول جورج بوش. فالعراق إذن كان البداية.. والله يعلم كيف ستكون النهاية!

بلاد الشام في المشروع الإيراني:

لبلاد الشام فضائل استثنائية ذات خصوصية تجعلها أفضل بقاع الأرض عند الله تعالى بعد مكة والمدينة، وتلك الفضائل فاضت بها نصوص الوحي - كتابًا وسُنَّة -، وهي فضائل جعلت للشام أوضاعًا استثنائية أيضًا طوال تاريخها وعلى أرضها؛ حيث شهدت تلك الأرض حياة وممات عشرات - إن لم يكن مئات - الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم أبو الرسل والنبيين إبراهيم - عليه السلام - الذي بنى المسجد الأقصى في فلسطين من أرض الشام، بعد أن بني المسجد الحرام في مكة المكرمة.

وتبعًا لهذه الاستثناءات الدينية والتاريخية، تتابع على أرض الشام التي بارك الله فيها، صراعُ الأطماع، فتناوبتها جيوش الغزو حتى صارت أكثر بقاع الأرض تعرُّضًا للاجتياح.

وفي العصر الحديث تقاطعت مخططات القوى الدولية هناك، وتنافس النصارى بأصنافهم على حجز رقعة من النفوذ فيها، ولم يتأخروا عن استلاب أفضل بقاعها - وهو بيت المقدس - ليكون موطئًا ثم موطنًا قوميًّا لأسوأ الخلق، وهم اليهود، مع زرع بذور الشقاق بين أهل الشام، مستغلين وجود طوائف فيهم لا تحمل ولاءً لدين الإسلام ولا انتماءً لأهله، وعلى رأسهم غلاة الشيعة المسمّون قديمًا: النصيرية، والذين خلع الفرنسيون عليهم لقب (العلويين) بعد احتلالهم سوريا.

والمعروف أن بلاد الشام تشمل اليوم أقطار سوريا ولبنان، والأردن وفلسطين. وقد كان إحكام السيطرة على الشام جوهرَ الحملات الصليبية قديمًا وحديثًا، لكن الحملة المعاصرة تظاهر فيها الثالوث المعادي لأهل الإسلام عامة، ولأهل السنة والعرب خاصة - وهم طوائف اليهود والنصارى والباطنيين الشيعة -.

ولا ننسى رابعهم المتواطئ معهم؛ وهم أهل النفاق والشقاق من العلمانيين، الذين يعملون خدمًا لكل المعادين والمعتدين. وأذكر الآن موقع كل قُطر من أقطار الشام في المشروع الإيراني، الذي يريد أصحابه أن يتمددوا بهلالهم الناري في أرجائها ليُحكم نفوذه بالأرض المقدسة بالشام، ريثما تلوح الفرصة لبسط يده على الأرض الأقدس في مكة والمدينة.

أولاً: سوريا:

اقتضت خطط إضعاف الشام؛ بعد نزعها من أملاك دولة الخلافة العثمانية بعد «سايكس بيكو»؛ أن يكون للباطنيين الشيعة النصيرية[1] شأن في سورية ولبنان؛ ليظلوا مناوئين للسنة وأهلها، وعمودًا يعتمد عليه في الكيد للإسلام في هذا الركن المتين من كيان المسلمين.

وهذا ما سارت عليه المخططات وآلت إليه التطورات، فالفرنسيون الذين أقاموا للباطنيين النصيرية دولة رسمية باسم (دولة العلويين) من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٦؛ لم يتخلوا عن دعمهم ودفعهم للنصيرية العلوية حتى آل إليهم حكم سورية

(١) النصيرية فرقة من غلاة الشيعة، اعتقدوا في علي بن أبي طالب طبيعة إلهية فألهوه بها، وهم في حقيقتهم زنادقة مقصدهم هدم الإسلام ونقض قواعده، لهذا كانوا مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهًا وتغطية لحقيقتهم الملحدة. ومؤسس هذه الفرقة هو أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري ت٢٧٠هـ. (انظر موسوعة المذاهب المعاصرة).

كلها بانقلاب حافظ الأسد عام ١٩٧٠م، ليكونوا هم من جهة واليهود والنصارى من الجهة الأخرى، حاجز منع يحول بين شام الإيمان والسُنة وبين العودة لأمجاد الإسلام.

وقد ظل قائد الانقلاب - حافظ الأسد - يحكم سوريا نحو ثلاثين عامًا؛ من عام ١٩٧١م وحتى ٢٠٠٠م، أدخل خلالها الشعب السوري السني تحت حكم غلاة الشيعة قسرًا وقهرًا، ولم يكتفِ بحياته الطويلة في الحكم بالشر والطغيان، حتى ورَّث ذلك لابنه السوء - بشار الأسد - الذي سار على مسار أبيه، حتى قام الشعب بثورة ضد نظامه، ضمن موجة الثورات العربية، في بداية العشرية الثانية من الألفية الثالثة، وقد كشفت هذه الثورة عن الحقيقة التي ظلت مغماة ومعماة، طيلة زمن التيه النصيري، وهي أن هؤلاء الباطنية أعداء حقيقيون للإسلام وأهله.

ومنذ بداية الثورة السورية في مارس ٢٠١١م فارت تلك البلاد بثورة سنية عربية في وجه الطغيان والهيمنة النصيرية راح ضحيتها ما يتجاوز الثلاثمائة ألف من الشهداء والقتلى حتى نهاية العام ٢٠١٥م، مع أضعافهم من الجرحى والمهجّرين.

ولن أخوض طويلاً في تفاصيل تلك الثورة، فأحداثها يعايشها الجميع لحظة بلحظة منذ بدأت، حتى صار الكثيرون غير قادرين على الخروج من أَسرها ودائرتها المغلقة إلى استشراف الأوضاع المفتوحة المرهونة والمربوطة بما يراد لكامل الشرق الأوسط في مرحلة (ما بعد الربيع العربي)، حيث أُريد لهذا الشرق أن يَشْرق بثوراته، وأن ينفضَّ عن انتفاضاته، إلى أوضاع أسوأ مما كان عليها!

وجد المشروع الإيراني الشيعي منذ بدأ في الطائفة العلوية النصيرية ضالته المنشودة، للاتكاء عليها في إيجاد مرتكز باطني يقوم عليه الجزء المتعلق بالشام من ذلك المشروع،

وبتحالف تلك الطائفة الشيعية المنحرفة مع الطائفة الشيعية الأخرى في لبنان، تكون إيران قد بنت لها فسطاطًا خاصًّا بها يحمل كل مؤهلات الاستمرار في صورة دول تابعة لها، وجزءًا من مشروعها وإمبراطوريتها الواعدة.

العلويون الشيعة.. فاعل ومفعول:

النصيرية الذين أسبغ الفرنسيون عليهم اسم (العلويين) هم أسوأ طوائف الشيعة الثلاث (الاثنا عشرية، والزيدية، والنصيرية)، فهم الأشد غلوًّا وانحرافًا، حتى قال فيهم ابن تيمية - رحمه الله -: «ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا مسلمين»، وقال: «هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار وغيرهم»[1].

ومع ذلك مكَّن لهم النصارى الفرنسيون في الشام عندما احتلوها بعد الحرب العالمية الأولى، فأقاموا لهم دولة استمرت ستة عشر عامًا، لكنها سقطت سنة (١٩٣٦م) عندما أجمع السوريون على رفض سياسة التقسيم الأرعن والمتعجل من الاستعمار الفرنسي، الذي أوجد في سورية ست دويلات، هي: (دولة دمشق، حلب، العلويين، جبل الدروز، لبنان الكبير، لواء الإسكندرون).

لكن العلويين بعد سقوط دولتهم ظلوا حالمين بالكيان المستقل وساعين إلى استعادته، بعد أن استفادوا من مدة حكمهم بتأسيس بنية تحتية علوية قادرة على الحكم، ولم تمضِ بضعة عقود حتى استعادوا السلطة، لا على الساحل الغربي لسورية فحسب، بل على سائر الأرض السورية؛ من خلال الانقلاب العسكري الذي نفذه

(١) الفتاوى (٣٥/ ٦٣٦).

الضابط النصيري (حافظ الأسد) سنة ١٩٧٠م على زملائه في القيادة العسكرية.

ومن بعدها عمل العلويون بقيادته على جمع مفاتيح النفوذ كلها بأيديهم مدة ثلاثين سنة هي حكم حافظ الأسد، ثم مدة بضع عشرة سنة هي حكم ابنه بشار، وهم بطبيعة الحال، أخفوا حقيقة انتمائهم المذهبي بالتستر وراء الشعارات القومية التي يرفعها (حزب البعث العربي الاشتراكي)[1].

النصيريون كانوا يستوطنون الجبال على الساحل الشرقي للبحر المتوسط بدءًا من عكار جنوبًا إلى جبال طوروس شمالاً على الأرض السورية. ولهم امتداد في لواء الإسكندرون الذي كان أرضًا سورية منحتها فرنسا لتركيا العلمانية، وعدد العلويين السوريين يبلغ نحو مليوني نسمة من مجموع السكان الذي يصلون - بحسب إحصاء ٢٠١٣م - إلى ثلاثة وعشرين مليونًا، وفي تركيا يبلغ تعدادهم في لواء الإسكندرون السوري نحو مليون نسمة. وهذه الأقلية المحمية التي حكمت سوريا لما يزيد عن زمن التيه؛ شجَّعت أرباب المشروع الإيراني على تمكين أقليات أخرى في بلدان أخرى ضمن مشروعهم.

وممن يصنَّفون ضمن العلويين في تركيا طائفة (البكداشية)، وهي فرقة شبيهة بالشيعة، لكنها تجمع بين التصوف والتشيّع، تأسست في القرن السابع الهجري،

(١) (حزب البعث: حزب قومي علماني، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لعصرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهي رسالة الحزب، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية.. أسسه كل من ميشيل عفلق (نصراني ينتمي إلى الكنيسة الشرقية) وصلاح البيطار، وكانا يحملان ثقافة علمانية بأفكار قومية.. تأسس الحزب في دمشق، سوريا في العام ١٩٤٧م، وهو الحزب الحاكم في سوريا منذ ثورة ٨ مارس في عام ١٩٦٣م حتى حكم بشار الأسد، وكان هو الحزب الحاكم للعراق منذ عام ١٩٦٨م حتى سقوط نظام صدام حسين في ٩ أبريل ٢٠٠٣م.

ويدّعي العلويون في تركيا أنهم يبلغون ٢٠ مليونًا، وبعض التقديرات تقصرهم على ١٣ مليون نسمة، وعلى كل الأحوال فإن عداء هؤلاء الظاهر والباطن لأهل السنة فرصة لن يفوتها أصحاب مشروعات التشتيت والتمزيق.

انفصال العلويين خيار أم اضطرار؟

الطائفة العلوية كلها - وليس النظام فحسب - ستكون بعد سقوط نظام بشار في بؤرة الاستهداف من الثوار والمجاهدين، ولهذا فقد يظهر المجتمع الدولي بمظهر «المتفهم» لقضية إعطائهم حق «تقرير المصير» بتوفير ملاذ آمن لهم يقيمون فيه كيانًا خاصًّا بهم؛ إنقاذًا لهم من «الإبادة الجماعية»! وإنفاذًا لما تقرر سابقًا من جعل الساحل السوري دولة خاصة بهم، وستكون روسيا والصين على رأس المدافعين عن «حق» القتلة في تقرير المصير، لمصالح خاصة بهم في ذلك الساحل!

وقد تواردت الأخبار مبكرًا بعد عام من بدء الثورة عن توجه بشار الأسد إلى تجميع قوى العلويين العسكرية والاقتصادية لتحويلها إلى منطقة اللاذقية على الساحل؛ حيث معاقل الذئاب الجديدة عند سفوح الجبال.

عمل بشار الأسد - كما يشير مراقبون أيضًا - على تحويل مخزون سورية من الذهب والعملات الأجنبية إلى مناطق الساحل، وعمل كذلك على نقل الأسلحة الثقيلة إلى المناطق الغربية لتكون أساسًا يعاد عليه بناء جيش الباطنيين الجدد بالتعاون مع الروس الذين يملكون قاعدة عسكرية في طرسوس، والذين تدخلوا بكل ثقلهم العسكري الجوي في أواخر عام ٢٠١٥م لضمان حصة ثقيلة من نتائج التقسيم المرسوم.

ولا شك أن إيران تستميت في الدفاع عن «حق» النصيرية في دولة «مستقلة» على

الساحل، تكون مدينة لها، وللروس بالبقاء، وضامنة لاستمرار نفوذهما على جزء مهم من بلاد الشام خاصة بعد أن بدت بوادر التقسيم ظاهرة في الأفق القريب وهما ينظران إليه من بعيد.

أكراد سورية الذين عاش زعماؤهم التاريخيون في المحاضن الشيوعية الروسية؛ هم كذلك يحلمون بالانفصال بجزء من سوريا، وهم يشكِّلون نحو ٨ - ١٠٪ من السكان، ومعظمهم ينتسب إلى الطائفة السنية، لكنَّ بعضهم علويون، وفيهم يزيديون ونصارى، وهم بمجموعهم أقل عددًا من أكراد العراق وأكراد تركيا، ومعظمهم يعيش في إقليم الحسكة شمال شرق سورية، ولهم أيضًا وجود ملموس في حلب، وقد حاولوا التحلي بالصبر في بدايات الثورة، عسى أن ينجلي غبارها عن واقع جديد مُفيد لهم، لكنهم لما رأوا أن التقسيم جارٍ على أرجل وسوق؛ دخلوا غمار المعارك بأجندة انتهازية انفصالية تتمترس - كما يفعل الجميع - تحت ستار المشاركة في المعركة «ضد الإرهاب»!

تقسيم سوريا.. مجرد مراجعة:

لعل من المناسب هنا أن نسترجع موقع سوريا من خرائط التقسيم القديمة والجديدة، وعلاقة ذلك بالمشروع الإيراني؛ حيث سيفصح ذلك عن مدى التنسيق بين المقتسمين، ولا بد هنا أن نتناول أمورًا مهمة، وهي:

- ما نصيب سورية من خطط التقسيم المرتبة إجماليًّا منذ أكثر من خمسة عقود؟
- ما موقع الشيعة العلوية الباطنية وحلفائهم من الاثني عشرية في خطط التقسيم السابقة؟

■ ما مؤشرات وتجليات التطبيق الواقعي باتجاه تلك الخطط لاحقًا؟

وفيما يخص الأمر الأول سنحتاج إلى استعادة نصوص التآمر الخاصة بسورية في مخططات التقسيم المتسربة أو المسربة منذ أكثر من نصف قرن:

* ففي وثيقة (كرانجيا) المذكورة آنفًا، والتي صدرت ضمن كتاب (خنجر إسرائيل) عام ١٩٥٧م؛ قضت تلك الخطة في جزئها الخاص بسورية بأن تقسَّم إلى ثلاث دويلات: سنية ودرزية وعلوية. والمشترط في (الدولة السنية) قطعًا أن تكون علمانية.

* وفي تقرير المنظمة الصهيونية العالمية المنشور عدد ١٤/ ٢/ ١٩٨٢م في مجلة اتجاهات (كيفونيم) الإسرائيلية؛ جاء الكلام عن تقسيم سورية ضمن ما اشتهر بمشروع (عوديد إينون) كما يلي: «إن تفكيك سورية والعراق في وقت لاحق إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني مستقل، هو هدف دولة (إسرائيل) الأسمى في الجبهة الشرقية على المدى القصير، وسوف تتفتت سورية تبعًا لتركيبها العرقي والطائفي إلى دويلات عدة، وعليه فسوف تظهر على الشاطئ دويلة علوية، وفي منطقة حلب دولة سنية، وفي منطقة دمشق دويلة سنية أخرى معادية لتلك التي في الشمال، وأما الدروز فسوف يشكّلون دويلة في الجولان التي نسيطر عليها».

* أما مخطط المستشرق اليهودي الشهير (برنارد لويس) مستشار وزير الدفاع في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر)، والذي أشار إليه شمعون بيريز في كتابه (الشرق الأوسط الجديد)؛ فقد أشار صاحبه - فيما يخص سورية - إلى ضرورة تقسيمها، على أن يكون للعلويين دولة على امتداد الشاطئ، ودولة سنية في حلب،

وأخرى في دمشق وما حولها، ودولة للدروز في الجولان وأجزاء من لبنان وفلسطين.

* وقد تضمن تقرير (رالف بيترز) المنشور في مجلة القوات المسلحة الأمريكية في (عدد يونيو ٢٠٠٦م)، أن سورية ينبغي أن تُقسَّم على النحو التالي:

١) دويلة للعلويين على امتداد شاطئ البحر المتوسط.

٢) دويلة سنية - علمانية طبعًا - في منطقة حلب.

٣) دويلة للدروز في الجولان المحتل يُضم إليها جزء من لبنان وشرق الأردن.

ويلاحظ هنا التقارب بين محتوى الخطط المتسرّبة أو المسرّبة، وأن القاسم المشترك بين فريق المخططين «المقتسمين» أنهم جميعًا صهاينة، سواء كانوا إسرائيليين أو أمريكيين، وسواء كانوا يهودًا أو نصارى، لكن العجيب أنهم لم ينسوا في كل قسمة نصيب شركائهم في مناصبة الأمة العداء، وهم الشيعة الباطنية، من الاثني عشرية والنصيرية والإسماعيلية، إضافة إلى الدروز.

ويلاحظ أن الدروز الذين ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا مسلمين مثل العلويين - كما قال عنهم أهل العلم أيضًا - هم دائمًا داخلون في فريق المعادين للمسلمين السنة، ولذلك فهم مذكورون في خطط التقسيم كلها، لكنهم لقلة عددهم في سورية (ثلاثة أرباع المليون)، لا يُنتبه لخطر انفصالهم. ومع ذلك فالدروز هم حماة المحتلين اليهود في الجولان، واليهود كذلك يحمونهم، ولهذا فإن قيام دولة سُنية غير علمانية في سورية يمكن أن تسعى يومًا إلى تحرير الجولان؛ سوف يصطدم بالأساس الوجودي للدروز، ومن ثَم فإن فرص إحياء دعاوى «الاستقلال» الدرزي ستظل واردة في المستقبل المنظور، إلا إذا شاء الله شيئًا.

السنة العرب بين البيع والشراء:

أما أهل السنة في سورية فهم أهل الأرض وأصحاب البلد، فهم يمثلون ٧٠ إلى ٨٠٪ من السكان، وهم أيضًا - وخاصة العرب منهم - صناع الثورة وجمهورها في مرحلتها السلمية، ثم جنودها ووقودها في مرحلتها العسكرية، وقد جرى تسليحهم بحذر بعد تحول الثورة من الطابع السلمي إلى الطابع المسلح، وكان اختلاف المصادر التمويلية واختلال المناهج الفكرية عند بعض الجماعات؛ سببًا في اختلاف الأجندات. بعض الثوار المقاتلين شعروا بأن تسليحهم لم يحصل إلا لغرض مؤقت، وهو التخلص من النظام الموالي لإيران، ودلَّ على ذلك مبكرًا ربط استمرار تسليحهم وتمويلهم باتفاقهم على قيادة موحدة «يمكن التفاهم معها»! تكون قادرة على جمع السلاح بمجرد انتهاء سقوط البعث واستقرار الوضع الجديد، الذي لن يُسمح فيه بالخروج بأيِّ حال عن «قواعد اللعبة» التي حدَّدها «المموّلون» والمخططون من البلدان الغربية والعربية.

ومكمن الخطر هنا؛ أنه يمكن أن يتكرر نفس السيناريو الذي جرى في العراق، فالجماعات التي لن تتخلص من سلاحها بعد «التحرير» سيجري العمل على التخلص منها، وقد يكون ذلك على أيدي (صحوات) يتم تسليحها لتكون ثورة على الثوار، كما كانت جماعات الصحوة في العراق مقاوِمة للمقاوَمة.

الغربيون وحلفاؤهم لا يقدمون خدمات مجانية أبدًا، فليسوا «جمعيات خيرية» ذات أهداف إنسانية، بل هم دائمًا يطلبون أضعاف ما يعطون، وما حدث في ليبيا بعد الثورة أوضح مثال على ذلك.

ماذا تريد إيران من سوريا؟:

صرح مهدي طائب رئيس (مركز عمار الاستراتيجي) لمكافحة الحرب الناعمة ضد إيران، التابع للمليشيات الشيعية (الباسيج الإيراني) وهو رجل دين مقرَّب من مرشد الثورة الإيرانية، بأن سوريا تعتبر المحافظة رقم ٣٥ لإيران، وأهميتها تأتي قبل منطقة الأحواز العربية التي تحتوي على ٩٥٪ من احتياط النفط الإيراني، وقد صدرت تصريحات (مهدي طائب) في ٥/ ٢/ ٢٠١٣م وجددها في ٤/ ٣/ ٢٠١٥م، ونشرتها وسائل الإعلام في حينها.

ومن يتابع سياسات إيران بشأن مشروعها التوسعي؛ يدرك أن ذلك التصريح يكشف عن طبيعة العقلية الفارسية وطريقتها في قطع الأشواط نحو الانطلاق قدمًا في مشروعها. فالتصريح فيه تلميح بأن الأحواز على الرغم من كونها - تاريخيًّا - عربية، فإن ذلك لم يمنع إيران من بسط السيطرة التامة عليها مبكرًا، واحتلالها لما لها من أهمية في استقرار واستمرار نجاح المشروع الإيراني. وهكذا سوريا يُنظر إليها استراتيجيًّا نفس النظرة. فالسيطرة على سوريا أو على الأقل ساحلها، هو بالنسبة إلى إيران مسألة حياة أو موت، فهي كما يقول المفكر الكويتي الدكتور عبد الله النفيسي: «الرئة التي تتنفس بها إيران».

ويعبر مهدي طائب رئيس مركز (عمار) المسؤول عن التخطيط في الحرس الثوري الإيراني عن هذا بقوله: «لو فقدنا السيطرة على سوريا لا يمكننا الحفاظ حتى على طهران». بل طالب ذلك المسؤول الإيراني حكومته الإيرانية بمواصلة دعم نظام بشار، ولو من قوت الشعب الإيراني.

المطامع الإيرانية في سورية قديمة وترجع إلى ما قبل اندلاع الثورة، وقد كان حكم الطائفة العلوية دائمًا خادمًا للطائفة الاثني عشرية في سوريا، بل الشام كلها. لذلك فهما يستميتان في إفشال جهود أهل السنة في استعادة السيطرة على بلادهم في الشام، ويدفعان بقوة نحو تشريد السوريين من ديارهم ودفعهم للهجرة وطلب اللجوء في الخارج، حتى لقد بلغ عدد الفارين والمهاجرين من أوطانهم نحو أربعة ملايين سوري، والعمل جار - على مراحل - لإحلال شيعة إيرانيين وأفغان وغيرهم مكانهم؛ بما يمكن أن يغيِّر التركيبة السكانية فيجعل من الشيعة أكثرية والسنة أقلية في المناطق الحيوية.

ولا شك أن ظلال النبوءات الاثني عشرية المتعلقة بالشام تظل تخيِّم على عمائم أصحاب القرار في الشأن الشيعي داخل إيران وخارجها؛ حيث إن الشام عندهم ستكون ساحة رئيسة لملاحم مهديهم المنتظر ضد خصومه حتى ينزل عيسى ابن مريم فيصلِّي وراءه، وهذا وحده يكفي لأن تكون سوريا بالنسبة إلى الشيعة وإيران مسألة صراع وجودي لا مجرد جار حدودي.

ثانيًا: لبنان:

سبق شيعة لبنان ثورة إيران في التحرك السياسي والعسكري، بدءًا من حركة (أمل)، ثم حركة (حزب الله)، ولذلك كان أبرز نجاح للمشروع الشيعي في الشام هو ما تحقق على يد ذلك الحزب، الذي يمثل طائفة لا تزيد إلا قليلاً عن المليون نسمة، من ضمن الملايين الأربعة التي وصل إليها عدد سكان ذلك البلد؛ فقد حاول ذلك الحزب سَلْك سبيل مبتكرة ماكرة لتعزيز وضع الشيعة اللبنانيين، من خلال محاولات الإقناع بأنهم ينوبون عن الأمة الإسلامية في الوقوف ضد المشروع الصهيوني، ولهذا

استطاع حزب الشيعة اللبناني جذب تعاطف جماهير عريضة من الشعوب السُنية، قبل أن تكشف حقيقته الثورة السورية وتُسقط القناعة به بعد أن نزعت الأقنعة التي تستر بها.

كانت الطائفة الشيعية اللبنانية هي الأكثر عددًا من بين الطوائف الدينية المختلفة في جنوب لبنان وسهل البقاع، ثم جاء تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤م، فانطلقت عمليات الفلسطينيين من الجنوب اللبناني، وقد دفع هذا باتجاه هجرة اللبنانيين من الجنوب والبقاع، وظلت الأحزاب السياسية تنمو ويتكاثر عددها، ومن ضمنها الطائفة الشيعية التي راحت توزع عناصرها بين صفوف الأحزاب اليسارية والقومية العربية لإثبات الوجود ضمن أنشطة العمل من أجل فلسطين.

وفي هذه الأجواء قدم إلى لبنان شيعي إيراني هو (موسى الصدر)، وأخذ يعمل على تنظيم صفوف الشيعة اللبنانيين ويقيم المشاريع لهم، ثم أنشأ (حركة أمل) الشيعية المسلحة سنة ١٩٧٥م، وسرعان ما تم منحه الجنسية اللبنانية، وساهمت المنظمات الفلسطينية مساهمة فعَّالة في التأطير العسكري والسياسي لحركة أمل، وفي تسليحها ودعمها.

وبعد اختفاء الصدر الذي كان في زيارة إلى ليبيا عام ١٩٧٨م تولى رئاسة الحركة حسين، ثم (نبيه بري) الذي نسج علاقات مع نصيرية سوريا، وتحالف مع نظامها الحاكم الذي كان داخلاً في صراع نفوذ مع منظمة عرفات في لبنان.

وعلى الرغم من الدعم الفلسطيني الكبير لحركة أمل الشيعية؛ فالفلسطينيون كانوا ضحايا تلك الحركة الخائنة، فقد اقترفت ضدهم مذابح مروعة، وفرضت حصارًا

على مخيماتهم، وهو ما عُرف لاحقًا باسم (حرب المخيمات)[1]، ومن الطبيعي أن يُخدع بالشيعة كلُّ مَن لم يفهم عقائدهم، أو يلم ببعضها، لكنه لا يأخذها على محمل الجد، وهذا أيضًا ما تكرر بعد قيام الثورة الشيعية الخمينية بداية عام ١٩٧٩م؛ حيث هللت معظم الأوساط الإسلامية السنية لها، وروَّجت لزعيمها ولقبته بـ(الإمام)!

وبانتصار الثورة الإيرانية، دبَّ الحماس في نفوس المقاتلين الشيعة في لبنان، وسارعوا إلى تشكيل «لجان دعم الثورة الإسلامية في إيران»، واختار بعض رجال الدين الإيرانيين المنفيين في لبنان البقاء هناك، ليكونوا جسرًا لإيران في لبنان وسائر الشام، وتمكَّن الحرس الثوري الإيراني من إدخال أكثر من ألف عنصر إلى الجنوب اللبناني، للعمل في صفوف أمل، وتغلغلوا في منظمة التحرير الفلسطينية التي غلبت عليها الأفكار العلمانية التي لا تقيم وزنًا للمعايير العقائدية في التعامل.

وتكثفت الاتصالات بين الشيعة اللبنانيين وإيران، وتمركز علماء دين إيرانيون في الجنوب وضاحية بيروت الجنوبية، وصارت السفارة الإيرانية تدير الأنشطة المختلفة، وتدبرها لحساب طهران، وظلت تنظِّم التجمعات والمهرجانات الداعية للثورة، والداعمة لإنشاء ظروف مواتية لتصديرها وتوسعيها.

(١) (حرب المخيمات) هو الاسم الذي أُطلق على المعارك التي دارت رحاها ما بين شهر مايو ١٩٨٥م إلى يوليو ١٩٨٨م بين قوات (حركة أمل) الشيعية والجيش السوري (النصيري) و(الجيش اللبناني النصراني، ضد قوات فتح الفلسطينية، المفترض أنها سُنية، والتابعة لياسر عرفات، حول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت. وكانت تلك الحرب تجسيدًا لصراع سوريا وحليفتها أمل ضد وجود منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان. وفي هذه الحرب تولت تلك الأطراف نيابة عن اليهود نزع سلاح المقاومة الفلسطينية من لبنان. وأدت المعارك إلى خروج قوات ياسر عرفات إلى مخيمات الجنوب بعد سقوط مئات القتلى في تلك المعارك التي أعقبت حرب لبنان المدمرة عام ١٩٨٢م، والتي قتل فيها اليهود وعملاؤها من نصارى لبنان، ما لا يقل عن ثلاثة آلاف من الفلسطينيين العُزَّل بمذابح صبرا وشاتيلا.

ومع تصاعد العمل العسكري اليهودي ضد لبنان عام ١٩٨٢م، شكّلت هيئة إنقاذ وطني من مختلف الفصائل، ومن بينها حركة أمل، لكن إيران طلبت من رئيس الحركة نبيه بري عدم المشاركة! لكنه لم يرَ موافقة المنطق العقائدي الإيراني، فاشترك في هيئة الإنقاذ ليحتفظ بالطابع العلماني الظاهري للحركة، فانشق عنه بعض الأعضاء الموالين لإيران، وأسسوا «حركة أمل الإسلامية» التي تحولت إلى «حزب الله».

وفي عام ١٩٨٤م تم اعتماد التسمية الثابتة والشعار المركزي للحزب، وفي عام ١٩٨٥م أصدر (حزب الله) الرسالة المفتوحة التي تحتوي على برنامجه السياسي ورؤيته للواقع المحلي والإقليمي والدولي، وهكذا فقد نشأ حزب الله ووُلد من رحم الاحتجاج على انضمام نبيه بري إلى لجنة الإنقاذ للتصدي للعدوان الإسرائيلي! ومع الوقت قويت العلاقة العضوية بين حزب الشيعة اللبناني والحكومة الإيرانية، وصار حسن نصر الله يكرِّر كلمته: «حزب الله سوف يكون حيث يُطلَب منه أن يكون». لذلك فقد كانت كل تحركاته وفق أجندة إيرانية محددة، سواء في الداخل اللبناني أم على حدود فلسطين وما حولها.

وقد استفاد الحزب كثيرًا من (اتفاق الطائف)[1] عام ١٩٩٠م؛ حيث استمد منه شرعية الوجود المسلح دون غيره من الأحزاب والجماعات والميلشيات، ورعت سوريا حافظ الأسد ذلك الاتفاق، وعرفت كيف توظِّفه لحساب المشروع الإيراني المتحالف مع النظام السوري.

(١) اتفاق الطائف كان لإبرام حل لمشاكل لبنان الطائفية في لبنان، وشمل الأطراف المتنازعة بوساطة سعودية، وأبرم في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩م في مدينة الطائف السعودية، منهيًا الحرب الأهلية اللبنانية، وذلك بعد أكثر من خمسة عشر عامًا على اندلاعها. وقد نصت المادة الثانية منه على بسط سيادة الدولة اللبنانية على كامل الأراضي اللبنانية، وحل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية، فكان أكثر المستفيدين من الاتفاق حزب الشيعة اللبناني، الذي رفض حلّ ميلشياته ونزع أسلحته بدعوى المقاومة.

وعندما أرادت إسرائيل الانسحاب من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م، كان ذلك باتفاق مع الحزب، على أن يتسلم مواقع جيش العميل (أنطوان لحد) ليقوم بدوره في حماية شمال دولة اليهود من الوجود الفلسطيني المقاوم، وقد تعهد الجيش الإسرائيلي في تفاهم (٢٠٠٠م) بعدم استهداف القادة والأعضاء في حزب الله، مادام الحزب يلتزم بضمان أمن الشريط الحدودي. وقد تعهد النظام السوري بضمان التزام «المقاومة» بهذا الاتفاق!

وكغيره من الأنظمة العربية العلمانية شارَك حزب الشيعة اللبناني في اتفاقات السلام مع اليهود، غير أنهم أسموها «تفاهمات»، ومنها: تفاهم يوليو ١٩٩٣م، وتفاهم أبريل ١٩٩٦م، وقد تعهد ذلك الحزب بعد حرب (١٩٩٦م) بعدم استهداف اليهود داخل فلسطين المحتلة، وتعهد بالسعي لسلام دائم بين «إسرائيل» وسوريا وبينها وبين لبنان.

وقد علَّق أمين الحزب السابق (صبحي الطفيلي) على تعهدات حسن نصر الله المتكررة المطمئنة للمخاوف الإسرائيلية بأن رجال المقاومة سيصبحون «خفر حراسة» لدولة إسرائيل!

ظل الحزب مع ذلك، وبتوجيه إيراني؛ حريصًا على أن يبدو في واجهة الصراع ضد إسرائيل، وحرص على تصدر أعمال المقاومة ضدها مزايدًا على المقاومة الفلسطينية، ومصعدًا للأحداث حتى وصلت إلى حالة الحرب عام ٢٠٠٦م؛ حيث اكتسب الحزب بتلك الحرب شعبية جماهيرية جارفة، أثبتت غفلة جماهير السنة عن إدراك حقيقة الحزب وحقيقة ما وراءه من القوى الباطنية المعادية لأيِّ كيان محسوب على السنة ولو كان علمانيًّا.

ولم يدرك الناس طبيعة هذا الحزب إلا بعد أن ظهرت الحقائق عن دوره في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، الرمز السياسي الأكبر للكيان السُّني في لبنان، والذي يحمل الجنسية السعودية مع الجنسية اللبنانية، وذلك في ١٤ فبراير ٢٠٠٥م بشحنة متفجرات تزيد على ١٠٠٠ كيلو جرام.

وقد قاد حزب الشيعة بلبنان في مايو ٢٠٠٨م انقلابًا سياسيًّا، للإطاحة بالحكومة ذات الانتماء السني التي يمثلها تيار المستقبل، واجتاحت ميلشياته العاصمة بيروت، واستباحت المؤسسات الإعلامية لتيار المستقبل المنافس السياسي السني الأقوى، وحرقت مؤسسات إعلامية تابعة له، ومارست عمليات قتل على الهوية السنية.

وكانت وقائع الانقلاب قد حدثت إثر صدور قرارين من مجلس الوزراء اللبناني بمصادرة شبكة الاتصالات التابعة لسلاح الإشارة الخاص بحزب الله، وإقالة قائد جهاز أمن مطار بيروت الدولي التابع له. الأمر الذي اعتبر الحزب تجاوزًا للبيان الوزاري الذي يدعم المقاومة. ولما كانت الحكومة تعتبر في نظر الحزب حينها «غير شرعية» بسبب تجاوزها لميثاق العيش المشترك، استعملت القوة لردع الحكومة!

وقد مثل هذا الانقلاب السياسي الدموي تتويجًا لسيطرة حزب الله الكاملة على الدولة في صورة مخيفة لمستقبل بلد أرادت إيران - قبل اندلاع الثورات العربية - جعله النقطة المركزية في تنفيذ مخططها الرامي إلى الهيمنة الكاملة على المنطقة لتصل من خلال سيطرة عملائها عليه إلى الشواطئ المتوسطية، ولتظهر عبر حزب ولاية الفقيه بـأنها وحليفها السوري في خط المواجهة الأول دفاعًا عن فلسطين.

ظل حزب الشيعة اللبناني منذ نشأته يعمل بالتنسيق مع نظام سوريا العلوي، ولحزب البعث السوري دائمًا يد فضل على ما يسمى (حزب الله)، لذلك أسقط الحزب

كل أقنعة التَقِية كي يتدخل إلى جانب ذلك النظام الذي ثار عليه الشعب السوري عام ٢٠١١م، ولم يأتِ عام ٢٠١٣م حتى تدخل الحزب بسلاحه وجنوده لينضم إلى صفِّ الإرهاب العلوي محاربًا فصائل الثورة السنية بدعوى محاربة الإرهاب.

و«المقاومة اللبنانية الشيعية» التي حارب الحزب لأجل عدم نزع سلاحها بدعوى الدفاع عن لبنان وفلسطين، وجَّه ذلك الحزب سلاحها خارج الحدود، ضد أهل السنة في سوريا، ولم يراعِ حتى قوانين الحرب التي كان يراعيها في معركته مع اليهود، بل اخترق كل المحظورات، حتى إنه اتُّهِمَ من قِبلِ تقرير صادر عن لجنة التحقيق الدولية في أحداث القُصير؛ بأن قواته قامت بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في سوريا.

وعُرض التقرير على مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في جنيف. وأوصى بإحالة الملف السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية لمحاسبة المسؤولين عن تلك الجرائم. وتحدث ذلك التقرير عن استخدام الحزب صواريخ محمولة شديدة التفجير تؤدي إلى خسائر بشرية كبيرة في المدنيين، وتُحدِث دمارًا هائلاً في المباني.

واتهم عناصر الحزب بالسيطرة على محطات مياه الشرب، وقطعها ما أدى إلى زيادة تدهور الأوضاع الصحية لسكان المدن بدعوى تخليصها من الإرهاب.

وفي الأسبوع الأول من يناير ٢٠١٦م، تحدث حسن نصر الله عن أهمية احترام حقوق الإنسان، داعيًا إلى نبذ العنف والاستبداد، معرضًا في ذلك بالمسلمين السُّنة، وهو ما أثار حفيظة وزير العدل اللبناني: (أشرف ريفي) الذي ردَّ عليه بكلمات مضادة تلخِّص مسيرة الحزب في العقود القليلة الماضية. قال فيها:

«إن هذا التهادي في التضليل وادعاء الطهرانية، والتنكر لوقائع التاريخ الأسود لحزب نصر الله، القائم على العنف والخطف والإرهاب والاغتيال، وتصفية الخصوم،

وتخوينهم وتكفيرهم، وافتعال الفتن المذهبية، يحتِّم علينا التذكير بما قام به هذا الحزب، في لبنان بدءًا من قتل ضباط الجيش اللبناني بدم بارد، مرورًا باستهداف قادة المقاومة الوطنية، وصولاً إلى اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وشهداء ثورة الأرز، دون أن ننسى السابع من أيار وما شهده من جرائم مروِّعة، وما أعقبه من استمرار تعطيل الدولة والمؤسسات بقوة سلاح الأمر الواقع».

واستطرد: «نسأل اليوم مَن نصَّب نفسه ناطقًا باسم حقوق الإنسان، عن الجرائم الكبرى التي يمارسها حزبه في سوريا دعمًا للنظام المجرم، نسأله هل شاهد وهو الذي يتابع عن كثب، عشرات آلاف الصور الموثقة من الأمم المتحدة، للضحايا السوريين الأبرياء الذين قُتلوا في أقبية حليفه بشار الأسد، جوعًا وتعذيبًا وتنكيلاً، وتقطيعًا للأجساد؟ نسأل اليوم «داعية السلام ونبذ العنف»، عن مشاركة حزبه في تهجير السوريين من مدنهم وقراهم، وقتلهم وإبادتهم، نسأله عن إثارة الفتنة المذهبية في سوريا، التي يشارك فيها حزبه، والتي أدت إلى تعميق الجروح والأحقاد».

ما ذكره ذلك الرجل - أشرف ريفي - وهو في منصبه الرسمي الرفيع والمختص بالحقوق والحقائق، يظهر أن حقيقة حزب إيران في لبنان لم تعد خافية، وعلى الرغم من كل ذلك لا يزال رجل ولاية الفقيه يتاجر بقضية المقاومة، في دجَل خالٍ من الخجل.

ثالثًا: الأردن:

وضعت إيران عينها على الأردن بعد سقوط نظام صدام حسين في أوائل عام ٢٠٠٣م، واستغلت اندفاع أعداد هائلة من الشيعة الذين فرُّوا من القتال أثناء الحرب وبعد الحرب مهاجرين إلى الأردن وغيرها، مستغلين أوضاعهم الجديدة في نشر المعتقد الشيعي وتصدير فكر الثورة الخمينية.

ومع أن الأردن يعد من البلاد الخالية تاريخيًّا من خلل الفكر الرافضي باعتبار أن ٩٧٪ مسلمون سنة، من شعبها البالغ عدده ٥ ,٩ مليون نسمة، إلا أن ذلك لم يفُتَّ في عَضُد الروافض الذين يزرعون دائمًا بذورهم، وينتظرون أن يُنبتها الجهل أو الفقر عند شرائح من الشعوب، وقد تعمَّد رجال أعمال عراقيين شيعة استغلال التسهيلات التي منحتها الحكومة الأردنية للمستثمرين الأجانب، في تكوين أرضية اقتصادية قوية تابعة لأثرياء الشيعة في الأردن، وسط ترحيب من الأوساط الرسمية التي لمست الحاجة إلى تعويض الدعم الذي كان صدام حسين يقدِّمه للاقتصاد الأردني الضعيف.

لم تمضِ سنوات حتى أثمرت البذور الشيعية، بعد أن أصبحت أشجارًا خبيثة على ثرى الأردن، حتى رأى الشيعة والمتشيعون أنهم أصبحوا يمثلون وجودًا يسمح لهم بالمطالبة بإنشاء حسينيات خاصة بهم في قلب العاصمة عمان! وبحسب موقع (العربية نت) في (٤/ ١٢/ ٢٠٠٥م) فقد تقدم عدد من رجال الأعمال العراقيين الشيعة بطلب إلى وزارة الأوقاف الأردنية للموافقة على تشييد أول مسجد شيعي في الأردن في ضاحية عبدون الراقية جنوب غرب العاصمة الأردنية عمّان، بالقرب من مبنى السفارة الأمريكية الأكثر فخامة وضخامة في تلك الضاحية الهادئة من العاصمة.

ومن الناحية السياسية استغلَّ الشيعة التقارب السياسي النسبي بين عمان وطهران بعد سقوط النظام العراقي، في ترسيخ أقدامهم في الأردن، وكذلك وظَّفُوا التعاطف الجارف في الشارع الأردني - وخاصة بين الأردنيين من أصل فلسطيني - مع بطولات حزب الله الزائفة؛ في تمجيد الفكر الشيعي وشعاراته الدينية والسياسية، ولاحظ مراقبون أن إنشاء المؤسسات الشيعية الحاملة لأسماء مشابهة للمؤسسات

الحكومية التي تستخدم كثيرًا وصف (أهل البيت) عَمَّى الأمر على الناس، فخلطوا بين المؤسسات المتحدثة باسم النسب الهاشمي، الذي تنسب إليه المملكة الهاشمية، وبين الفكر الاثني عشري الإمامي.

وقوَّى التوجه نحو ذلك الفكر أن المذهب الجعفري يُدَرَّس رسميًّا في كلية الشريعة بجامعة آل البيت، وكذلك تقدم السلطات الأردنية التسهيلات لزوار مشاهد آل البيت في الأردن؛ لأسباب سياحية وسياسية.

وتواصل إيران الصيد في ماء الفتنة المذهبية العَكِر، فقد تم تشييد مسجد كبير عند قبر الصحابي جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - بتمويل من الحكومة الإيرانية - بحسب صحيفة (قدس برس) في ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٥م، بينما شهدت السياحة الدينية الشيعية إلى الأردن ازدهارًا ملحوظًا، وأصبحت مشاهد اللطم والنواح والدماء أمرًا مألوفًا بعد أن كانت طقوسًا محظورة.

مهمة «التبشير» الشيعي في الأردن ليست سهلة، لكن القائمين على المشروع الإيراني يدركون أهميتها، ويراهنون على عنصر الزمن في إيتائها أُكُلها.

وعلى الرغم من فشل محاولات إنشاء حسينيات للتعبد على الديانة الشيعية؛ فإن هناك مثابرة على الوصول للمأمول ولو بعد حين. وكانت شبكة (CNN) الأمريكية، قد أعلنت في ٨/ ٦/ ٢٠١٥م عن رفض السلطات الأردنية، ثلاثة طلبات إيرانية لفتح باب السياحة الدينية للإيرانيين بشكل منظم في المملكة، ونقلت عن وزير الأوقاف الأردني قوله: «إن ثلاثة طلبات على الأقل تقدم بها مسؤولون إيرانيون خلال عام أو أكثر، لتدشين هذه السياحة، إلا أنها قُوبلت بالرفض».

رابعًا: فلسطين:

عندما نجحت الثورة الإيرانية، رفع الخميني شعار ((اليوم إيران وغدًا فلسطين))، واستبدل بسفارة الكيان الصهيوني في طهران سفارة فلسطين في الأيام الأولى لانتصار الثورة، وقد اتخذ الإيرانيون من القضية الأولى للمسلمين، وهي قضية فلسطين والقدس والأقصى؛ معبرًا للوصول إلى وجدان الشعوب المسلمة التي لا تعرف حقيقة الشيعة ومعتقداتها ومشروعاتها، ومن جهتها بذلت إيران جهودًا كبيرة لاستقطاب شرائح ومجموعات ومنظمات فلسطينية كي تسوق لأفكار الثورة الإيرانية، وتجمِّل بها وجهها أمام العوام.

ومع أن طهران اتكأت على التغرير بالفلسطينيين سياسيًّا؛ فإنها لم تترك كليًّا «التبشير» بينهم مذهبيًّا، وهي تعرف جيدًا أن هذا لا يكتمل إلا بذاك، ولذلك تم الإعلان في مرحلة سابقة عن إنشاء (المجلس الشيعي الأعلى) في فلسطين. وكان ذلك في فبراير ٢٠٠٦م، لكن جرى التراجع عنه لشدة المعارضة في الأوساط الفلسطينية الواعية لخطوات التغلغل المذهبي الشيعي من خلال التجارب السابقة في بلدان عديدة.

ومع ذلك لم يتوقف السعي نحو اختراق الساحة الفلسطينية مذهبيًّا؛ عن طريق الترويج لدعاية إيران أنها نصيرة حركات المستضعفين في العالم، وعلى رأسهم أهل فلسطين. ولذلك حددت إيران مناسبة سنوية حماسية أطلقت عليها: (يوم القدس العالمي) وجعلته مهرجانًا خطابيًّا حماسيًّا يخلط بين تعظيم القدس وتفخيم قم! وزادت على ذلك بأن أنشأت ما يسمى (فيلق القدس) وثبتته تحت إدارة أشهر قادتها العسكريين (قاسم سليماني)، مع أن فيلق القدس هذا لم ينشط إلا في العراق لدعم مشروع إيران هناك، ثم نشط في سوريا لدعم نظام بشار لحساب إيران.

وقد كان لافتًا للنظر أن حسن نصر الله زعيم شيعة لبنان؛ ظهر في مهرجان تأبين (سمير القنطار) - الدرزي المتشيع - بعد مقتله، وتظهر خلفه خريطة فلسطين؛ وهي مطلية بألوان العلم الإيراني، وتتوسطها صورة القنطار، وهو تصرُّف يدل على نظرة الزعيم المزعوم لفلسطين، وكأنها محافظة إيرانية أبطالها هم الشيعة والدروز!

أما رموز فصائل المقاومة الفلسطينية؛ فإن إيران تتاجر إعلاميًّا بالظهور بمساندتهم والحفاوة بهم في المناسبات المهمة، مع تكثيف إلقاء الضوء على الزعماء الإيرانيين وهم يبالغون في الترحيب بهم، ليقارن هؤلاء ويقارن معهم أتباعهم بين حال الفلسطينيين مع زعماء الشيعة السياسيين والدينيين، وحالهم مع بعض الزعماء السنة السياسيين والدينيين؛ المحسوبين على السنة!

وقد تحول ظهور المرشد الأعلى للثورة الإيرانية مرتديًا الكوفية الفلسطينية التقليدية إلى ما يشبه عرفًا دبلوماسيًّا إيرانيًّا؛ لربط أذهان الناس باهتمام الشيعة بخدمة القضية الفلسطينية، ورعاية منظمات المقاومة التي لم يعد الناس يرون مَن ينصرها غير إيران وحلفاء إيران.

نجحت إيران في خديعة قطاع كبير من الفلسطينيين، ونجحت في خداع قطاع أكبر بهم، حتى صارت تصريحات قادة الشيعة عن تحرير فلسطين أكثر من قرارات الجامعة العربية ونقاشاتها بشأنها!

قد يمكن تَفَهُّم عذر بعض القادة الفلسطينيين وهم يرتمون في أحضان الشيعة لعدم وجود بديل مكافئ في جهوده ونفقاته لما تقدمه إيران؛ ولكن السنوات القليلة الماضية كانت كافية لأي قليل النظر كليل الفهم أن يدرك أن ما تجنيه إيران من مكاسب في شهور يزيد أضعافًا مضاعفة عما تنفقه أو تبذله في سنوات مقابل وقوفها الصوري

المزيف مع القضية الفلسطينية، وعلى الرغم من أن المستجيبين لدعوة التشيع منذ الثورة الإيرانية كانوا ولا يزالون قلة ضمن الفلسطينيين، إلا أن المسارعين في تأييدهم سياسيًّا خلال العقود الثلاثين عامًا الماضية مثَّلوا كثرة مخيفة حتى سنوات قليلة ماضية؛ وذلك بسبب انحياز القادة والرموز علانية نحو تأييد قادة إيران وتبجيلهم وإظهار مزيد الحفاوة بمواقفهم.

وقد كان دعم إيران بعض الأحزاب والفصائل الفلسطينية، وعلى رأسها «حركة الجهاد الإسلامي»، سببًا في تميُّع - إن لم نقل تشيُّع - عدد من قادتها، وقد مثَّل الانبهار بما يسمى (حزب الله) قوة دفع كبيرة إضافية للمروِّجين لصدق الشيعة في نصرة قضية المقاومة والوقوف بجانب المستضعفين، حتى تبنَّى بعض المخدوعين أفكار الحزب التي لا تنفصل عن عقائده، وخاصة في المخيمات الفلسطينية في لبنان، وتناسى هؤلاء ما جرى للفلسطينيين في مخيماتهم عندما بغت واعتدت عليهم حركة أمل - المرحلة الأولى لحزب الشيعة -، وأسرفت في دمائهم بمجازر المخيمات في الثمانينيات.

يرجع تأثر حركة (الجهاد الإسلامي) بالشيعة إلى بداية تأسيس الحركة، فقد كان (الدكتور فتحي الشقاقي) - رحمه الله - مؤسس الحركة وأول أمين عامّ لها، من المتأثرين بالشيعة والثورة الإيرانية.

ويروي الأمين العام الحالي لحركة الجهاد (د. رمضان شلَّح) أنه عندما اندلعت الثورة الإيرانية في فبراير/ شباط ١٩٧٩م؛ طلبوا من الدكتور الشقاقي أن يشرح لهم أبعاد حركة الخميني وأهدافها؛ لأن المقربين من الشقاقي وأنصاره لم يكونوا ملمِّين بحقيقة ما جرى، يقول شلح: «في البداية قرر أن يكتب دراسة في حدود عشر صفحات حتى يقرأها الجميع، لكن الفكرة تطورت إلى كتيب يُطبع ويُوزع في الأسواق».

وقد وصل حماس الشقاقي للثورة الإيرانية إلى الحد الذي جعله يقول: «إنها المرة الأولى منذ أكثر من مائة عام؛ يملك فيها الإسلام أرضًا وحكومة وشعبًا بمثل هذه الروح الاستشهادية».

وقد كان أغلب المؤسسين لحركة الجهاد من المتعاطفين مع الثورة الخمينية، وانعكس هذا على استراتيجية الحركة، التي اعتبرت التحالف مع الثورة الإيرانية ركيزةً أساسية في طريق التحرير، ولذلك كان من المنهاج الثقافي للحركة دراسة أدبيات الثورة الإيرانية.

وتعتبر الفترة التي قضاها بعض قادة جهاد الداخل الفلسطيني في (مخيم مرج الزهور) الذي أبعدهم الإسرائيليون إليه في جنوب لبنان؛ فترة حاسمة، فقد تبيَّن أن جلسات مطولة ومنتظمة كانت تتم بين عناصر «حزب الله» ونشيطين من «الجهاد الإسلامي».

ونتج عن تلك اللقاءات تبنّي بعض قادة الحركة التشيع خلال وجودهم في مرج الزهور، وبدؤوا بالعمل الشيعي بعد ذلك بشكل سري ومنظم، وكان يتم تدريس التشيع بين أفراد ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي بسرية تامة.

ولم يظهر أيُّ أثر للتشيع حتى بداية انتفاضة الأقصى سنة ٢٠٠٠م؛ حيث بدأت تطفو على السطح الحركات المسلحة الجديدة، ومنها «الجهاد الإسلامي»، فانتهز بعض عناصرها الموالين لإيران الفرصة، وأظهروا التشيع علنًا مستغلين حالة الفوضى، وانشغال الفلسطينيين بمقاومة اليهود، وعاطفة المسلمين مع كل من يحمل السلاح ضدهم؛ وقاموا بإنشاء عدة مؤسسات خاصة في محافظة بيت لحم، مثل اتحاد الشباب الإسلامي، وهو عبارة عن جمعية خيرية دعوية، أنشأت فيه ناديًا للشباب فيه كثير

من المغريات لاستقطاب أكبر عدد. كذلك تم إنشاء المستوصفات، ومراكز الخدمات الاجتماعية والمدارس ودور تحفيظ القرآن، ودعم طلاب الجامعات، وصرف رواتب لهم.

أما إيران فإن مشروعها ليس مشروعًا خيريًّا، فهي تريد أن تقبض باليمنى أضعاف ما تنفقه باليسرى، وقد كان الثمن فادحًا لقاء فُتات طهران للمفتقدين للنصرة من عموم المسلمين السُنة، فقد وفَّر دعم إيران المحسوب للقضية الفلسطينية موطئ قدم لهم في فلسطين. وأصبح ولاء من يدعمهم الشيعة لفكر التشيع أكثر من أيِّ ولاء آخر، وصار إعجابهم بهم وبخطهم السياسي أشد من إعجابهم بغيره

وقد ساهم (حزب الله) في إنجاح مسعى إيران نحو اختراق الأوساط الفلسطينية، عبر انضواء حركة الجهاد تحت لواء الحزب في إطار عمليات مشتركة تحت قيادة رئيس جهاز العمليات الخاصة في الحزب (عماد مُغنية) الذي اغتيل فيما بعد.

واعتمدت إيران لإنجاح مخطط نشر التشيع في المخيمات الفلسطينية مبالغ مالية ضخمة تُصرَف عن طريق «مؤسسة الشهيد» الإيرانية، وتم توزيع كميات كبيرة من كتب الشيعة بين سكان المخيم، من بينها كتب ألَّفها علماء شيعة، والبعض الآخر لعناصر من السُنة اعتنقوا التشيع.

مصر في المشروع الإيراني:

يرى الشيعة المعاصرون أن مصر انتُزعت من يدهم بعد أن قامت فيها الدولة الشيعية الفاطمية لما يقرب من قرنين من الزمان، ولهذا فهم مصرُّون على استعادة النفوذ الشيعي فيها مهما طال الزمان، وخاصة إذا كان (زمان الظهور) قد حلَّ، كما يجزمون.

ولعل ما يشجعهم على ذلك، أن الفاطميين العبيديين (وهم شيعة إسماعيلية) لم يكونوا أكثرية، ولا حتى أقلية كبيرة عندما سيطروا على مصر مدة قرنين من الزمان. يقول أحد المتحولين المتكسين عن مذهب أهل السنة إلى منهج الضلال الشيعي (صالح الورداني) الذي يصف نفسه بـ«المستبصر»: «كانت مصر على الدوام محطَّ أنظار الشيعة في العالم؛ لما تمثله في أعينهم من مكانة ورصيد وتأثير على الساحة الإسلامية، ونظرًا لعمق التاريخ الشيعي في مصر فقد شكَّل هذا جاذبية كبيرة لكثير من رموز الشيعة ودعاتها، وعلى مر التاريخ كانت هناك هجرات ورحلات شيعية لا تنقطع عن مصر، خاصة في فترات الاضطهاد وطوال العصر الأموي والعباسي. وقد انقطعت هذه الهجرات والرحلات بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر على أيدي الأيوبيين، ثم استؤنفت بعد ذلك في العصر الحديث»[1].

يكرهونها...لكن يريدونها:

وفي المعتقد الشيعي نرى النظرة التراثية الشيعية إلى مصر وأهلها، جمعت بين متناقضي المدح والذم، ففي حين وُجدت روايات تشيد بالمصريين وتجعل من مصر قبلة » للمهدي الغائب» وتجعل من أهلها أنصارًا له ولدعوته؛ تكثر من ناحية أخرى الأخبار التي تذم مصر وأهلها، وحتى ماءها وتربة أرضها! وهذه الصورة العقدية المتناقضة تجاه مصر؛ تؤثر في طبيعة التحرك الشيعي صوب مصر سلبًا وإيجابًا، فهم من ناحية يُضمِرون لها شرًّا، ومن ناحية أخرى لا يكفُّون عن أطماعهم وتطلعاتهم إلى اليوم الذي يستعيدون في السيطرة عليها؛ لارتباطها بنبوءات آخر الزمان عندهم. وهذا الموقف شبيهٌ بموقف التراث اليهودي من مصر، فهو يجمع بين كراهية ولعنات، مع أشواق وتطلُّعات.

(١) الشيعة في مصر صالح الورداني: (ص:١١٧).

فالمتأمل في المرويات الشيعية التراثية عن مصر يلحظ روايات تلعنها، وتصف أهلها بأشنع الصفات وأبشعها، ومن ذلك: «بئس البلاد مصر! أما إنها سجن مَن سخط الله عليه من بني إسرائيل»[1].

وجاء في بحار الأنوار للمجلسي في باب «الممدوح من البلدان والمذموم منها وغرائبها» (أبناء مصر لُعنوا على لسان داود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير»[2].

وينسبون إلى جعفر الصادق أنه قال: «إني أكره أن أطبخ شيئًا في فُخَّار مصر، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها؛ مخافة أن تورثني تربتها الذلّ وتذهب بغيرتي»[3].

ومع ذلك؛ ففي عقائد الشيعة ما يناقض هذا، ففي «بحار الأنوار»، ينسبون إلى عليٍّ - رضي الله عنه - أنه قال وهو في مرضه مادحًا مصر وذامًّا للشام: «لأبنين بمصر منبرًا، ولأنقضن دمشق حجرًا حجرًا، ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب، ولأسوقن العرب بعصاي هذه! فقيل له: كأنك تخبر أنك تحيا بعد ما تموت؟ فقال: هيهات! قد ذهبت في غير مذهب، يفعله رجل مني»[4]؛ إشارة إلى المهدي المنتظر.

وينسبون إليه أيضًا أنه قال عن المهدي وأصحابه: «ثم يسيرون إلى مصر فيصعد - المهدي - منبره فيخطب الناس، فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطي السماء قطرها، والشجر ثمرها، والأرض نباتها، وتتزين لأهلها، وتأمن الوحوش حتى ترتعي في طرف الأرض كالأنعام، ويُقذف في قلوب المؤمنين العلم، فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند

(١) بحار الأنوار للمجلسي: (٥٧/ ٢١٠).
(٢) المرجع السابق: (٥٧/ ٢٠٨).
(٣) بحار الأنوار: (٥٧/ ٢١١).
(٤) بحار الأنوار (٥٣/ ٦٠).

أخيه من العلم، فيومئذ تأويل الآية: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾[1].

وفي الإرشاد لشيخهم (المفيد) عن أبي الحسن قال: «كأنّي برايات من مصر مقبلات خضر مصبغات حتى تأتي الشامات، فتُهدى إلى صاحب الوصيات»[2].

ويدَّعي الشيعة كذلك أن المهدي سيستخرج من أهرام مصر كنوزًا من المال والعلم، ويستندون في هذه الرواية للشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين وتمام الملة) جاء فيها: «أن أحمد بن طولون شغَّل ألف عامل في البحث عن باب الهرم سنة، فوجدوا صخرة مرمر وخلفها بناء لم يقدروا على نقضه، وأن أُسقفًا من الحبشة قرأها، وكان فيها عن لسان أحد الفراعنة قوله: «وبنيت الأهرام والبراني، وبنيت الهرمين وأودعتهما كنوزي وذخائري»، فقال ابن طولون: «هذا شيء ليس لأحد فيه حيلة إلا القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله»، ورُدَّت البلاطة كما كانت مكانها»[3].

وفي معنى هذه الروايات يقول المرجع الديني المعاصر صاحب كتاب (عصر الظهور) على الكوراني: «ويُفهم من هذا أنه سيكون لمصر في دولة المهدي العالمية مركز علمي وإعلامي متميز في العالم، خاصة بملاحظة تعبير (لأبنِيَنَّ بمصر منبرًا)، وتعبير (ثم يسيرون إلى مصر فيصعد منبره)، أي: يسير المهدي عليه السلام وأصحابه إلى مصر، لا لكي يفتحها أو يثبت أمر حكمه لها، بل لتستقبله هو وأصحابه - أرواحنا فداهم -، ولكي يصعد منبره الذي يكون اتخذه فيها كما وعد جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام، وليوجه خطابه من هناك إلى العالم»[4].

---

(١) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٧٦).
(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: (٢/ ٦٧٣).
(٣) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص ٥٦٥.
(٤) عصر الظهور لعلي الكوراني: (ص١٥٤).

فالشيعة يعتقدون، بموجب الروايات الواردة في كتبهم عن مصر في عصر ظهور المهدي؛ حتمية وجود منبر إعلامي له فيها، يكون شرطًا من شروط خروجه، وإلا سيظل محبوسًا في سرداب سامراء!

ولهذا يتضاعف حرصهم في عصرنا هذا - عصر الظهور - كما يعتقدون - على تهيئة مصر لاستقبال هذا العصر، مستغلين في ذلك مجالات الإغراء بالمال والنساء والسياحة «الدينية» واستغلال الطرق الصوفية وبعض رجال الصحافة والإعلام، بل بعض المشتغلين بالسياسة في الأحزاب العلمانية القومية التي تفتقر إلى تمويل، ولو على حساب مبادئهم المعلنة، المتناقضة من كل وجه مع المشروع الإيراني الفارسي المعادي لمعاني القومية العربية العلمانية التي يقدسونها.

ثمة أمر آخر يجذب لبُّ الجنون الشيعي إلى مصر، وذلك يكمن في كلمة السر أو السحر؛ (مراقد الأئمة) فهم يزعمون أن رأس الحسين - وما أدراك ما الحسين في دين الشيعة؟! - هذه الرأس قد انتهى بها المطاف إلى أرض مصر!.. ومعنى هذا أن في مصر (كربلاء) أخرى لا تقل قداسة عن كربلاء العراق، لكنها تقبع بين أضلع القاهرة! وإذا كانت زيارة قبر جسد الحسين في العراق تعدل عند الشيعة اثنتين وعشرين حجة، فماذا تعدل زيارة الرأس في مسجد (الحسين) بالقاهرة؟!

وفي مصر عدد آخر من مقابر ومراقد أهل البيت - كما يقول الشيعة - مثل مشهد السيدة زينب، ومشهد السيدة نفيسة، ومشهد رأس زيد بن علي، ومشهد مالك الأشتر، قاتل عثمان - رضي الله عنه - كما يزعم الشيعة -. وقد تم تجديد مرقده مؤخرًا على أيدي طائفة البُهرة الإسماعيلية، ودُفن إلى جواره شقيق شيخ البهرة[1].

(١) طائفة البهرة: هم من الشيعة الإسماعيلية، يعترفون بالإمام «المستعلي»، ومن بعده «الآمر»، ثم ابنه «الطيب»، ولذا يسمون بـ«الطيبية»، وهم من إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة، وعملوا=

وخلاصة القول: إن لمصر في المعتقد الشيعي مكانةً كبيرة؛ حيث ترتبط مكانتها بأهم معتقد ديني يدين به الشيعة الاثنا عشرية، وهو معتقد «خروج المهدي»، فبتهيئة مصر لعودة النَفَسِ الشيعي إليها مرة أخرى، يتهيأ مهديهم المنتظر كي يخرج من سردابه القابع فيه منذ ما يزيد عن ألف ومائتي عام، أما ما يتبع ذلك من أمور عائدة إلى ما في مصر من المشاهد والقبور، التي كانت في يوم من الأيام تحت الحكم الشيعي العبيدي؛ فهي أمور ثانوية تُخدِّم على فكرة خروج المهدي، وكون مصر منبر هداه ومنطلق دعوته.

المدّ الشيعي في مصر:

في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وخاصة بعد قيام ثورة الخميني في إيران؛ كُشف عن أنشطة تروِّج للفكر الشيعي، بدأت في عهد الرئيس الراحل أنور السادات، الذي قامت في عهده الثورة الإيرانية، فاتخذ منها موقفًا معاديًا، وقام باستضافة شاه إيران الذي قامت ضده الثورة، واتخذ من أنصار الخميني موقفًا معاديًا من نظامه؛ لذلك قامت السلطات المصرية في عهده بحل (جمعية أهل البيت)، وصادرت ممتلكاتها لاكتشاف أنها تقوم بنشاط يدعو للتشيع بين المصريين.

وفي عام ١٩٨٧م كشف عن تنظيم شيعي سرِّي كان يحاول نشر التشيع في الأسر المصرية بمنطقة الدلتا، فألقي القبض على أعضائه، وأغلقت السلطات داريْ نشر شيعيتين تعملان في طباعة ونشر الكتب التي تحمل الأفكار الشيعية.

وبعد عهد السادات؛ وفي عام ١٩٨٨م أوقف أعضاء تنظيم شيعي سري جديد من ٥٠ فردًا يضم إيرانيين وخليجيين إلى جانب مصريين.

=بالتجارة، فوصلوا إلى الهند، واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا، وعرفوا بـ«البهرة»، والبهرة: لفظ هندي قديم، بمعنى «التاجر»، ويتسترون بالتصوف ومحبة آل البيت. انظر الموسوعة الميسرة.

وفي عام ١٩٩٦م عاد بعض أعضاء ذلك التنظيم لمزاولة نشاطهم ضمن ما سُمِّي (المجلس الشيعي الأعلى) المسؤول عن قيادة الحركة الشيعية في مصر، وتبين أنه يقوم بنشاط يغطِّي خمس محافظات مصرية.

وعندما بدأت الألفية الثالثة كشف تنظيم شيعي جديد في محافظة الشرقية بدلتا مصر.

وفي عام ٢٠٠٧م جرى الكشف عن مركز شيعي ظل يعمل تحت ستار مؤسسة حقوقية قبل أن يسقط في قبضة الأمن، وظل النشاط الشيعي ذو الطابع السياسي مطاردًا في مصر؛ لاستمرار سوء العلاقات بين الأنظمة المصرية والنظام الإيراني، المغضوب عليه أمريكيًّا.

ولما قامت الثورة المصرية في يناير ٢٠١١م؛ حاول الإيرانيون استغلال أجوائها، وظلت وسائل إعلامهم تدَّعي أن الثورة المصرية استلهمت روح الثورة الإيرانية، وحاول الإيرانيون التقرب إلى القيادة الإسلامية الجديدة في مصر، وقام الرئيس الإيراني السابق (أحمدي نجاد) بزيارة إلى القاهرة، كانت هي الأولى لرئيس إيراني منذ الثورة الخمينية.

وفي ظل المناخ الثوري الحُرّ، قُوبِلَت الزيارة بردود فعل إسلامية شعبية غاضبة تزعمتها الاتجاهات السلفية، وصلت إلى حد التعدِّي بالضرب على نجاد أثناء زيارته لضريح الحسين.

وكان لشيخ الأزهر تصريحات مناوئة للشيعة أثناء الزيارة، وسط سكوت الإدارة المصرية في عهد مرسي، وهو ما جعل تلك الزيارة تعطي عكس المطلوب منها إيرانيًّا؛ حيث عادت العلاقات المصرية الإيرانية إلى التوتر بعد عداء فترة السادات، وفتور عهد حسني مبارك.

لكن النشاط الداخلي الشيعي المسنود من إيران لم يفتر، بل ازداد جرأةً واستفزازًا، حتى إن أشهر الرموز التشيعية في مصر وأكثرها جرأة وتماديًا في استفزاز مشاعر الجماهير المصرية السنية، الخطيب الجريء البذيء المدعو (حسن شحاته) بالغ في سبِّ الصحابة علانية، فأدى ذلك لاستهدافه من بعض عوام الناس من جيرانه، فاجتمعوا عليه في بيت أحد أتباعه وقتلوه قتلة شنيعة، ومر الحادث دون ردود فعل قوية على المستويات الرسمية.

ومع كل تلك المشكلات يصرُّ المتشيعة المصريين على المضي في القيام بالموكول إليهم القيام به، في ذلك الجزء المهم من المشروع الإيراني، فازدادت محاولات إنشاء ما يسمى بالحسينيات الشيعية، التي تمارس فيها اللطميات، ومجالس الوعيد بالثارات.

ولكن السلطات الأمنية المصرية في العادة لا تتساهل مع النشاط الشيعي المُصرِّ على إنشاء تلك الحسينيات؛ لما هو معلوم من ردود الفعل الشعبية غير المأمونة. وقد تبين أن المتشيعة المصريين أنشأوا حسينية في منطقة (إدفو) بأسوان أقصى جنوب مصر في عام ٢٠١٢م، فتصدت أجهزة الأمن لهذا التسلل ومنعته.

يدَّعي الشيعة كذبًا أن عددهم في مصر يصل إلى عشرات الآلاف، وهي مبالغة حمقاء لا تُستغرب من قوم يتعبدون بالكذب، لكن يبقى أن عددهم الحقيقي غير معلوم حيث لا يُعترَف رسميًّا بإحصاءات أتباع المذاهب الاعتقادية في مصر، ويكتفَى في شهادات الهوية الشخصية بوصف الديانات السماوية الأصل.

لذلك فالتقديرات متضاربة، فهناك من يقول إنهم بلغوا ١٢ ألفًا، بينما تدَّعِي إحصاءات ذاتية شيعية بأنهم يبلغون ٣٧ ألفًا. وإجمالاً لا توجد وسيلة للتأكد من حقيقة عددهم، للجوء المتشيعة إلى التخفِّي والتقية تجنبًا للسخط الشعبي والرسمي على تحوُّلهم لذلك المذهب الاستفزازي المعادي.

وقد ادعى الدكتور سعد الدين إبراهيم، مؤسس مركز ابن خلدون، أن عدد الشيعة في مصر بلغ خمسة ملايين!! وذلك أثناء احتفال مركز (مصر الفاطمية) الشيعي بـ(اليوم العالمي للأديان)!! وهو كذب فجّ من مركز ابن خلدون، تجاوز افتراء التقرير الدولي للحرية الدينية الصادر عن الخارجية الأمريكية في ٢٠١٠م الذي قال: إن عدد شيعة مصر يمثل أقل من ١٪ أي: ٨٠٠ ألف على أقصى تقدير.

يدل على ذلك أن الأستاذ الجامعي المتشيع (أحمد راسم النفيس) صاحب الثلاثين كتابًا في الدعوة للتشيع؛ حاول استغلال أجواء الحرية بعد ثورة يناير، فسعى إلى إنشاء أول حزب شيعي في مصر وهو (حزب التحرير).. لاحظ التسمية.. لكنه لم يستطع أن يجمع الخمسة آلاف توكيل المطلوبة لإنشاء الحزب!!

الخطر الشيعي على مصر حتى اليوم غير مخيف، لكن قوة المساندة المادية من القوى الشيعية الخارجية؛ قد تعوِّض الضعف العددي، وتجعل منه خطرًا مستقبليًّا على شرائح شعبية يضربها الجهل والفقر، وتشيع فيها روح التمرد على كل الثوابت؛ بسبب وسائل الإعلام الخاصة المأجورة التي تطبِّل لمن يدفع أكثر! وهذه الشرائح الاجتماعية غير المحصَّنة؛ يعتمد دعاة التشيع على اختراقها بأساليب الإغراء بالإشباع المادي والروحي؛ من خلال التواصل السري الهادئ، خاصة في أجواء القهر الأمني للدعوة الإسلامية الصحيحة التي ينتعش فيها النشاط الهدام. يضاف إلى ذلك انحياز بعض العناصر الإعلامية والثقافية المشتراة للفكر الشيعي في مقابل طعنها في السنة وعقائدها.

ومع انتشار الفضائيات الدينية الشيعية بصورة سرطانية دون رقيب أو حسيب؛ صارت الدعوة إلى التشيع في الأوساط المصابة بالإيدز الفكري سهلة لا تحتاج إلى

دعوات سرية، فهذه القنوات تبث سموم الهلكة، وتنشئ الأرضيات التي يسهل عليها البناء فيما بعد.

ولا يخفى أثر لجوء المبشرين الشيعة إلى إغراء الشباب والفتيات بالمال والشهوات والسفريات وزواج المتعة، خاصة شباب الأماكن الفقيرة والنائية. وهي طرق تُتبع في كل البلدان التي ينشط فيها «التبشير» الشيعي.

يضاف إلى هذا أن بعض البلدان العربية التي عانت من عدم الاستقرار في السنوات الأخيرة - خاصة العراق وسوريا - لجأت أعداد كبيرة من شيعة العرب فيها للتوطن في مصر، اضطرارًا أو اختيارًا، وتركزوا في مناطق يستطيعون فيها التملك والانتشار، مستغلين حب المصريين الفطري لأهل البيت، مع جهل واسع بخلفيات الفكر المتستر بمحبتهم، خاصة في الأجواء التي ينتشر فيها التدين الصوفي الخرافي - واسع الانتشار في مصر - والذي يُعدُّ قنطرة انتقال من الانتماء السني السطحي إلى الانتماء الشيعي العميق؛ حيث يستغل دعاة التشيع مظاهر تقديس مناسبات الموالد، وخاصة المنسوبة لأهل البيت لتوظيف ما يحدث فيها من ممارسات الاحتفالات حول المشاهد والأضرحة والمزارات؛ لاستقطاب شرائح جديدة.

كل هذا يضاعف القلق من تنامي ظاهرة التشيع، لتكون وباءً فكريًّا شبيهًا بوباء الفكر الإلحادي الماضي في الانتشار، في أجواء منع أسباب المناعة، وتكثير وسائل الحصار.

شيعة مصر - مهما كانت قلتهم أو كثرتهم - هم جزء لا يتجزأ من آليات المشروع الإيراني، ومصر نفسها جزء لا يتجزأ من ساحات انتشار ذلك المشروع، والمتشيعون المصريون ينظرون لأنفسهم هذه النظرة، ويعدون أنفسهم وكلاء ذلك المشروع في

هذا القُطر من أرض النبوات والنبوءات مدفوعين بعواطف الترهات والخرافات التي تقول بأن مصر ستكون المهد الممهد للمهدي، والمنطلق الإعلامي والمنبر القوي لدعوته.

وبمناسبة النبوءات الخرافية المتعلقة بمصر؛ فإن من أعاجيب الروايات الشيعية المستقبلية لآخر الزمان، والواردة في أخبار (عصر الظهور) لمهديهم المنتظر، ما ورد بشأن ما يصفونه بـ (غلبة القبط على أطراف مصر في آخر الزمان)!! فهم يروون عن أمير المؤمنين أن من علامات ظهور المهدي: «غلبة القبط على أطراف مصر»؛ يقول مرجعهم المعاصر (علي الكوراني) تعليقًا على هذه الرواية: «والحاصل من ذلك أن أقباط مصر يثيرون فتنة فيها، ويسيطرون على بعض أطرافها، فيسبب ذلك ضعفًا في وضع مصر الأمني والاقتصادي»[1].

فمن لوازم ظهور المهدي عندهم إذن؛ سيطرة النصارى على بعض أطراف مصر!! ولا يُستبعد هنا أن يتعاون الشيعة مع الأقباط في سعيهم لتنفيذ مخطط (الدولة القبطية) على المناطق الساحلية بالقطر المصري[2]، أو من باب السعي الواجب عندهم لـ(تعجيل ظهور المهدي)، بتسهيل علامات قدومه، أو تفعيلاً لمعتقد بعضهم: أن نشر

(١) عصر الظهور، ص ١٥١.

(٢) الدولة القبطية مشروع تبته ما تسمى الجمعية القبطية الأمريكية التي أسست: (الهيئة التأسيسية للدولة القبطية)، وقد أصدرت تلك الهيئة إعلانًا بتأسيس (الدولة القبطية) في العاشر من يوليو عام ٢٠١١م، وهو ذات اليوم الذي احتفل فيه نصارى جنوب السودان بإعلان (دولة جنوب السودان)، في إشارة ذات معانٍ خبيثة متعددة، وقد اختارت الهيئة التأسيسية المدعو عصمت زقلمة رئيسًا لتلك الدولة، وعينت وزراء ومسؤولين لتسيير جوانب عمل المشروع، وتعمل لإنشاء بنك قبطي لتمويل مراحل المشروع، واختارت عَلَمًا خاصًّا بتلك الدولة. وقد أحيل عدد من المشاركين في هذا المشروع للمحاكمة في مصر بتهمة الإضرار بالأمن القومي المصري، وبتهم أخرى منها التورط في إنتاج الفيلم المسيء للرسول ﷺ. (مجلة روز اليوسف المصرية ٢ / ١١ / ٢٠١١م).

الفساد والإفساد في الأرض حتى تُملأ جورًا وظلمًا؛ هو ما يحقِّق شرط خروج المهدي، وهو اعتقاد جماعة «الحُجَّتية» الإيرانية الزائدة في تطرفها وخبلها عن بقية جماعات الشيعة[1].

إن لمصر موقعًا متقدمًا في كل المشروعات المتسارعة في التصارع على المنطقة، والشيعة لا يريدون أن يخرجوا من ميدان التنافس على النفوذ فيها مفلسين؛ فأجزاء مهمة فيها ستظل محط أطماع، وميدان صراع، بين اليهود والصليبيين المتربصين بها منذ عشرات السنين[2]؛ لذلك فالمتوقع أن يدخل أصحاب المشروع الإيراني على خط المنافسة، ولو عن طريق تحالفات المستقبل القريب، في خضم تفاعلات عصر ما بعد القطبية الواحدة، التي يسعى الروس والصينيون والإيرانيون الفرس لأخذ مراكز المنافسة الرئيسة فيها؛ لرسم معالم أسياسية فيها.

(١) هي جماعة تربط بين قيام المهدي الغائب وبين انتشار الفوضى والفساد في الأرض، «لأنه عندما يخرج لا بد أن تكون الأرض قد مُلئت ظلمًا وجورًا، حتى يأتي هو فيملؤها - لحسابهم - قسطًا وعدلاً.

(٢) انظر مقالاً للمؤلف بعنوان: (هل لا تزال مصر هي الجائزة؟) على الشبكة العنكبوتية.

الفصل الرابع:

جزيرة العرب.. الغاية والنهاية

جزيرة العرب.. وثلاثية العداء:

إذا كان المشروع الإيراني المعادي للسنة وأهلها في المنطقة قد بُني على ثلاثية العداء الطائفي، والازدراء العنصري، والطمع المادي؛ فإن تلك العناصر الثلاثة تتجمع أسبابها وتتركز دواعيها في جزيرة العرب، أو ما يسمى اليوم بـ(دول الخليج).

لذلك فإن تلك الجزيرة كلها؛ أراضي وشعوبًا وحكومات؛ تقع في بؤرة الاستهداف الشيعي بوجه عام والفارسي بوجه خاص. وهو ما يتسق - ويا للعجب - مع الاستهداف الصليبي الصهيوني، ولذلك أيضًا فإن أصحاب المشروع الإيراني يسيرون نحو ذلك الهدف الأخير بتؤدة وتبصر وتصبر، كحال الضواري المفترسة وهي تتربص بالصيد الثمين! خشية أن تقتنصه منها كواسر أخرى في البر أو البحر أو الجو.

لا يهم في نظر الشيعة - كما يظهر - أن تطول مرحلة الوصول إلى إحكام الإسار وفرض الحصار حول الجزيرة، في صورة هلال شيعي مشتعل أو حزام زلزالي مدمر، المهم أن يصلوا إلى مبتغاهم - لا أوصلهم الله - في فرض النفوذ على أرض الحرمين الشريفين، أو على الأقل ينزعونها من أيدي أعدائهم السنة، ولو إلى أيدي أغيار آخرين، ليسوا سُنة ولا عربًا.. ولا حتى مسلمين!

منطقة الخليج بوجه عام بما فيها بلاد الحرمين؛ بها وجود سكاني شيعي خفيف في مناطق وكثيف في أخرى، فأعداد الشيعة في بعض تلك الدول تزيد على أعداد السنة، ولذلك يعتمد المشروع الإيراني على استهداف دول الخليج بعد العراق التي بها أكبر كثافة سكانية شيعية بعد إيران.

والخطر الإيراني على دول الخليج استشعرته تلك الدول في وقت مبكر من انطلاق المشروع الإيراني، فأنشأت - بعد الثورة الإيرانية بعام - (مجلس التعاون الخليجي)

عام ١٩٨٠م كصيغة عمل جماعية، لكنها استثنت اليمن، فاستغلت إيران ذلك، وعملت على ملء الفراغ، باختراق اليمن لتنقضَّ منه على بقية جزيرة العرب.

لقد كانت إيران دائمًا طرفًا في الصراع على منطقة الخليج منذ غلبة التشيع على إيران، فمنذ مجيء المستعمر البرتغالي بعد الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر، دخلت دولة الصفويين الإيرانية على خط الصراع للهيمنة على ضفاف الخليج الغربية، وكذلك كانت إيران حاضرة في التنافس الأوروبي بعد الثورة الصناعية على إمارات الخليج بين البرتغاليين والهولنديين ثم الإنجليز، ولكنها لم يكن يهمها إذا فقدت السيطرة على قُطر إسلامي عربي؛ أو لم تقدر على تقاسم المصالح فيه؛ تحت أيِّ أيد يقع، وإلى أي مصير يسير!!

ولما دخلت منطقة الخليج عصر النفط في الربع الأول من القرن العشرين؛ ازدادت أطماع إيران في تلك المنطقة واصطدمت بأطماع أمريكا وريثة الاستعمار الأوروبي الحديث.

وإطلاق إيران على هذه المنطقة اسم: (الخليج الفارسي) في خطابها السياسي الإقليمي والعالمي، يترجم عن نظرتها بأن الخليج بضفتيه وما عليه هو مُلك خاص وخالص للفرس أو للمطيع من عمالهم.

والمشروع الإيراني برُمَّته لا يستطيع الصمود دون النفوذ الواسع على تلك المنطقة؛ لاعتبارات عديدة، عبَّر عنها مدير (مركز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية في الشرق الأوسط) - (كيهان برزكر) عندما قال في مقال له على موقع المركز: «لمنطقة الخليج أهميتها القصوى من بين المناطق المهمة في الشرق الأوسط، وذلك في النواحي الاقتصادية والأمنية والمصالح القومية، ولذلك فهي تأتي على رأس نشاطات السياسة

الخارجية الإيرانية، فالخليج هو الطريق الرئيس الذي يربط إيران بالعالم في تصدير الطاقة واستيراد البضائع، وهو نقطة الاتصال بآسيا الجنوبية والشرقية، لذلك فإن الحضور الفعَّال لإيران سياسيًّا وأمنيًّا في الخليج «الفارسي» والعراق يزيد من قدرة إيران إقليميًّا وعالميًّا»..

جزيرة العرب.. غاية الطلب:

يمكن تحديد عوامل أهمية منطقة الخليج للمشروع الشيعي الإيراني في نقاط:

- **فسياسيًّا:** تعطي الهيمنة على هذه المنطقة لإيران حضورًا عالميًّا؛ لأنها محط أطماع القوى الغربية منذ اكتشاف النفط فيها، ولا يمكن أن يحافظ الغرب على مصالحه في تلك المنطقة بمعزل عن إيران التي تسيطر على مضيق هرمز، وهو أحد أهم الممرات المائية في العالم، وأكثرها حركة للسفن التي تمر بمعدّل ناقلة نفط كل ٦ دقائق في ساعات الذروة - محمَّلة بنحو ٤٠٪ من النفط المنقول بحرًا على مستوى العالم.

- **واقتصاديًّا:** يضيف النفوذ الإيراني في منطقة الخليج لطهران قوة دفع اقتصادية هائلة؛ لأنها - من ناحية - أغنى المناطق بالنفط في العالم؛ ولأنها من ناحية أخرى من أهم الممرات الاستراتيجية العالمية للاستيراد والتصدير، ولأن دول الخليج - من ناحية ثالثة - تظل سوقًا لتصريف المنتجات الزراعية والصناعية الإيرانية.

- **وأما عسكريًّا؛** فإن إيران لا يمكن أن تدافع عن حدودها دون وجود خط دفاع متقدم في دول الخليج، ولذلك فإنها تصرُّ على السيطرة على الجزر الإماراتية.

وقد أجرت إيران مناورة من أكبر مناوراتها العسكرية البحرية عام ٢٠١٠م، تحت اسم (رعد) وشملت سواحل الخليج وبحر عمان، ثم قامت بإجراء مناورة أخرى جوية، هي الأكبر في التاريخ الإيراني بعد الثورة وأطلقت عليها (ميلاد نور الولاية).

وعندما نتحدث عن خطر المشروع الإيراني على جزيرة العرب بأقطارها، لا يمكن أن نقفز على اليمن الذي يُعدُّ البوابة الجنوبية لها، كما (كان) العراق بوابة شرقية لها ولأمة العرب كلها.

فإذا كان شأن العرب مع بوابتهم الشرقية هو ما قد عرفناه وخبرناه في تداعيات حروب الخليج الثلاثة، فلا يحتمل الأمر تكرار الشأن المشين مع حُماةِ اليمن وحماة بوابته، المرهونة - بعد عون الله - إلى صموده وجهاده وحكمته وصلابته.

اليمن في المشروع الإيراني:

للفرس ارتباط قديم باليمن قبل الإسلام، فقد كان لهم نفوذ في تلك البلاد، سببه دعم بلاد فارس للملك اليمني (سيف بن ذي يزن) ليُخرج الأحباش المدعومين من الروم من أرض اليمن، وجاء سيف بنفسه إلى بلاط كسرى ليطلب دعم الفرس ضد الروم البيزنطيين وعملائهم من الأحباش، وامتنع كسرى أول الأمر متعللاً بأن اليمن من البلدان الفقيرة التي لا تستحق التضحية لأجل غزوها، فرد عليه (ذي يزن) بأن جبال بلاده تختزن ثروات الذهب والفضة.

فأرسل كسرى إليه ثماني سفن محمَّلة برجال أخرجهم من السجون - بعد أن كانوا ينتظرون القتل على جرائم نُسبت إليهم - على أن يقاتل هؤلاء مع ذي يزن فداءً لهم من القتل.

ولم يضيع الطلقاء الفرصة، فقاتلوا الأحباش مع جيش ابن ذي يزن حتى هزموهم وأخرجوهم من اليمن.

وورث الفرس نفوذ الروم في اليمن، وظلوا على ذلك حتى بعد مجيء الرسول ﷺ ولم يغب نفوذ الفرس في اليمن إلا بغياب إمبراطورية فارس التي أُسقطت على أيدي المسلمين في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

لكنَّ التشيع ظهر في اليمن في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، غير أنه لم يكن على المذهب الاثني عشري المعروف اليوم في إيران وما حولها، ولكن على المذهب الزيدي الذي يُعدُّ أقل غلوًّا بكثير من المذهب الإمامي الاثني عشري.

فالشيعة الزيدية تقتصر بدعتهم الاعتقادية المتعلقة بالإمامة في اعتبار عليٍّ - رضي الله عنه - أفضل من أبي بكر ومن عمر وعثمان - رضي الله عنهم جميعًا - وأنه أوْلى بالخلافة منهم، لكنهم لا يتبرؤون من الشيخين ولا عثمان، ولا يكفِّرون جمهور الصحابة، كما هو الأمر في مذهب الشيعة الاثني عشرية.

أرادت إيران في عهدها الحاضر تجديد الهيمنة الفارسية على اليمن، ووجدت أرضية مناسبة لذلك تسهِّل نفوذها إليه، وهو وجود نسبة سكانية شيعية زيدية كبيرة من سكان اليمن[1] تبلغ نسبتها نحو ٣٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم قريبًا من سبع وثلاثين مليون نسمة.

ولا شك أن هناك قاسمًا مشتركًا بين الشيعة الزيدية، والشيعة الاثني عشرية، وهو تعظيم أهل البيت، فاستغلت إيران ذلك، واستغلت عدم اعتراف الزيدية بشرعية أية خلافة بعد الرسول ﷺ إلا خلافة علي - رضي الله عنه - وذريته؛ في تحقيق اختراق مذهبي لهذه الطائفة أو لكثيرين منها.

---

(١) تنتشر الزيدية في شمال اليمن، ويشكل أتباع المذهب الزيدية قرابة ثلث تعداد سكان اليمن خاصة محافظات صعدة وصنعاء، وعمران وذمار والجوف وحجة.

لقد بدأت إيران في استقطاب هذه الطائفة، وجرِّ رموزها وقادتها للتحول من المذهب الزيدي الهادئ، إلى المذهب الاثني عشري الهائج، فجعلت من بسط السيطرة على اليمن جزءًا أصيلاً من المشروع الإيراني، خاصة بعد أن تبين لها أن الغرب بزعامة أمريكا يريد خنقها عن طريق باب المندب في خليج عدن[1].

كانت اليمن ضمن خارطة تصدير الثورة الإيرانية منذ وقت مبكر لقيام تلك الثورة، لذلك فتح قادتها باب اتصالات وعلاقات مع الشيعة الزيدية من خلال السفارة الإيرانية في اليمن، وبدأ الإيرانيون في اختراق الزيدية بالطريقة التقليدية في الاختراق، وهي استقدام البعثات التعليمية، وتقديم المعونات الخيرية، واستغلت إيران العلاقات الحسنة بين صنعاء وطهران في العهد الطويل لعلي عبدالله صالح، فقامت بتعميق تلك الصلات، خاصة وأن علي صالح نفسه ينتمي إلى المذهب الزيدي. وزار عليّ صالح طهران في عام ٢٠٠٠م، ورد الرئيس الإيراني الأسبق (محمد علي خاتمي) بزيارة لصنعاء في شهر مايو ٢٠٠٣م، أي بعد سقوط بغداد بشهر على يد الأمريكيين، وكأن إيران أرادت أن تسير في طريق الاختراق الكبير لجزيرة العرب على صعيد بغداد وصنعاء معًا. وبدأت إيران اختراقها للطائفة الزيدية عن طريق حركة (الحوثيين).

الحوثيون (قطار طروادة):

اختراق إيران للطائفة الشيعية الزيدية، وتحويلها إلى الانتماء الشيعي الاثني عشري، من أوضح الدلالات على أن المشروع الإيراني يمضي وفق خطط جادة على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

(١) عدن: مدينة يمنية تقع على ساحل خليج عدن وبحر العرب في جنوب البلاد، وهي العاصمة الاقتصادية لليمن، وأهم ثاني مدينة يمنية بعد صنعاء، وتبعد عن العاصمة صنعاء بمسافة تصل إلى حوالي ٣٦٣ كيلو مترًا، وتعتبر أهم منفذ طبيعي على بحر العرب والمحيط الهندي، فضلاً عن تحكمها بطريق البحر الأحمر. (انظر الموسوعة العربية مجلد ٣٢ اليمن تاريخيًا).

وهذه الحركة الشيعية الزيدية الأصل تمردت بمحافظة صعدة في شمال اليمن، وهي تُنسب إلى (بدر الدين الحوثي)، وسمَّت نفسها (حركة أنصار الله) أو (الشباب المؤمن). وقد ظهرت فعليًّا خلال العام ٢٠٠٤م إثر اندلاع أولى مواجهاتها مع الحكومة اليمنية، وبعض المصادر تعيد جذورها إلى ثمانينيات القرن الماضي[١].

وإثر الوحدة اليمنية التي قامت في مايو ١٩٩٠م، وفتح المجال أمام التعددية الحزبية، حوَّل بعض النشطاء الزيدية أنشطتهم التربوية إلى مشروع سياسي من خلال (حزب الحق) الذي يمثل الطائفة. ثم أسس محمد بدر الدين الحوثي - خلال العام ١٩٩٢م - منتدى الشباب المؤمن، الذي حدثت به انشقاقات جعلته يتحول في عام ١٩٩٧م إلى حركة سياسية تحمل اسم «تنظيم الشباب المؤمن» يتزعمها (حسين بدر الدين الحوثي)، وقد غادره بعض أعضائه متهمين إياه بمخالفة المذهب الزيدي والتأثر بالمذهب الاثني عشري.

وقد رفع المنتدى منذ عام ٢٠٠٢م شعارات التثوير الديني السياسي، على الطريقة الإيرانية: (الله أكبر.. الموت لأميركا.. الموت لإسرائيل.. اللعنة على اليهود.. النصر للإسلام)، وكان الحوثية يرددونه عقب كل صلاة. وكان منع السلطات أتباع الحركة من ترديد هذه الشعارات بالمساجد أحد أهم أسباب اندلاع المواجهات بين الجماعة والحكومة اليمنية.

تولى قيادة الحركة أثناء المواجهة الأولى مع القوات اليمنية في عام ٢٠٠٤م حسين الحوثي، الذي كان نائبًا في البرلمان اليمني في انتخابات ١٩٩٣م و١٩٩٧م، وقد قُتل في السنة نفسها فتولى والده الشيخ (بدر الدين الحوثي) قيادة الحركة.

---

(١) انظر تفاصيل وافية ومحققة عن حركة الحوثية في كتاب (الحوثية في اليمن.. الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية)، لمجموعة من الباحثين، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث.

ثم تولى القيادة عبد الملك الحوثي الابن الأصغر لبدر الدين الحوثي، بينما طلب الشقيق الآخر يحيى الحوثي اللجوء السياسي إلى ألمانيا.

ينفي الحوثيون أنهم انقلبوا على المذهب الزيدي رغم إقرارهم بالالتقاء مع الاثني عشرية في بعض المسائل كالاحتفال بعيد الغدير وذكرى عاشوراء، لكن تطورات وتداعيات اجتياحهم للمدن اليمنية أوضحت أنهم جزء أصيل في المشروع الإيراني، سياسيًا واعتقاديًا. وقد خاضت جماعة الحوثيين عدة مواجهات مع الحكومة اليمنية منذ اندلاع الأزمة عام ٢٠٠٤م.

فقد نشبت المواجهة الأولى في ١٩ يونيو ٢٠٠٤م، وانتهت بمقتل زعيم التمرد حسين بدر الدين الحوثي في ٨ سبتمبر ٢٠٠٤م.

أما المواجهة الثانية فقد انطلقت في ١٩ مارس ٢٠٠٥م بقيادة بدر الدين الحوثي (والد حسين الحوثي)، واستمرت نحو ثلاثة أسابيع بعد تدخل القوات اليمنية.

وفي نهاية العام ٢٠٠٥م اندلعت المواجهات مجددًا بين جماعة الحوثيين والحكومة اليمنية.

وعندما قامت الثورة اليمنية في ٢٠١١م شاركت الجماعة فيها ضد نظام الرئيس علي عبد الله صالح، ووقّعت على مخرجات الحوار الوطني التي أُقِرَّت أواخر يناير ٢٠١٤م. ونصَّت على نزع سلاح كل الجماعات المسلحة ومن بينها الحوثيون.

ولكن لم يلتزم الحوثيون بتسليم أسلحتهم وفق ما نص عليه الحوار الوطني، وإنما بدؤوا قتالاً ضد القوات الحكومية في الشهر التالي: فبراير؛ للسيطرة على مدينة عمران الشمالية (معقل بني الأحمر).

وانتهت المعارك بسيطرة الحوثيين على المدينة في ٩ يوليو ٢٠١٤م، واتهم الرئيس اليمني في ذلك الوقت (عبد ربه منصور هادي) الحوثيين بإشعال الحرب في عمران بهدف ما وصفه بالالتفاف على قرارات مؤتمر الحوار الوطني، وتعهد بطردهم من محافظة عمران.

لكن الحوثيين وفي ١٨ أغسطس ٢٠١٤م تظاهر آلاف منهم في صنعاء احتجاجًا على زيادة أسعار الوقود، وطالبوا بإسقاط الحكومة وتطبيق قرارات الحوار الوطني. وهدد زعيمهم (عبد الملك الحوثي) بردٍّ عنيف إذا تعرض المتظاهرون لأي هجمات، متوعدًا بإسقاط الحكومة إن لم يستجب الرئيس هادي لمطالبهم، وانتشر مسلحون حوثيون في أوساط المتظاهرين، ووقعت مصادمات في عدد من أحياء العاصمة بينهم وبين المتظاهرين وبعض المواطنين الرافضين الانضمام إلى المظاهرات.

وأغلق الحوثيون جميع مداخل صنعاء أمام السيارات الحكومية وسيارات الجيش والشرطة، ومنعوها من الدخول لصنعاء أو الخروج منها، كما تعهد الحوثيون بالرد بكل الوسائل على أيّ هجمات جديدة على المعتصمين داخل العاصمة.

وفي ٢١ سبتمبر سيطر الحوثيون على العاصمة صنعاء؛ حيث استولوا على مقر الحكومة ومقار وزارة الدفاع والقيادة العامة للجيش والفرقتين السادسة والرابعة، ومقر البنك المركزي، وإذاعة صنعاء ووزارة الإعلام والتلفزيون الرسمي، ووزارة الصحة.

وتتابع سقوط المدن والقرى على أيدي الحوثيين، حتى تقرر تشكيل تحالف عربي خليجي لخوض حرب ضدهم لتحرير ما استولوا عليه، ووضع حدّ لتمددهم في أنحاء اليمن. ومنذ اندلاع تلك الحرب التي أطلق عليها (عاصفة الحزم) والأحداث

تتوالى في اليمن على صورة حرب بالوكالة بين إيران ودول الخليج العربي على أرض اليمن، والهدف من حرب إيران في اليمن؛ ستظهر الأحداث أنها أبعد كثيرًا من اليمن.

اختطاف طائفة:

كانت علاقات الحوثيين مع إيران قد بدأت عندما فرَّ زعيمهم (بدر الدين الحوثي) إلى طهران بعدما وقف مع الانفصاليين الجنوبيين في حرب عام ١٩٩٤م، ففي أثناء تلك الحرب التي هُزم فيها الانفصاليون؛ ضُرب منزل بدر الدين الحوثي بالطيران، لكنه نجا، ففر هو وأولاده إلى إيران، وهناك تلقفته المرجعيات الدينية والقيادات السياسية، وبدأت إيران في إعداده وأولاده لدور قادم في اليمن التي لها في أساطيرهم العقدية دور محوري يتعلق بالتعجيل بخروج الإمام المنتظر، عن طريق (الموعود اليماني) الذي سيخرج من اليمن، وسيكون له جيش كبير يمهد للمهدي سلطانه، كما سبق البيان.

لما عاد بدر الدين إلى اليمن ألَّف كتابًا يوضّح فيه أوجه الاتفاق بين المذهبين؛ الزيدي والاثني عشري، وخلُص إلى أن المذهبين قريبان من بعضهما ولا داعي للخلاف، وبهذا استطاعت إيران أن تحتوي طائفة بأكملها لم يكونوا من ضمن مذهبها ولا حلفها يومًا، فالطائفة الزيدية التي لا توجد في عصرنا في مكان آخر غير اليمن، حكمت تلك البلاد عدة مراحل ولم يتجاوز نفوذهم التقليدي صعدة وأرياف صنعاء، وبلغوا أوج شأنهم أيام السلالة القاسمية التي أسسها الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد في القرن السابع عشر، واستمر حكم الزيدية من عام ٨٩٨م إلى عام ١٩٦٢م، عندما قضت الثورة اليمنية بقيادة عبد الله السلال في ذلك العام على حكم الأئمة الزيديين.

وقد حاول الرئيس المصري الأسبق جمال عبدالناصر نقل اليمن إلى المعسكر الاشتراكي المرتبط بالشيوعية الروسية بعد سقوط حكم الأئمة الزيدية، ولكن السعودية وقفت بجانب الإخوان المسلمين في ذلك الوقت ضد التغلغل الشيوعي في الشمال.

التصعيد من صعدة:

وتوالى على حكم اليمن عدد من الرؤساء الذين لم تطل مدة حكمهم، حتى جاء علي عبدالله صالح إلى السلطة عام ١٩٧٨م عن طريق انقلاب عسكري، وظل يحكم اليمن حتى أسقطت الثورة اليمنية حكمه عام ٢٠١٢م، أي: بعد أكثر من ثلاثة عقود من السلطة، كان يجيد اللعب خلالها على تناقضات الأطراف المحلية والإقليمية، تنفيذًا لشعاره الذي طالما ردده «أنا أجيد الرقص على رؤوس الأفاعي»!

وكانت بعض دول الخليج وراء مساندته وإطالة أمد حكمه، غير أنها انقلبت عليه عندما اتخذ موقفًا مساندًا لصدام حسين أثناء غزو الكويت، لكنها عادت إلى تحسين العلاقة معه بحساب لأجل مصالح أخرى.

غير أن الخليجيين بدؤوا يهملون الشأن اليمني، ولا يلتفتون إلى مخاطر النفوذ الإيراني فيه، ولم ترد هذه الدول لليمن أن يُعامل معاملة عضو في دول مجلس التعاون الخليجي؛ مع أهميته الاستراتيجية البالغة في أمن الخليج، وبدأت إيران تتمدد في الفراغ الذي تركه الخليجيون في اليمن، ووقفت بكل قوتها خلف تقوية النفوذ الحوثي الذي بدأ متواضعًا في الشمال اليمني في محافظة (صعدة)، فما لبث أن تصاعد خطرهم حتى دخلوا في حروب عديدة ضد نظام علي عبدالله صالح،كان الجيش اليمني يتراجع أمام

الحوثيين فيها، وبدأت إيران تطور الحركة الحوثية وتصورها على أنها (ثورة الشعب اليمني.. الإسلامية)!

وظلت طهران تصدر البيانات لمناصرة «الشيعة المضطهدين» في اليمن، ووصفت حالهم هناك بأنهم يتعرضون لحملة إبادة جماعية، وشرعت في تقديم الدعم السياسي الذي كانت تقدمه لحركات وأحزاب زيدية معارضة هناك، ثم قصرت ذلك على دعم مالي وعسكري للحركة الحوثية على وجه الخصوص.

وعندما قُتل حسين بدر الدين الحـوثي والد زعيم الحوثيين (عبد الملك الحوثي) في إحـــــدى معارك الحوثيين ضد الحكومة اليمنية أطلقت إيران اسمه على شارع رئيس هناك، واصفة إياه بالشهيد!

ولما بدأت أحداث الثورة اليمنية الشعبية السلمية ضد علي صالح في فبراير ٢٠١١م حرصت إيران على حرفها عن مسارها السلمي عن طريق عملائها الحوثيين؛ حيث حاول هؤلاء افتعال اشتباكات ضد الجيش اليمني بعد فترة من التظاهر بالتنسيق مع الحراك الوطني الشعبي العام، وإمعانًا في التميز عن بقية الثوريين أطلق الحوثيون على مجموعاتهم اسم (شباب الصمود) خاصة وأن الحضور الأكبر في التظاهرات كان للشباب السني من حزب الإصلاح التابع للإخوان ومن غيرهم.

ورفض الحوثيون الانضمام للمجلس الوطني لقوى الثورة، وفضلوا أن يعملوا بمفردهم؛ لأنهم أصبحوا جزءًا من مشروع آخر أكبر وهو المشروع الإيراني، وثورة أخرى أوسع، وهي «الثورة» الإيرانية.

وأظهرت إيران موقفها الداعم لأنصارها داخل اليمن، ووقفت علانية بجانب

مواقف الحوثيين السياسية، وكذلك فصائل الحراك الجنوبي[1] الساعية إلى الانفصال بجنوب اليمن.

بدأ الحوثيون عسكرة الثورة من طرف واحد، بتوجيه إيراني، ولكن على طريقتهم الخاصة، فبدؤوا في افتعال صدامات مع جماعة الإخوان المسلمين في بعض الفعاليات، ومارسوا تحرشًا عسكريًّا سافرًا بالدعوة السلفية في اليمن، وخاصة في معقلها الرئيس في منطقة (دماج) بمحافظة صعدة، التي عدها الحوثيون والإيرانيون قاعدة انطلاق للمشروع الشيعي في اليمن بحسب النبوءات الشيعية[2]!

صنعاء وصنائع قُم:

بعد حصار استمر خمسة أشهر أُخرج السلفيون من دماج، ونقل الحوثيون معاركهم إلى محافظة (حجة)، ثم مدينة عمران التي صعَّد الحوثيون هجماتهم فيها بغرض الاستيلاء عليها، وتم لهم ذلك بدعم إيراني من جهة، وتواطؤ من قيادات

(١) الحراك الجنوبي هو تجمع من القوى والفصائل اليمنية في جنوب اليمن يطالب بانفصال الجنوب، وإلغاء الوحدة القائمة منذ العام ١٩٩٠م بين شطري البلاد، لتعود دولة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وتأسس الحراك الجنوبي في بداية العام ٢٠٠٧م. ولما اندلعت الثورة اليمنية ووصل لهيبها إلى معظم المدن اليمنية مطالبة برحيل الرئيس وإسقاط النظام، أعلن الحراك على لسان أمينه العام وقف مطالب الانفصال بشكل مؤقت، والانضمام إلى المظاهرات والاحتجاجات التي تعم البلاد والتي دعا لها الشباب اليمني، ثم انضمت إليها المعارضة ممثلة في أحزاب اللقاء المشترك. وتتهم الحكومة اليمنية الحراك الجنوبي بالتنسيق مع تنظيم القاعدة وإثارة الاضطرابات والقيام بأعمال عنف وشغب في جنوب البلاد، وفي أعقاب قيام عمليات عاصفة الحزم تضاعفت مطالب الحراك بالانفصال، خاصة بعد عدم قدرة ما تبقى من السلطة في الشمال على حماية مدن الجنوب.

(٢) من طرائف النبوءات الضالة المتعلقة بعقائد الشيعة في اليمن، ما أورده الشيخ الشيعي (علي الكوراني) في كتابيه (عصر الظهور) وكتابه (اليمانيون قادمون)؛ حيث جاء فيه بآثار تدل على أن ظهور مهدي الشيعة سيتحقق بعد ثورة إسلامية في اليمن يقودها رجل يدعى! حسن أو حسين، ويخرج من إحدى مناطق محافظة صعدة، ولذلك يقوم الحوثيون بنشر ذلك الكتاب على نطاق واسع!!

في الجيش موالية (لعلي عبد الله صالح) من جهة ثانية، واستفحل خطر الحوثية بعد ذلك حتى تجرءوا على اجتياح صنعاء، في مشهد مريب! حيث كان الجيش يتراجع أمامهم وكأن قواتهم أقوى من الجيش اليمني الذي يقاتل بشراسة منذ عشر سنوات مجموعات السلفية الجهادية في اليمن دون أدنى تراجع أو تباطؤ!

وبالاستيلاء على صنعاء، تكون إيران قد وضعت أيديها على أربع عواصم عربية (بغداد - بيروت - دمشق - صنعاء)، ولا يزالون حتى وقت كتابة هذه السطور يُلوِّحُون باجتياح عاصمة خامسة، وهي المنامة عاصمة البحرين!

الحوثيون انفتحت شهيتهم لـ(الفتح) بعد اجتياح صنعاء، وبدؤوا يتقافزون على بقية المحافظات ذات الأهمية الاستراتيجية، وخاصة محافظات الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر؛ حيث خليج عدن، ومضيق باب المندب، أقصى أماني إيران في اليمن.

وقد توسع النشاط الإيراني في موازاة ذلك في الجنوب اليمني عن طريق دعم الانفصاليين الجنوبيين الذين تحول حراكهم السياسي إلى حراك عسكري، يسعى إلى إعلان الجنوب اليمني جمهورية مستقلة، وبذلك تكون إيران قد أصبحت أداةً لتنفيذ أجزاء من مشروعات التقسيم التي سبق أن رسمت خطوطها أمريكا وإسرائيل.

الحوثيون بدورهم - مثل شيعة البحرين والخليج - يسعون إلى إعلان دولة شيعية عربية مستقلة في اليمن على غرار إيران الفارسية، تعيد حكم (الأئمة) فيما يشبه (خلافة) و(إمامة)! لكن حكم الأئمة في اليمن هذه المرة لا يراد له أن يكون شيعيًّا زيديًّا مسالمًا كما كان في الألف عام الماضية، ولكن يكون شيعيًّا اثني عشريًّا رافضيًّا معاديًا بل محاربًا للسُّنة وأهلها.

إيران تصور مساندتها للحوثيين على أنها نوع من «الممانعة» ضد المشروع الأمريكي في المنطقة، وعملاؤها في اليمن يهتفون في تظاهراتهم (الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل)! وهي تريد تصوير ذراعها المسلح في اليمن على أنه يواجه التحالف «السني الأمريكي»! خاصة بعد اشتراك إخوان اليمن في قبول المبادرة الخليجية التي أبعدت علي صالح من الرئاسة، لكنها أبقت على نظامه.

ماذا تريد إيران من اليمن؟

قدمت إيران خدماتها وخبراتها للحوثيين في اليمن على مدى سنوات ليكونوا ذراعًا عقائديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا لها في جنوب جزيرة العرب. ولم تذهب جهودها هباءً، فقد بدأت تظهر من الحوثيين على الرغم من حداثة أعمارهم وقلة تجاربهم نتائج أبهرت المراقبين في ذكائها وانتهازيته، وأظهر زعماء الحوثيين نُسخًا مكررة من الزعماء الإيرانيين في الذرائعية الماكرة، القادرة على كسب الجولات والمعارك السياسية بالتصعيد الشعبي، وتوظيف فكرة المظلوميات؛ مستغلة الأزمات والمشكلات المعيشية. وقد كانت بداية تحركهم للاستيلاء على صنعاء احتجاجات شعبية، لم تلبث أن تحولت إلى تحركات عسكرية طوَّقت العاصمة من ثلاثة اتجاهات، مدغدغة عواطف الجماهير، ومطالبة بإلغاء ارتفاع الأسعار، ثم ارتفع سقف المطالب إلى إقالة الحكومة، وتنفيذ مخرجات الحوار الوطني التي كان الحوثيون طرفًا رئيسًا فيها.

طموح إيران في اليمن ليس قاصرًا على أرض اليمن، ولكنها كما جعلت من صعدة منطلقًا للوصول إلى صنعاء، تريد أن تجعل اليمن منطلقًا إلى الحرمين، فالحرمان الشريفان هما غاية المشروع الإيراني الإيراني، ليسلب الشيعة أهل السنة أقدس ما لديهم، وأطهر ما في حوزتهم، وليجعل الإيرانيون من الحرمين الشريفين حوزتين

شيعيتين عالميتين؛ تصبغ بهما الإسلام نفسه بالصبغة الشيعية الاثني عشرية، وبذلك يكون المشروع الإيراني قد حقَّق - انطلاقًا من (قُم) - أعلى مستويات «تصدير الثورة»!

وقد أثبتت وقائع إخلاء منطقة صعدة للحوثيين، بعد طرد السلفيين منها، ثم انطلاق الحوثيين منها للوثوب على المدن والبلدات ذات الوجود الزيدي الكثيف؛ أن الأكمة كان وراءها ما وراءها من خطوات وتبعات انتهت في غضون أشهر قليلة لاستيلاء هؤلاء الحوثة على العاصمة صنعاء، بدفع إيراني، وضوء أخضر أمريكي، جعل الحوثيين ينزون على جبال اليمن نزو القردة دون خوف من أقمار أمريكا الصناعية، ولا قوات مارينزها البرية، ولا ضربات طائرات (الدونز) الاستباقية!

وسطا هؤلاء المدعومون من إيران على مفاصل الدولة بعد أن «غنموا» أسلحة الجيش الثقيلة والخفيفة والمتوسطة، بتعاون مع رجل أمريكا السابق في اليمن (علي عبد الله صالح)، بعد أن خاض الحوثيون ضده ست حروب تحت شعار «الموت لأميركا»! لم يستهدفوا في واحدة منها أية مصالح أو منشآت أميركية.

وعلى الرغم من إشاعة الحوثيين الفوضى الدموية في أنحاء عديدة من اليمن، فلم تدرجهم أمريكا على لوائح الإرهاب، ولم تحذِّر رعاياها من دخول أيٍّ من مدن اليمن وقت هياج الحوثيين كما تفعل عندما تستشعر أيَّ خطر حقيقي أو وهمي في أيِّ بلد من البلدان المستقرة، وهو ما يدل دلالة واضحة على أن الحوثيين، ومِن ورائهم الإيرانيون أعطوا «عهد أمان» للأمريكان، ريثما تنتهي مهمة التقسيم، ثم يبدأ بعدها التقاسم!

لكن التقاسم صعب في بعض أجزاء الفريسة، كالمواقع الاستراتيجية البحرية، التي ستكون حتمًا جزءًا من تواصل الفرس والروم على الرغم مما بينهما من تعاون وتفاهم راهن، فلا يمكن للغرب أن يسمح لإيران أن تستولي على ممرين دوليين

خطيرين في وقت واحد، هما (مضيق هرمز) و(مضيق باب المندب) الذي يتحكم في قناة السويس، حيث ظلت أهمية باب المندب محدودة حتى افتتاح قناة السويس ١٨٦٩م، وربط البحر الأحمر وما يليه بالبحر المتوسط وعالمه. فتحول إلى المضيق إلى واحد من أهم ممرات النقل والمعابر على الطريق البحرية بين بلدان أوروبا والبحر المتوسط، وعالم المحيط الهندي وشرقي إفريقيا.

ومما زاد في أهمية الممر؛ أن عرض قناة عبور السفن هو ١٦كم وعمقها ١٠٠ - ٢٠٠م. مما يسمح لشتى السفن وناقلات النفط بعبور الممر بيسر على محورين متعاكسين متباعدين. ولقد ازدادت أهميته بوصفه واحدًا من أهم الممرات البحرية في العالم، مع ازدياد أهمية نفط الخليج العربي.

ويقدر عدد السفن وناقلات النفط العملاقة التي تمر فيه في الاتجاهين، بأكثر من ٢١٠٠٠ قطعة بحرية سنويًّا (٥٧ قطعة يوميًّا). وللمضيق أهمية استراتيجية كبرى؛ حيث إنه يُعد قناة تربط ما بين البحر الأحمر والمحيط الهندي عبر قناة السويس.

تمر عبر المضيق سفن محملة ببراميل النفط. وتمثل هذه الحمولة حوالي ٧,٥٪ من كل حمالات النفط (بالسفن) في العالم، وهذا بحسب إحصاءات قديمة نوعًا ما، وهي تعتبر صغيرة بالمقارنة بمضيق هرمز الذي يعبر من خلاله ٤٠٪ من حاملات النفط (بالسفن) في العالم.

ولكن بسبب معركة النفوذ على مضيق هرمز، وهيمنة إيران المطلقة على طريقة الملاحة فيه؛ تود دول أخرى - منها إيران - بسط نفوذها على باب المندب؛ لتكون متحكمة - من خلال - وكلائها في اليمن - في حركة الملاحة الدولية والتجارة العالمية.

أما إسرائيل فلديها نفوذ في باب المندب بالتنسيق مع جيبوتي وإثيوبيا، ولن تسمح هي ولا أمريكا لإيران بالانفراد بالممرين.

ولهذا نقول: إن النزاع بخصوص اليمن - الذي لا يعلم تبعاته ولا تداعياته إلا الله - هو أكبر من نزاع.. وأبعد من اليمن، دينيًّا ودنيويًّا.

البحرين في المشروع الإيراني:

للبحرين موقع متقدم في الجزء المتعلق بالخليج من المشروع الإيراني رغم أن إيران تزيد مساحتها عنها بنحو مليون كيلو متر مربع، فإيران تعد أرض البحرين أرضًا إيرانية من الناحية التاريخية، ويساعدها في أطماعها أن بها غالبية شيعية وإن كانت عربية.

وقد ألقى السيناريو الذي افترضه وزير الدفاع الأمريكي الأسبق (كاسبر واينبرجر) في كتابه (الحرب القادمة) عن غزو إيران للبحرين عام ١٩٩٩م الأضواء على خطورة البحرين في المشروع الإيراني، وأثبتت الأحداث بعد عقدين من هذا السيناريو المفترض أن إيران عازمة فعلاً على ابتلاع البحرين، في سيناريو قريب من سيناريو اليمن، وهو ما حدث عند محاولة الانقلاب الشيعي الأولى في البحرين عام ٢٠٠٨م.

ملكية إيران لمملكة البحرين أصبح أمرًا غير قابل للنقاش لدى السياسيين والدينيين الإيرانيين، بعد بدء تنفيذ المشروع الإيراني، ففي مقالتها الافتتاحية بتاريخ (١٥/ ٥/ ٢٠١٢م) أكدت صحيفة (كيهان) الإيرانية اليومية التي ينشرها مكتب مرشد الثورة؛ على أن البحرين جزء من إيران، وأن غالبية الشعب البحريني ينظر إلى البحرين باعتبارها جزءًا من إيران، ويجب أن تعود إلى الوطن الأصلي وهو إيران!..

وخلال عام ٢٠١٢م عُقدت عدة مؤتمرات أكاديمية في طهران؛ لإثبات الأسس التاريخية والجغرافية التي تؤكد أن البحرين جزء من إيران، وأصبح ذلك الكلام مقررًا ومكررًا في الحوزات العلمية والمنتديات السياسية.

وكان الخميني قد عدَّ مجرد قبول الشاه النظر في حق تقرير المصير لشعب البحرين خيانة عظمى منه؛ لأن مصيرها مقرَّر فعلاً، وهو أنها جزء من إيران. لذلك كانت أولى الخطوات التي اتخذها الخميني بعد نجاح ثورته عام ١٩٧٩م تأسيس (جيش تحرير البحرين) الذي حاول فعلاً غزو الجزيرة بعدد من القوارب، لكن نشوب حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران أرجأ ذلك الغزو.

البحرين الكبرى.. هل جاء دور شيعة العرب؟

هناك أمر مهم، لا بد من استيعابه عند النظر في كلام الإيرانيين وعملائهم من شيعة العرب عما يسمى (تحرير البحرين)؛ ذلك أن البحرين في مفهومهم ليست تلك الإمارة الصغيرة التي تحولت إلى مملكة، والتي تبلغ مساحتها ٧٦٥،٣ كم مربع.

ولكن المخطط له أن تكون دولة مترامية الأطراف، يطلقون عليها بعد توسيعها: (البحرين الكبرى) لتكون مؤلفة من الكويت والبحرين، وقطر والإمارات العربية المتحدة، والمنطقة الشرقية من السعودية؛ لتكون رديفة عربية شيعية لـ(إيران الكبرى) الشيعية الفارسية، من النواحي العسكرية والاقتصادية والجغرافية والديمغرافية، ولا بأس من كون سكانها عربًا؛ فشيعة لبنان والعراق كانوا ولا يزالون في خدمة المشروع الإيراني الفارسي وهم عرب.

ومشروع بهذا الحجم؛ هو في حد ذاته مشروع مستقل، كان من الممكن أن يكفي إيران أن تشتغل عليه وحده لو كانت أطماعها مجرد أطماع مادية، لكن الفرس

- كما أسلفنا وأسهبنا - مشروعهم عقائدي في الأساس، وتأتي الأطماع في الثروات والمقدرات تبعًا.

لكن الأطماع المادية أيضًا ترتبط بالأوضاع الدينية التي تهدف إليها الإمبراطورية الشيعية الإمامية، فعندما تُضاف هذه دولة (البحرين الكبرى) بإمكاناتها الجبارة - كما يخططون - ستلحق بالمعسكر الشيعي في كل من العراق وسوريا، ولبنان واليمن، وأجزاء من أفغانستان وباكستان، فتكون كل تلك الأقطار تابعة للدولة الشيعية الأم إيران، ليتكون بذلك (حزام الزلازل) الشيعي المرسوم، ممتدًّا من أفغانستان مرورًا بإيران والعراق والشام؛ ليعود فيغلق (الهلال) مارًّا بالحجاز ومكة واليمن، حتى ينتهي بدرًا بـ(البحرين الكبرى)!!..

هل نقول: هكذا يحلمون أم نقول: **هكذا يخططون؟**

تريد إيران من هذه الدولة - حال قيامها - أن تغلق كل المنافذ والطرق التي تتنفس منها جزيرة الإسلام ودولة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، التي هي الهدف الأخير للمشروع الشيعي، ومن ثم تُطبق عليها وتحاصرها، وتحتل ما تريده منها.

نحن هنا نتحدث عن مخططات تنظيرية، تحاول تنفيذها قدرات بشرية محكومة بأقدار إلهية حكيمة، فقدرات البشر ومشيئتهم ليست مطلقة، لذلك نعتقد جازمين؛ أن كل ما خطَّطته ونفَّذته وما ستخطِّطه وما ستنفذه إيران ومَنْ حولها؛ يمكن أن يتهاوى أنقاضًا فوق ترابها، وتحت أقدام خصومها إذا أراد الله نصرهم، كما تهاوت أحلام فارس تحت أقدام الفوارس من أبطال المسلمين، لكن هذا شيء، واستعراض أعراض الخطر أمر آخر، فهذا أمر لا بد منه ولا محيص عنه عند من يفهم أمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

مهما كان تصديق أهل السنة أو تكذيبهم لما يُنقل عن أعدائهم؛ فإن اندفاع الشيعة وحماسهم لمشروعهم اليوم هو أكثر منه في أيِّ وقت مضى، خاصة وأنهم يعيشون فترة انتشاء بالانتشار والانتصار الذي حققوه، بعدما التهموا العراق، وسيطروا على لبنان، وتمكَّنوا من اليمن، وتسللوا إلى سوريا ليلحقوا الجميع بولاية الفقيه الفارسية، التي يرون أن مشروعها لم يجد ولن يجد مرحلة على مر العصور أنسب من المرحلة الحالية للانطلاق، الذي إذا لم يُحقق قريبًا فإنه لن يتحقق إلا بعيدًا أو لا يتحقق أبدًا.

(البحرين الكبرى) أصبح مشروعًا يتولى كِبْر الدعوة إليه والتنظير له نفر من أصحاب الصوت النشاز، والجدل المقيت؛ وعلى رأسهم خُميني الكويت المدعو: (ياسر الحبيب)[1] فهو عَرَّاب ذلك المشروع وداعيته، وله تصريحات كثيرة مثيرة وصارخة للدعوة الفجَّة له، أثارت انتقاد مراجع الشيعة أنفسهم؛ لجرأتها وحماقتها.

يقول في كلمة مرئية له على قناة (فدك) الشيعية التي يشرف عليها موجهًا الحديث إلى الشيعة من سكان دول الخليج كلها - لا شيعة البحرين فحسب - «نقول: لماذا لا توسعون من دائرة الأزمة التي هي البحرين، وتطرحون أزمة الشعب الشيعي في الخليج كله، فهو مضطهد مظلوم، ونحن نطالب بوطن قومي خاص بالشيعة في الخليج. اليهود هكذا صنعوا، كانوا مشتتين في بلدان كثيرة، أوروبا الشرقية قسم، العراق قسم، وأوروبا قسم، وأمريكا قسم. لكنهم وحَّدوا كلمتهم وطلبوا من الإمبراطورية البريطانية التي كانت مهيمنة آنذاك وطنًا قوميًّا لهم يجمع شتاتهم.. لماذا

(١) (قم) بإيران، ويدير ياسر حبيب تنظيمًا سماه (خدام المهدي) مقره بلبنان، وله انتشار في البحرين، وفروع في العراق وإيران ولبنان والكويت، ومهمة هذا التنظيم متابعة الجهود لإنجاز مشروع (البحرين الكبرى). ولهذا الشاب الشيعي السفيه كتاب قبيح سماه (الفاحشة.. الوجه الآخر لعائشة)!! كرم الله أم المؤمنين، وسوَّد وجوه المتعرضين لعرضها في الدنيا والآخرة.

لا ينتفض كل الشيعة في الخليج مطالبين بدولة لهم فيه، وهي التي نسميها (البحرين الكبرى)؟.. لأن البحرين الموجودة الآن هي البحرين الصغرى.

تاريخيًّا؛ البحرين الكبرى تشمل هذه الجزيرة الحالية مع الساحل الشرقي للخليج كله، يعني عندك من أعالي الكويت حتى أطراف الأمارات؛ هذه كلها تاريخيًّا قبل الإسلام وبعد الإسلام تسمى البحرين الكبرى (بلاد هجر)، وهذه المنطقة إذا تأملت.. أكثر سكانها شيعة، والأكثرية من المخالفين..»، ثم يقول مفصحًا عن المطامع الكبرى للشيعة في تلك المناطق: «وسبحان الله، هذه المنطقة هي التي يتركز فيها النفط، وإلا.. أين النفط في نجد؟ أين النفط في الحجاز..؟ فالثروة تحت أرجلنا نحن، ولكنها تذهب إلى جيوب الأقلية، وأقلية الأقلية».

وأردف خميني الخليج المؤمن جدًّا بـ(الشرعية الدولية): «نحن نطرح ونقول: تعالي يا أيتها الأمم المتحدة، تعالي وأجري استفتاءً في المنطقة الشرقية للخليج التي تشمل الكويت والأحساء والقطيف والبحرين وقطر والإمارات أيضًا، وحتى عمان.. أجري استفتاء لتقرير المصير.. هو بس لكم حق أن تجروا هذا الاستفتاء في جنوب السودان؟»، ثم قال «حسن نصر الله الخليجي»: «هذا الأمر ممكن يتحقق، ولكن يحتاج إلى جهاد مرير، سنوات من الجهاد والعذاب وتضحيات جمة. غيرنا ضحَّى فوصل»!!

ثم وجَّه نصيحة للشيعة قائلاً: «إذا أراد الشيعة في البحرين الخلاص، فليدوِّلوا مشكلتهم، بمعنى أنهم يربطون أنفسهم بباقي الشعوب الشيعية في الخليج، حتى يصبح شعبًا شيعيًّا واحدًا يطالب بكلمة واحدة تطالب بوطن قومي للشيعة في الخليج تحت مسمى (البحرين الكبرى). والدعوة لذلك مشروعة بكافة الدساتير وكافة المواثيق والأعراف الدولية!

بلاد الحرمين في المشروع الإيراني:

إيران ومن معها من شيعة العالم يهمهم من جزيرة العرب أمران خطيران: المقدسات والثروات. والمقدسات فيها قبل الثروات؛ لأن الارتباط بالمقدسات يضمن لإيران استمرار الثورة، وهي عندهم قبل الثروة؛ لأن تصديرها لا يُقدَّر لديهم بثمن، خاصة أن بلاد الحرمين في تركيبتها الشعبية؛ تستعصي على قبول الخرافات الشيعية وشعاراتها السياسية؛ لما للبيئة العلمية والدعوية السلفية من حضور قوي؛ لا يزال يمثل حصنًا متينًا، وربما أخيرًا ضد الاختراق الرافضي المذهبي والثوري. فالشعب هناك هو أبعد شعوب الأرض عن قبول دجل الرفض، حالاً ومستقبلاً، خاصة وأن من خصائص مكة والمدينة أن الإيمان سيأرز بين مسجديهما، كما تأرز الحية إلى جحرها، وسيعصمهما الله من فتنة الدجال الخارج من أصبهان بإيران.

(تدويل الحرمين).. شعار في شعار:

العناد الشيعي المسعور يريد في الحاضر تقليب الأمور في الحرمين ذاتها، بالإصرار على استدعاء أوضاع تغير تغييرًا جذريًّا بشؤونها، ليكونا تحت (إدارة دولية) تسمح للشيعة وغُلاة الصوفية؛ بل حتى العلمانية اللادينية وبقية الفرق الضالة أن يكون لها شأن في كيفية تسيير أمورهما العبادية والشعائرية، وطريقة الدروس والخطابة الدعوية.

وسبيل إيران نحو هذا السبيل اختصرته في مطلب، ثم حولته إلى شعار، تسعى لتسويقه وترويجه منذ عدة عقود.

إيران تتنادى كل حين بـ(تدويل الحرمين) لا على سبيل الإدارة فقط، بل على سبيل التمليك المشاع لبقاع مكة والمدينة وما حولهما. وهي تستغلّ كل مرة الأحداث التي تحدث في مناسك الحج، ولها شأن بالحجاج الإيرانيين؛ لأجل تكرار تلك

المعزوفة، مع أن الحقيقة التي يعرفها الجميع أن غالب تلك الأحداث تأتي ضمن تداعيات ونتائج ممارساتهم في محاولة تحويل الحج إلى سوق عكاظ شيعي، تتحول فيها ابتهالات التلبية لله؛ إلى تلبية نداءات ثورة الشيعة بـ«البراءة» على الطريقة الإيرانية من «المشركين»!!

المشركون الذين ظلت إيران تطالب بجعل البراءة منهم جزءًا من هتافات الحج يستدعيهم «آياتها» لتولّي الإشراف على إدارة الحرمين عن طريق (الأمم المتحدة)!!

ومن يراجع القضية في الشبكة العنكبوتية سيجدها مليئة بمقاطع علماء الشيعة وساستهم وهم يكررون هذا المطلب بإلحاح عجول غير مسؤول. ومنذ وقت مبكر من قيام ثورة الروافض علت الأصوات بضرورة «تحرير» الحرمين؛ ففي مهرجان خطابي للاحتفاء بالثورة الإيرانية عام قيامها، ألقى (محمد مهدي صادقي) خطبة في ١/ ٣/ ١٩٧٩م جاء فيها: «سينتقل مجاهدونا إلى القدس، وإلى مكة، وإلى أفغانستان.. أصارحكم أيها الإخوة: إن مكة المكرمة يحتلُّها شرذمة أشد من اليهود»!

وطوال عهد الخميني وأثناء الحرب العراقية الإيرانية؛ كان هذا الطلب يتردد نظريًّا، ويُرتَّب له عمليًّا كخطوة أولية توصل للسيطرة النهائية، فرسَم القائمون على المشروع الإيراني خطة في غاية الخبث لتغطية مراميهم في الترويج لتدويل الحرمين، وهي البدء باستغلال مواسم الحج لتثويرها وتوتير سيرها، فدأبوا على تنظيم المظاهرات في المشاعر المقدسة، مرددين الشعارات ورافعين اللافتات وصور الخميني، وهم يعرفون - بداهة - أن هذا سيسبِّب توترات يمكن أن تتحول إلى صدامات مع قوات الأمن، وهنا يستغلونها برفع الصراخ: «نطالب بتدويل الحرمين»؛ لأن القائمين عليهما لا يضمنون حرية التعبد ولا أمن الحجيج.

وهذا ما كان يحصل، ففي حج عام ١٩٨٧م رفعوا صور الخميني في المشاعر مرددين الهتافات، وقاموا بقطع الطرق وعرقلة حركة السير، وهو ما أدى إلى تصادم المتظاهرين مع رجال الأمن، وفي عام ١٩٨٩م وقعت أحداث نفق المعيصم، التي تسبَّبت في وفاة مئات - وقيل آلاف الحجاج -، وتبين أن الحادث كان مدبرًا، ولشيعة الكويت يدٌ فيه، وهو تسريب غازات سامة في الأعداد الكثيفة من الحجاج داخل النفق.

تبيَّن للشيعة أنه بدون إحداث حوادث أو كوارث؛ لا يمكن الاستمرار في ترديد مطلب التدويل، ولذلك كان مطلوبًا ألا يخلو موسم من الحوادث، إلا أن يلطف الله بالحجيج. لهذا فمن المهم إعادة التأمل في سياق تلك الأحداث وتطورها عبر ما مضى من عقود.

سواء تجددت أحداث في مواسم الحج أم لم تتجدد؛ فالمطالب الشيعية بتدويل الحرمين لا تنتهي، ومن أبرز الساسة الذين المروجين لهذا الشغب؛ المنظر الاستراتيجي الإيراني الشهير (محمد جواد لاريجاني) الذي يشغل منصب رئيس مركز الأبحاث في طهران، وأمين هيئة حقوق الإنسان في السلطة القضائية، وصاحب (نظرية أم القرى) التي اقترح فيها تحويل صلاحيات مكة أم القرى إلى طهران، وهي النظرية التي سبق تناولها في فصل سابق.

فقد دعا إلى تدويل الحرمين، وإسناد الدور الأكبر في تلك الإدارة إلى إيران. وردَّد شقيقه (علي لاريجاني) رئيس مجلس الشورى الإيراني ذات المطلب، وبعد أحداث حج عام ١٤٣٦هـ في مشاعر مِنى، جدَّد نائب رئيس مجلس خبراء القيادة الإيرانية (محمود الهاشمي الشاهوردي) المطلب ذاته، بعد أن اتهم السعودية بنشر ما وصفه بـ(المذهب الوهابي التكفيري المقيت)!

الحرَمان الشريفان.. «تدويل».. أم «تحرير»؟

لم يحزم الشيعة رأيهم في أيّ المطلبين استقر قرارهم: «التدويل» أم التحرير»! وفي كلتا الحالتين فإنَّ (شماعة التكفير) هي التي لا يكفّ «علماء» الجهل من الشيعة عن تعليق مطالبهم الطائفية عليها؛ وهي ذاتها التي يكررون بسببها محاولات الإقناع بمطلب التدويل، أو التحرير، فـ(تكفير) القائمين على إدارة الحرمين عندهم هو السبب الرئيس لتلك المطالب، ولنسمع لأحد علمائهم الموصوف عندهم بـ (آية الله): «السيد» مجتبى الحسيني الشيرازي، وهو يتكلم بلسان فصيح وصريح نيابة عن بقية الشيعة في شأن تدويل الحرمين.

وأنقل هنا نص كلماته من خلال ما هو موجود بالصوت والصورة على الشبكة العنكبوتية، لا لأهمية الكلمة أو أهمية صاحبها؛ ولكن لأنها تترجم عما لا يتوقع غيره من رموز المشروع الإيراني في هذه القضية، ويقول ذلك العراقي المقيم في لندن، في كلمة بمناسبة ذكرى هدم «العتبات المقدسة» في البقيع بالمدينة المنورة، الذي يوافق الثامن من شعبان في كل عام: «بهذه المناسبة نقدم ملاحظات، قدمناها فيما سبق أكثر من مرة، الملاحظة الأولى: يجب.. يلزم.. ينبغي.. ضروري.. تدويل الحرمين الشريفين بكل متعلقاتهما من المدن كمدينة جدة ومدينة الطائف وما أشبه، فمنطقة الحرمين ليست سعودية، وإنما هي للأمة الإسلامية، وما دامت السعودية دولة ظالمة تسيطر على أمور ليست من حقها، فضروري تدويل المنطقة كلها..! ستقول: كيف؟ الكافر يُدير الحرمين؟ فكل من يقومون على التدويل كفار، كلهم أو أغلبهم (يقصد دول الأمم المتحدة)، فكيف الكافر يتسلط على منطقة الحرمين الشريفين؟ بحسب النصوص الدينية: الناصب شرّ من الكافر، الآن؛ الناصب متسلط على منطقة الأماكن المقدسة هنا، ونخلي الناصب يولي بدل الكافر؟ الآن؟..

الحكم السعودي (هكذا يقول).. زنديق.. كافر.. ملحد؛ بالإضافة إلى كونه ناصبًا.. المشرفون على التدويل «دول» كفار.. لكن «مو» نواصب عندهم موقف سلبي مستمر من أهل البيت صلوات الله عليهم.

هذه ملاحظة؛ ملاحظة أخرى: المسلمون لا يريدون من السعودية شيء آخر، لا دولار ولا ريال خلي السعودية لا تمنع من بناء العتبة المقدسة الحَسَنية في البقيع - صلوات الله على الإمام الحَسن - وبالتبع؛ العتبة السَجادية، والعتبة الباقرية، والعتبة الصادقية.

خلِّي الحكم السعودي «يشيل» منعه عن بناء العتبات المقدسة، والمسلمون (يعني الشيعة) هم الذين يتبرعون، هم الذين يجيبون مهندسين، هم الذين يجيبون معماريين، هم الذين يجيبون بنائين وما أشبه. على غرار العتبات المقدسة الأخرى في العالم.

«شنو» الحكومة الإيرانية بنت العتبة الرضوية في هذا التاريخ الطويل؟ والحكومة العراقية بنت العتبات المقدسة في هذا التاريخ الطويل؟ ».. انتهى كلامه.

الشيعة يعدون الحرمين الشريفين في حالة احتلال، ولا بد من تحريرهما من يد أهل السُنة، ولو بإعطائهما لإدارة يتشارك فيها الشيعة والكفار!.. يقول » آية» آخر، هو رجل الدين (حسين وحيد الخراساني) المقيم بقُم: «كلّ شيعي على وجه الأرض يتمنى فتح مكة، وإزالة الحكم الوهابي الـ (....) منها!

شعار (البراءة) في الحج.. براءة ممن؟

تمني الشيعة «تحرير» الحرمين، تقبع وراءه أهداف مذهبية غير تلك التي تلبس لبوسًا سياسية، فالمذهب الشيعي الرافضي المرفوض؛ يقرر أن فريضة الحج لا تكمل ولا تصح إلا بما أسموه (البراءة من المشركين)، ولذلك كان الخميني يكلف بعثات الحج بإلزام الحجاج بترديد عبارات البراءة مع عبارات التلبية.

و(البراءة) عند الشيعة لها مغزى مهم عندهم لا يستطيعون الاستغناء عنه، فـ(البراءة) جزء من المعتقد الشيعي، ولكن أي براءة؟ أهي من أمريكا أو إسرائيل.. كما يهتف أكذب البشر في أطهر البقاع؟!.. لا؛ بل البراءة المقصودة عند هؤلاء الباطنية هي البراءة من الشرك بمعنى مشاركة الأئمة المعصومين في مهام الإمامة!!

يقول عالمهم المجدد لمذهب الرفض في عهد الدولة الصفوية: (محمد باقر المجلسي): «من ضروريات دين الإمامية البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية»[1].

وهذا الاعتقاد الفاجر؛ يعبث المجلسي بتفسير القرآن ليمرره، ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، يقول ذلك المجلسي، مستعملاً اتجاه الزندقة في التفسير المسمى بالتأويل الباطني: «أُريد في باطنها باللات: الأول، وبالعُزى: الثاني، وبمناة: الثالث؛ حيث سموهم بأمير المؤمنين وخليفة رسول الله، وبالصديق، والفاروق وذي النورين»[2]!

المقصود أن البعد العقائدي المنحرف، هو القابع وراء شعار (البراءة من المشركين)، ولفرط دجَلهم وكذِبهم يُخرجونه في صورة هتاف (الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل).. ولَم يُستغرب هذا التلاعب بالألفاظ من قوم فسَّروا (البقرة) بـ(عائشة) رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧][3]!!

---

(١) الاعتقادات للمجلسي (٩٠).

(٢) الاعتقادات للمجلسي (٩١).

(٣) ومن ذلك ما اطلعت عليه أثناء بحثي للدكتوراه: (الخلاف المذهبي وأثره في التفسير)، حيث وجدت مثل هذا الكثير في تفاسير القوم الظالمين، فمن ذلك:

- تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩] بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
- تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[البقرة: ١٦٨] بولاية أبي بكر وعمر.
- تفسير قوله تعالى: ﴿يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] بأبي بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم.=

إن كل تلك التصرفات الشاذة والمطالب المنحرفة، ستولد، إن نُفِّذت - لا قدر الله - نتائج أكثر انحرافًا وشذوذًا.

معنى أن يكون الحرمان الشريفان تحت سلطان الشيعة:

من العجائب أن كثيرين من جهلة الصحفيين، ومرتزقة العلمانيين القوميين؛ يردِّدون دعاوى تدويل الحرمين، لا لغرض تطوير خدمات، ولا زيادة إجراءات أمن لضمان سلامة الحجيج، أو نحو ذلك؛ ولكن يردِّدون مع المغرضين الشيعة ذات التعبيرات الماكرة (ضمان حرية الاعتقاد والعبادة للجميع في ممارسة شعائرهم وفق مذاهبهم، دون تمييز بين دين أو معتقد أو مذهب)!!

إن هذا معناه؛ حال التنفيذ في حرم الله - عياذًا بالله - أن يُسمَح في الحرمين الشريفين - حصن التوحيد - بأن يُشرك بالله، ويُكفَر باسم «حرية العبادة للجميع»، بمن فيهم أصحاب المذاهب البدعية بكافة صورها الشركية والإلحادية، وما أكثرها في عالم اليوم، وعندها لا يُستبعَد تحت الإشراف الدولي أو الشيعي - لا قدر الله - أن يُرى (مصحف فاطمة) على أرفف المصاحف في الحرمين..! وأن تُسمع الأئمة ذوي العمائم السوداء يقرؤون منه في الصلوات الجهرية.. وأن تُشاهد «المشاهد» بقبابها الذهبية والطواف حولها ينافس الطواف بالكعبة المشرفة، ويفوق تقبيل القبور فوقها

=- تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢] بطلحة والزبير رضي الله عنهما.
- تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣]، بعلي وفاطمة.
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] بولاية أبي بكر وعمر وعثمان.
- تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠] بأبي بكر وعمر وعثمان.
- تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠] بطلحة والزبير رضي الله عنهما.
- تفسير قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠] بمعاوية رضي الله عنه.
- تفسير قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ بالحسن والحسين.

تقبيل الحجر الأسود! وأن يتردد في مكة ومنها للعالم أذان (حي على خير العمل)! وأن يُجهر بعد خطب الجمعة باللعنات للخلفاء الراشدين والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان - دون عليٍّ -، وأن تُرى القلوب السود تذرف الدموع الماكرة في مناحات اللطميات والثأريات، حول العتبات التي ستخضَّب بدماء غير طاهرة، تُسال عمدًا من الصغار قبل الكبار.. تحت دقات الصدور وضربات الجنازير للأكتاف والظهور تحت دوي هتافات (يا لثارات الحسين)!!

ولا يُستبعد وقتها - أجارنا الله من الفتن - أن تكون منابر المساجد في الحرمين الشريفين ساحات (هايد بارك) لكل ناعق بأيِّ دعوة تحت مظلة: حرية الرأي.. حرية الفكر.. حرية المعتقد.. بل «الحرية الشخصية» التي يمكن أن يمارس باسمها بعض القادمين للحج أو الزيارة، الفجور والفسوق - بل الدعارة - بالفتاوى الجاهزة المجوزة لنكاح المتعة!

هذا ونحوه ما يريده الشيعة وأذنابهم بتدويل الحرمين؛ حيث لا دولة تحمي العقيدة أو تصون الأخلاق أو تحافظ على نقاء المنهج وسلامة العبادة.

الجادون في الهزل:

مهما ظن بعضهم أن الصور المتخيلة المذكورة آنفًا هزلية أو غير واقعية، فإن الخرافيين «الواقعيين» المنظِّرين لمشاريع الشيعة؛ يتعاملون مع الخطط الموصِّلة لتدويل الحرمين على أنها ممكنة الحدوث، قريبة المنال، يقول الخبيث - خميني الكويت - (ياسر حبيب) بعد أن طالب الغرب برفع يده عن حماية الدولة السعودية حتى يسهل سقوطها: «إذا سقطت هذه الدولة يمكن حينها المطالبة بتدويل مكة والمدينة، وإجراء استفتاءات

بحق تقرير المصير لشعب الجزيرة المحمدية، وحينئذ يمكن السيطرة أو الهيمنة على الحرمين الشريفين؛ لأن الشيعة سيكونون الثقل الأكبر بالمنطقة). وكلمته موجودة على الشبكة الإلكترونية نصًّا؛ صوتًا وصورة.

لقد رأينا كيف تواصل تحرش الشيعة بالعراق حتى احتله الأمريكان بتواطؤ معهم، بدعوى تحرير مرقد الحسين بكربلاء، ورأينا ورأى العالم كيف ألقت إيران بكل ثقلها في سورية بحجة حماية قبر السيدة زينب!.. فالقوم جادُّون مهما كنا هازلين في التعامل مع مشروعهم الخرافي المسلح. هم منهمكون في التغلب على عقبات الواقع في ظل استلهام روح الخيال والخرافة.

وكما ذكرنا من قبل، فإن المسجدين المعظمين في دين الله؛ لا قيمة كبيرة لهما في دين الشيعة، على حالتهما التي شهدت تطورًا على مرِّ التاريخ الإسلامي على يد دول الخلافة السنية المتتابعة، وما تلاها من التطورات الجبارة في عهود المملكة العربية السعودية التي يعدونها عدوًّا مصيريًّا.

فللشيعة أحلامهم المستقاة من تلمودهم المسمى بالجَفر، يفصِّلون فيها الروايات المخترعة عما سيفعله مهديهم عندما يخرج بالمسجدين المباركين - كما مر التفصيل - حيث سيعيد المسجد الحرام على هيئته قبل عهد الخلافة الراشدة، بل قبلها!.. وسيحطم المسجد النبوي لوجود قبري أبي بكر وعمر فيه!! لكن هذه الأوهام مؤجَّلة عندهم حتى يخرج كبير خوارجهم فيفرج كربهم التاريخية - لا فرَّجها الله -.

ونبوءات القوم الشاذة عن مستقبل الحرمين الشريفين؛ تُنبئ على كل حال عن تلك النفسيات الأكثر شذوذًا عندهم تجاه ما عظَّمه الله وحرمة الشعائر والمقدسات.

من الآثار الدينية.. إلى الآبار النفطية:

إذا كان الشيعة يتوقون إلى عهد إعادة الشركيات والخرافات القبورية إلى حصون التوحيد تحت الحماية الدولية لأسباب اعتقادية، فإنهم هم بأنفسهم الذين يطلبون تلك الحماية ذاتها في مرحلة مقبلة لبسط السيطرة على ثروات المنطقة الشرقية في بلاد الحرمين لأسباب مادية مصلحية، ولا تضاد بين المطلبين عندهم، فالمال الشيعي دائمًا في خدمة العقيدة - أقصد الخرافة - والمنطقة الشرقية بالسعودية أكثر مناطق المملكة، بل المنطقة، بل العالم؛ ثراءً بالثروة النفطية.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله؛ فإن تلك المنطقة المطلة على غرب الساحل الخليجي تقطنها أغلبية شيعية، وخاصة في مدن القطيف والأحساء، فالمنطقة الشرقية تحوي أكثر حقول النفط والغاز التي تبلغ نحو مائة حقل، وتُعدّ تلك المنطقة مع ما يجاورها على الساحل من أقطار الخليج العربي أكثر منطقة يوجد بها نفط في العالم، فمنها تنتج المملكة ١١ مليون برميل من النفط يوميًّا، يُصدَّر منها نحو ٨ ملايين برميل، وذلك من مجموع مخزون احتياطي يبلغ ٢٦٧ مليار برميل، يمثل ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم، ويمثل خُمُس الاحتياطي العالمي من النفط. كما تنتج السعودية من المنطقة نفسها حوالي ١٨,٥ تريليون قدم مكعب قياسي من الغاز الطبيعي.

لذلك فإن تلك المنطقة من المملكة السعودية تأتي - بسبب ثرواتها الضخمة - في مقدمة أطماع المشروع الإيراني، في صيغته الإيرانية أو صبغته العربية.

وعلى أن بلاد الحرمين تأتي على رأس أهداف المشروع الإيراني؛ لأن المقدسات بها لا تدانيها مقدسات للمسلمين في العالم، لطبيعتها العالمية التي تخصُّ كل أهل القبلة، ولأن الثروات المختزنة في أرضها مع ما يجاورها من بلدان الخليج العربي؛ تضمن لمن

يضع يده عليها أن يتحكم في سياسات التجارة والاقتصاد في العالم، فإذا أُضيفت إلى ذلك أطماع إيران في بسط النفوذ على المنافذ البحرية والمرافئ الاستراتيجية العالمية الواقعة حول الجزيرة العربية، لعلمنا أن صراع إيران لبسط الهيمنة على تلك المنطقة؛ تُعدُّ بالنسبة لمشروع الإمبراطورية الفارسية: صراع حياة أو موت.

إن إنتاج إيران من النفط - على كثرته - لا يكفي لجمهورية تتطلع لأن تتحول إلى إمبراطورية، فهي لا تنتج إلا نحو ثلاثة ملايين برميل نفط يوميًّا.

وفي ظل تلك التطلعات الدينية والأطماع المادية؛ يظل التربص والتحرش والتهديد هو سمت السياسة الإيرانية تجاه الدول الخليجية، وفي مقدمتها المملكة السعودية، وآخر ذلك ما حدث عندما ثارت زوبعة إعدام الشخص السعودي الجنسية، الإيراني الهوية (نمر باقر النمر)؛ حيث أرادت إيران أن تحوِّل تلك الزوبعة إلى إعصار، وكأن النمر مواطن لديها أو لاجئ سياسي إليها! فأعملت بشدة وسرعة آلة التهديد والوعيد، فهدَّد مرشد الثورة (الخامنئي) المملكة، وأنذرها بـ «عقاب إلهي قريب»!

وكانت قد أُطلقت تهديدات أخرى أكثر إيضاحًا وإفصاحًا عما تريد إيران الظَّفَر به من مثل تلك التطورات؛ حيث لوَّح (نجف علي ميرزائي) رئيس الرابطة العالمية للحياة الإسلامية بورقة المنطقة الشرقية معلنًا في تصريح صدر عنه في ١٩/ ١٠/ ٢٠١٤م أن إعدام النمر سيجعل السعودية تخسر المنطقة الشرقية!

إيران تتابع عن كثب نشاط شيعة السعودية؛ لتُشعرهم أن وراءهم ظهرًا يظاهرهم، وكانت قد وجهتهم بتشكيل ما تسميه (مجلس علمائي) يضم رجال الدين الشيعة في تلك المنطقة، ضمن كيان موحد يمكن أن يكون نواة لحراك مشابه لـ(المجلس

العلمائي) الذي اقتُرح في البحرين، أو يكون على شاكلة (المجلس الشيعي الأعلى) في لبنان الذي يرعى مشروع إيران في الشام كلها.

«تحرير المنطقة الشرقية» شعار يحاول شيعة الفرس وشيعة العرب تحويله إلى عنوان مرحلة، متساوقين في ذلك مع إشارات تتردد منذ عقود عن تقسيم السعودية، ضمن مخططات التقسيم اليهودية الصليبية، السابقة واللاحقة، التي مر الكلام عنها.

ويتولى كبر الترويج لهذا الشعار رجال دين معمَّمُون، من (الآيات الشيطانية) التي تخصصت في التحريض والتثوير، مستغلين حرية الكلمة في الغرب، فعلى طريقة الخميني الهالك الذي أثار ثورة بأشرطة (الكاسيت) من فرنسا؛ يراد اليوم إشعال ثورات عن طريق (الإنترنت) من عواصم أوروبا.

ومن الساعين بقوة في ذلك؛ المدعو «آية الله» (السيد مجتبى الحسيني الشيرازي) العراقي المقيم في لندن، حيث كرَّر في كلمة له بالصوت والصورة مطلب تدويل الحرمين، ثم تطرق في المقطع المنشور على الشبكة العنكبوتية في ٢٣/ ٣/ ٢٠١٣م: إلى التحريض على ثورة في المنطقة الشرقية بالسعودية، لا يهمه فيها كثرة الخسائر والتضحيات فقال بعد نقطته الأولى: «نقطة ثانية: تحرير المنطقة من الاستعمار السعودي!.. صحيح الاستعمار السعودي ما يقبل، كأي نوع من أنواع الاستعمار في التاريخ، ما يقبل أن «يشيل إيده» من الدول المستعمرة.. «إنتوا» روحوا راجعوا التاريخ؛ دولة الجزائر يقولون دولة المليون شهيد، وربما أكثر؛ أكثر من مليون ضحية أعطت الجزائر، غير الأضرار المتنوعة الأخرى، حتى أخرجت الاستعمار الفرنسي من الجزائر. هل يمكن أن يقبل الاستعمار «يشيل إيده» من المستعمرة، خصوصًا المنطقة الشرقية في السعودية؟.. إذا يقتطعون المنطقة الشرقية من السعودية ما عاد يبقى شيء للسعودية، ما يبقى إلا الحرمين الشريفين.

والسعودية (كذا يقول) زنديقة ملحدة كافرة ناصبة، ما تعرف قيمة الحرمين الشريفين حتى تفرح بهما.. التحرير يجب أن يتم كبقية الدول، يعني: إيش لون دول مستعمرة استقلت؟ المنطقة الشرقية لازم تستقل على غرار سائر الدول، حكومة مستقلة من جميع الجهات».

السياسة في خدمة الدين:

لم يكتفِ الشيعة بإطلاق الشعارات والتهديدات عن طريق رجال الدين الذين يُجيِّشُون بها جماهيرهم خلف السياسيين، بل إن الذين يفترض أنهم سياسيون دبلوماسيون؛ يتصرفون بذات منطق التهديد والوعيد، فبين آنٍ وآخر تُطلق التهديدات على ألسنة سياسيين وعسكريين للشد من أزر رموز الثورات الكامنة وخلاياها النائمة، وتذكِّرهم بأن بلاد الحرمين في مركز الغرض وبؤرة الاستهداف، ففي ٢٨/ ٣/ ٢٠١٥م هاجم هاشمي رفسنجاني - أحد أبرز الرموز السياسية، والرئيس الرابع لإيران لمدتين متتاليتين؛ ثم رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام في طهران؛ هاجم تدخل السعودية ودول الخليج في اليمن من خلال عمليات عاصفة الحزم، واعتبر ذلك إشعالاً للمنطقة من سواحل البحر الأحمر حتى سواحل الخليج، وفي ذات السياق قال نائبه - أمين عام المجمع (محسن رضائي): «إن النصر سيكون حليف الحوثيين»، ووصف زعيمهم بأنه: «رجل اليمن»، وتعليقًا على إعدام لسان إيران داخل السعودية (نمر النمر)؛ وصف هاشمي رفسنجاني في ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٥م ذلك بأنه (خطأ تاريخي)! مهددًا آل سعود بأن نظامهم سيلقى مصير آل بهلوي!

والعسكريون الإيرانيون يواكبون التطورات بذات النفس، فقد هدَّد (قاسم سليماني) قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني المملكة السعودية «بمفاجئات

مذهلة».. بسبب تدخلها في اليمن، وقال: إن الحرب في اليمن ستنتهي بانتهاء عمر النظام هناك!..

أما (محسن رضائي) القائد السابق للحرس الثوري، الذي أصبح أمينًا عامًّا لمجمع تشخيص مصلحة النظام فقد طلب العودة للعمل في الحرس الثوري!!..

وهدد السعودية في ٢٦/ ٥/ ٢٠١٥م بسبب تحركها لمواجهة إيران في اليمن بقوله: «لا نريد أن نعيدهم إلى عصر ما قبل الصناعة»..!

ويرمق أعداء الأمة في الخارج هذا الصراع المتصاعد الذي خططوا منذ زمن طويل لإشعاله بين السنة والشيعة، منذ التمرير الوحيد لثورة باسم الإسلام هي ثورة الخميني، وهم يعرفون أنه في حقيقته ليس صراعًا سياسيًّا يمكن أن ينتهي بمفوضات تعقبها معاهدات؛ بل هو حرب دينية مذهبية لا تنتهي إلا بنهاية أحد الطرفين.

ففي كتابه (نظام العالم) الصادر في عام ٢٠١٤م، قال اليهودي الألماني المخضرم (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ومستشار الأمن القومي في السبعينيات: «الصراع بين السعودية وإيران وجوديٌّ، إنه يشمل بقاء المملكة وشرعية دولتها، وأيضًا مستقبل الإسلام ذاته»!

التفسير التآمري لنظرية المؤامرة:

مكر الأعداء من اليهود والنصارى وغيرهم؛ متواصل منذ عقود طويلة لإيصال المنطقة إلى الحال السيئ الذي وصلت إليه، والحال الأسوأ الذي يمكن أن تصل إليه ما لم يتداركها الله برحمته، فأكثر المعالم العامة لخريطة التآمر على بلاد المسلمين السنة - وفي قلبها بلاد الحرمين - سبق وضْع أسسها منذ عدة عقود، في ظل عجز أو تعاجز من المستهدفين لمواجهة ذلك الحقد الدفين، فمنذ صدور كتاب (خنجر إسرائيل) عام

١٩٥٧م لمؤلفه الهندي (ر.ك. كرانجيا)، والذي تضمن بدايات الحديث عن تقسيم المنطقة المحيطة بدولة اليهود لحساب دولتهم؛ من خلال وثيقة التقسيم المنشورة في الكتاب. منذ ذلك الحين؛ والمنطقة تسير في اتجاه ذلك الخط المخطط له.

أما من قال - مقاطعًا في تشنج -: (هذه نظرية المؤامرة) نقول له ببساطة: لا تكن مشاركًا في تفسير تلك النظرية - إن كانت نظرية - تفسيرًا تآمريًا -، فالتآمر موجود منذ ابني آدم ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، مرورًا بأعداء إبراهيم ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، وأبناء يعقوب ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: ٩].. وقوم موسى ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠].. وأعداء عيسى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وأخيرًا وليس آخرًا، أعداء النبي الخاتم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].. صلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله أجمعين.

بالطبع هناك فارق بين التآمر القديم والحاضر، يمثله الفارق بين إمكانات الشر في الماضي وإمكانات الشر في الحاضر.

لا يكاد يمر عقد أو عقدان منذ صدور (وثيقة كرانجيا) حتى يتسرب أو يُسرب مخطط جديد بتعديلات جديدة، لكنها لا تنقض الأصل العام لذلك التقسيم، من حيث تفاصيله الجغرافية، أو سببه الموضوعي، وهو عدم رضا أمريكا - زعيمة الاستعمار الجديد - عن تقسيمات إنجلترا وفرنسا اللتين تزعمتا الاستعمار القديم، وقسمتا المشرق العربي بعد سلخه من تركة دولة الخلافة العثمانية - وذلك من خلال اتفاقية سايكس بيكو -، التي قسمت تلك المنطقة على أسس جغرافية، لا مذهبية أو عنصرية.

فهذا التقسيم أرادت أمريكا ويهودها تعديله عبر عقود ليعيد المنطقة إلى عهد من الفوضى والتنازع المفضي إلى الفرقة والضعف للجميع.. وكأن مشروعات التقسيم الأوروبية، وتلك التي تلتها من المشروعات الإسرائيلية والأمريكية لم تكن تآمرًا على الأمة؛ بل أمرًا لها بالمعروف ونهيًا عن المنكر!!

تمزيق أرض النبوات والنبوءات وما حولها؛ لتسهيل هيمنة النصارى واليهود عليها، هو الغرض الأبعد لمشروعات التقسيم عند تدقيق النظر، ولم تكن (جزيرة الإسلام) بعيدة عن نظر أعداء الإسلام وهم يخططون - من موقع القوة - لإضعافها وإضعاف الإسلام بإضعافها.

فبعد وثيقة (كرانجيا) في الستينيات، اشتُهر ما يُعرف بـ (استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات) والتي نشرتها مجلة (كيفونيم) التابعة للمنظمة اليهودية العالمية، والتي نُشرت في فبراير ١٩٨٢م. ولم تكن السعودية مستبعَدة من خطط التقسيم فيها.

وفي بداية التسعينيات خرجت إلى العلن خرائط لخطة جديدة للتقسيم، وُثقت نسبتها للأمريكي اليهودي الصهيوني (برنارد لويس)، وقد دعا فيها إلى احتلال العراق ردًّا على احتلال الكويت، الذي أغرى الأمريكيون صدام حسين به، ليغرِّرُوا به وبالعرب جميعًا من خلاله.

وقد اعتبر برنارد لويس احتلال العراق طريقًا إلى التقسيم، الذي خُصص فيه الثُلث الأغنى للشيعة، ثم إن ذلك التقسيم في حال إنجازه - كما قال - سيكون طريقًا لخلخلة منطقة الخليج وحرمان أقطارها من الوحدة السياسية التي كانت عليها.

ومع تركيز ذلك الصهيوني في وثيقته على منطقة الخليج، إضافة لأفغانستان وباكستان، فقد توقع حروبًا تساعد على تسريع وتوسيع عمليات التقسيم، منها

نشوب حرب إقليمية عربية إيرانية كبرى، تعقب هيمنة إيران على الجزء الشيعي من العراق.

وقد أظهرت خرائط لويس الجزيرة العربية وقد اختفت منها إمارات الخليج العربي ومملكة البحرين والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، لتظهر بدلاً منها دولة (الأحساء الكبرى).. التي يطلق عليها الشيعة: (البحرين الكبرى)!

وقد تبنت إدارة الرئيس البئيس السابق (جورج بوش) الابن، تنفيذ أفكار لويس، خاصة في الجزء المتعلق بالعراق، تاركة تنفيذ تداعيات ما بعد وحدة العراق في منطقة الخليج؛ إلى مرحلة قادمة.

وفي شهر فبراير عام ٢٠٠٦م؛ نُشرت تعديلات وتكميلات على خطة برنارد لويس، عرفت بـ(وثيقة حدود الدم)، وأعد هذه الوثيقة الصهيوني المسيحي (رالف بيترز) العقيد المتقاعد في الجيش الأمريكي، وأحد منظِّري العسكرية الأمريكية، وقد نشرت مجلة (القوات المسلحة) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية هذه الوثيقة، ومما جاء فيها مما يتعلق بالسعودية - بحسب الخريطة المنشورة - اقتراح بأن يلحق الجزء القريب من الشام في شمال السعودية بالأردن، وأن تستقل منطقة الحجاز مع منطقة مكة المكرمة لتكون (دولة مقدسة مستقلة) على نمط الفاتيكان في إيطاليا!

واقترح رالف بيترز أن تُضمَّ المنطقة الشرقية بالسعودية إلى دولة شيعية عربية تمتد من الثلث الجنوبي للعراق، شاملة إمارات الخليج، حتى تصل إلى جنوب شرق المملكة السعودية. واقترح أن تلحق منطقة الجنوب في السعودية باليمن الشمالي، على أن يبقى القسم الأوسط بالجزيرة لأهل نجد، لكن بعد رفع يده عن كل المقدسات والثروات!!

وفي يناير عام ٢٠٠٨م كتب الإعلامي والمحلل السياسي (جيفري جولد برج) الناشط ضمن جماعات الصهيونية المسيحية، والمتطوع السابق في الجيش الإسرائيلي؛ سلسلة مقالات، تقدم تصورات إضافية لخطط التقسيم، وقد نشرتها مجلة (أتلانتيك) الشهيرة، وفي تلك السلسلة؛ أرفق (جولدبرج) خريطة لمنطقة الشرق الأوسط، تظهر فيها المملكة العربية السعودية دون محافظاتها الجنوبية المتاخمة لليمن، ودون المنطقة الشرقية الواقعة على ضفاف الخليج العربي، ودون منطقة الحجاز ومكة التي اقترح إخضاعها لإدارة إسلامية دولية! وقد أعاد جيفري جولدبرج نشر أفكاره وخريطته في الجريدة ذاتها في ٢٠/ ٦/ ٢٠١٤م ناصحًا إدارة أوباما بعدم التدخل لمنع تفتيت العراق، ومحذرًا إياه من التورط في «مجازر» الشرق الأوسط!

السعودية.. الهدف الاستراتيجي:

مَثَّلَ إضعاف العراق بتقسيمه، ثم تقاسُمه مع إيران خطوة كبيرة نحو إيصال الجزيرة العربية إلى مرحلة الخطر التي تشهدها، فقد زرع هذا الغزو مزيدًا من عوامل الفرز الطائفي في المنطقة؛ جرى التركيز عليه ريثما تأتي ظروف أخرى لبقية الدول المستهدفة، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية.

وقد دق ما جرى في العراق ناقوس خطر قوي،كان ينبغي أن يحذر العرب والمسلمون من الاستهانة بما يتسرب أو يُسرَّب من خطط الأعداء ونواياهم تجاه أُمتنا؛ فقبل غزو العراق بثمانية أشهر تقريبًا؛ قُدم تقرير في غاية الوضوح، بل التبجح، من أحد أبرز الباحثين في معهد (راند للأبحاث الاستراتيجية)، الذي يُعد العقل الاستراتيجي للإدارات الأمريكية، وهذا الباحث هو: (لوران مورافيتش) الذي عمل أيضًا مستشارًا للخارجية الأمريكية؛ بيَّن ذلك التقرير حقيقة ما كان يبيَّت للمنطقة،

وقد نشرته صحيفة واشنطن بوست في ٦/ ٨/ ٢٠٠٢م، وجاء فيه قوله: «إن الحرب على العراق مجرد خطوة تكتيكية ستغيِّر وجه الشرق الأوسط والعالم، أما السعودية فهي هدف استراتيجي، وأما مصر فهي الجائزة الكبرى في نهاية الطريق».

وقد تكرر المعنى نفسه وبالألفاظ ذاتها تقريبًا؛ على لسان رمز يهودي مشهور من المحافظين الجدد الذين حكموا أمريكا في مدتي رئاسة جورج بوش الابن، وهو (ريتشارد بيرل) السياسي الأمريكي الذي عمل مساعدًا لوزير الدفاع في عهد ريجان، والذي يوصف في الإعلام الأمريكي بـ (أمير الظلام) و(دراكولا)؛ لميوله العدائية العدوانية؛ حيث قال في أعقاب بدء الحملة على العراق: «سيكون العراق الهدف التكتيكي للحملة، وستكون السعودية الهدف الاستراتيجي، أما مصر فستكون الجائزة الكبرى»!

وكان ذلك المسؤول الحاقد قد قدم في عام ١٩٩٦م دراسة إلى نظيره في العداوة (بنيامين نتنياهو) يقترح فيها أن تتبنى «إسرائيل» فكرة العمل على القضاء على النظام في بغداد؛ كخطوة أولى نحو زعزعة الاستقرار في الدول المحيطة بالعراق.

إن خطورة تصريحات (مورافيتش) و(بيرل) لم تكن في صدورها ضمن تنظير ظاهر وعلني للتآمر فحسب؛ بل في أن قسمًا أساسيًّا منها قد وجد طريقه إلى التنفيذ العملي، وسط مباركة - وأحيانًا مشاركة - من الأطراف المتضررة قبل غيرها، فقد تجسَّد التوعد اليهودي في الواقع العراقي بعد الغزو الأمريكي، فظهر التطابق بين الأقوال والأفعال، وبدا أن الغزو قد لُفقت مسوغاته ليكون مدخلاً «تكتيكيًّا» يمكن الولوج منه إلى ما بعده؛ حيث جزيرة الإسلام التي كانت ولازالت وستظل شوكة في حلوق الكافرين والمبتدعة والمنافقين، مادام أهلها على المنهج السني القويم.

إن غزو العراق ثم تقسيمه، ثم تقاسمه بين الفرس والروم؛ مثَّل قاصمة ظهر لما كان يسمى «الوحدة العربية»، وأوجد أجواء ممهدة للتحرك نحو الهدف التالي «الاستراتيجي»، وهو المتعلق بالسعودية؛ لإحاطتها بسوار من التثوير الرافضي المستهدِف أهل السنة في كل الجزيرة العربية، التي إذا ما أُضعف أهل السُنة فيها فإنهم سيكونون فيها سواها أضعف.

المشروع الإيراني والحقيقة المغيبة:

على الرغم من أن إيران الفارسية تتصرف منذ قامت ثورتها على أن هناك عجزًا غربيًّا ودوليًّا أمام صعود مشروعها رأسيًّا وتمدده أفقيًّا، على مدى أكثر من ثلاثة عقود؛ فإن هذا الافتراض الذي يبدو عند الإيرانيين مُسَلَّمًا هو في الحقيقة ضرب من الوهم الداخلي أو الإيهام الخارجي، فالمتابع لطريقة العدو الدائم لأمتنا: (الروم ذات القرون) المساقون في عصرنا الحديث بمكر دهاة العتاة من اليهود؛ يراهم يستغلون ويستغفلون أصحاب المشروع الإيراني للوصول إلى ضرب أمة الإسلام في مقاتلها بهم باعتبار أنهم أعداؤها المحسوبون عليها؛ لذلك فهم استَخدموا، ويستخدمون، وسيستخدمون الشيعة مجرد عصا يضربون بها ثم يكسرونها. إلا إذا شاء الله شيئًا.

إن كل مَن أضمر أو أظهر عداءً لهذه الأمة؛ لن يجد ظهرًا أوطأ ولا أسهل ركوبًا من الظهير الشيعي الفارسي الحسود الحقود، الناقم دائمًا، والمستعد أبدًا للثأر والانتقام من كل ما هو عربي وسني - كما وضح من خلال الصفحات السابقة -، وهذا ما يسهِّل كثيرًا من مهمات أعداء الملة الذين قال الله عنهم: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ولا يعني استخدام هؤلاء لهؤلاء أننا نقول: إن الفرس والروم المعاصرين سيصيرون أصفياء متحابين؛ ولكن حقائق الدين ودروس التاريخ علمتنا أن كلّ فريق منهم لا يتأخر عن وسيلة يستخدم بها الآخر ضدنا.

الخلاف بل العداء بينهم موجود، لكن خلاف الغرب مع ما يسمى (الإسلام السياسي السُني) استراتيجي مصيري، فهو صراع وجود، بينما خلافهم مع ما يسمونه (الإسلام السياسي الشيعي) هو اختلاف «تكتيكي» موقوت ومحدود، على الأقل في المرحلة الراهنة.

ذلك لأن الإسلام السُّني عندما يقوم به أهله؛ هو الذي يجسِّد مفهوم (الأمة) الذي يعمل له الأعداء ألف حساب؛ لأنه مفهوم كان - ولا يزال - يجمع الأعراق ويوحِّد القوميات ويوجِّه الطاقات - على اختلافها - بالإسلام، في بوتقة السواد الأعظم من أمة الإسلام. بخلاف ما يسمونه الإسلام «السياسي الشيعي» الذي لا يمثل إلا فصيلاً غير أصيل، لا يعدو أن يكون شريطًا محدودًا على طرف بساط الإسلام الصحيح في انتشاره الفسيح.

أعداء الأمة لم يعرفوا طوال تاريخهم مع الإسلام تحديًا عقديًّا وحضاريًّا شاملاً وحقيقيًّا؛ إلا من الكيانات السُّنية، وبقدر تمسكها بمنهاج السنة، فلم يكن هناك عبر التاريخ الإسلامي ما يمكن اعتباره تحديًا شيعيًّا، فلم يقاوم الشيعة عدوًّا للأمة إلا إذا مسَّ مصالحهم، وحتى الكيانات الشيعية والباطنية السياسية التي قامت؛ كانت تنحاز دائمًا مع خصوم الأمة، وتَعُدُّ نفسها وتُعِدُّ قوتها ضمن المعسكر المناوئ لأهل السنة.

فهذا ما كان من شأن الدولة الصفوية الإسماعيلية منذ قيامها وحتى سقوطها، وقبلها كان هذا شأن الدولة الفاطمية الإسماعيلية العبيدية. وحتى الدولة الزيدية في

اليمن – مع كونها أخفَّ غلوًّا بكثير من الاثني عشرية – خاضت حروبًا شرسة ضد الأتراك العثمانيين، بينما استناموا للاحتلال البريطاني الصليبي في جنوب اليمن، الذي احتله الانجليز لأكثر من مئة عام، بل قاموا بالتنازل عن الجنوب لبريطانيا معترفين بسيادتها عليه.

لذلك فالعداء الصليبي واليهودي موجَّه في غالبه إلى أهل السنة بقدر انتسابهم – ولو ظاهريًّا – للسُّنة.

وفي واقعنا اليوم؛ يمكن المقارنة بين الفرق الشاسع في سياسة الغرب والشرق تجاه ما يرونه خطرًا سُنيًّا، وتجاه ما يعدونه خطرًا شيعيًّا، فمن خلال النظر في موقف الغرب الصارم من المشروع النووي العراقي مثلاً، الذي فُوِّضت «إسرائيل» في تدميره مبكرًا، نجد الشيعة قد رتعوا ببرنامجهم النووي، الذي جرى تدليله ثم تأجيله خلال عشر سنوات؛ لأنه يستهدف بلدان أهل السنة!

ويمكن المقارنة أيضًا بين مواقف الغرب مع الجماعات الشيعية المسلحة في كل من لبنان والعراق واليمن وسوريا، وبين أية جماعات سنية سلمية أو ثورية، ومهما كانت نظرتها وهويتها، وأيًّا كانت مسالكها مهادنةً أو مداهنةً للنظام الدولي الذي تديره أمريكا.

قد يقال: إن هناك كيانات إسلامية سُنية سابقَت الكيانات الشيعية في اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين!..والجواب أن هذا صحيح؛ لكن هذا عبر التاريخ الماضي والحاضر لم يصدر إلا من منافقين لا يحسبون على السُّنة ولا الإسلام، أو من مخلِّطين غير مخلصين سرعان ما يتوبون. وهم – كما يقال – يمثلون الاستثناء الذي يؤكد القاعدة. وهم – على أية حال – تتحطم طموحاتهم في ابتغاء العزة بموالاة الكافرين؛ تحت مطارق السنن الإلهية التي لا تعرف المحاباة ولا المجاملة.

الحرب المذهبية الكبرى.. وعصا العم سام!

هنا سؤال: ما إمكانية استخدام الغرب للشيعة عصا جديدة، يضربون بها السُنة ثم يكسرونها؟.. أو يستخدمون السُنة عصا يكسرون بها الشيعة ثم يحطمونها؟

لقد كتبتُ مقالاً منذ عدة سنوات بعنوان (حتى لا نظل عصا في يد «العم» سام)![1]؛ رصدت فيه ظاهرة تاريخية خطيرة، جديرة بالتأمل والدراسة، تكررت كثيرًا في عقود الوهن العام الذي اكتنف أحوال أمتنا بعد سقوط أو إسقاط كياننا الإسلامي العالمي السابق ممثلاً في دولة الخلافة العثمانية، وتلك الظاهرة هي استمرار أعدائنا في ضرب أعدائهم بنا، مع استمرائهم ضرب فريق من المنسوبين للأمة بفريق آخر، مع إعانة كلا الفريقين في حربها لإنهاك بعضهما ببعض، أو إنهاء بعضهما على يد بعض، دون تدخل من هؤلاء الأعداء إلا بإعانة كلا الفريقين على بعضهما بعضًا.

وإذا حدث أن انتصر أحد هذين الفريقين أو أبدى قدرة على الصمود؛ رمَوه عن قوس واحدة واجتمعوا عليه حتى لا يعود قادرًا على الصعود.

وفي كل مرة تحل أحكام الله القدَرية فيمن يتنكَّر لسُنته الكونية، بخذلان وهوان من والى الكفار الظاهرين واتخذ منهم مستشارين ناصحين وبطانة مؤتمنين وشركاء متحالفين، فالأمر كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].. ولكن من يتعقل ويتفكر ويتذكر؟!

الذاكرة ملأى بتجارب مضت في عهود انقضت، وحادثات مماثلة في الماضي القريب، وأحدث منها ماثلة أمام المتابع الرقيب، يمثل «بطل» كل قصة فيها أداة

(١) مجلة البيان، عدد (٢٣٤) صفر ١٤٢٨هـ، فبراير ٢٠٠٧م.

ضرب وأذى، لا تتعدى حال (العصا) التي يُضرب بها ثم تُكسر:

- هل نتحدث هنا عما حدث لـ(محمد علي باشا) في حروبه التوسعية التي أراد بها الإضرار بالدولة العثمانية بعد أن كان أحد قادتها؛ حيث حاول الاستقلال بمصر والسودان، ثم طمع في الحجاز ونجد، وتطلع للتوسع في الشام، بل تجرأ على عاصمة الخلافة نفسها بمباركة من الدول الاستعمارية آنذاك؛ حيث كان الأعداء يؤزونه ويؤازرونه، حتى إذا ما أكمل المهمة المرسومة تنكروا له ثم انقلبوا عليه.

وذلك لما رأوا أنه كاد يقيم كيانًا فتيًّا بديلاً للكيان الموجود بعد أن أصابه الترهل والجمود، فتآمروا عليه ثم اجتمعوا ضده في معركة «نافارين» البحرية عام ١٨٢٧م، ودمروا أسطوله البحري الذي تطلع أن يقيم به إمبراطورية كبرى، وأجبروه بعد ذلك على القبول بولاية صغرى في مصر يرثها هو وأبناؤه!

- هل نستدعي بعد ذلك ذكريات «الشريف حسين»، وكيف كرر التجربة البائسة بضرب دولة الخلافة من الظهر بدعوى «الثورة العربية الكبرى»؛ لإنشاء كيان وهمي قادم على أنقاض كيان حقيقي قائم؟ لقد أغروه بوراثة مُلك آل عثمان، ووعدوه بالدعم والمؤازرة! ثم ماذا كان؟ لقد جحدوه بعد هزيمة تركيا التي شارك في صنعها، وخلعوه من وهم الخلافة قبل أن يحظى بها، حتى مات حسيرًا كسيرًا بعدما سقطت دولة التُرك، ولم تقم دولة العرب!

- وهل نتذكر ما حدث بعد ذلك بعقود مع (جمال عبدالناصر) الذي تُرك يفرِّق العرب باسم الوحدة العربية، ويُفقِر شعبه باسم الاشتراكية،

ويحارب الدين على أنه «رجعية»، ويتظاهر ببطولات زائفة لم يظهر لها أثر إلا في توهين أمر المسلمين في مصر وغيرها، حتى إذا ما انتهى من معاركه الاستعراضية ضد الأخيار، خلَّى أولياؤه بينه وبين اليهود الأشرار، فهُزِمَ جيشه بقسوة على أيديهم في حرب الفضيحة عام ١٩٦٧م، التي مات بعدها دون أن يحرر هو ومن معه من الضباط «الأحرار» ما ضاع من فلسطين، بل أضاعوا أضعافًا أخرى منها ومما حولها!

■ هل ننسى من مسلسل الأحداث ما تكرر مع مَن ضاهى عبدالناصر في الرمزية القومية؛ وهو صدام حسين؟ لقد سُلط بعمدٍ، وهُيِّئ بقصد، لقصقصة أجنحة الكيان الشيعي الثائر في إيران؛ لأن ذلك الكيان كانت له حدود لا ينبغي تعديها، حتى يظل أداة استنزاف للأمة، دون أن يتمكن من منافسة الغرب في أكثر بقاع العالم أهمية وحساسية.

ولهذا كان ذلك الغرب يدعم كلاً من إيران والعراق بالسلاح في حرب الخليج الأولى التي امتدت لثماني سنين، حتى إذا ما كَسَر صدام كبرياء الفرس، وتهيَّأ للزعامة على عموم العرب، أُغري بنقض عُرى «القومية العربية» التي تزعمها بعد عبد الناصر؛ بغزو دولة عضو في «الجامعة العربية»؛ لأسباب رآها مصيرية، لتتسلسل الأحداث بعد ذلك في حرب خليج ثانية عام ١٩٩١م أسقطت فيها هيبته، ثم ثالثة عام ٢٠٠٣م أسقطت فيها دولته، وكُسرت عصاه التي كسروا بها إيران!

■ ودعونا نتأمل أيضًا: كيف ضُرب الروس بالمجاهدين في أفغانستان إبَّان الغزو السوفييتي؛ بدعم معلن من الغرب والأمريكان، ثم أُطلقت - بعد دخول كابل - فتن المخابرات الدولية وتوابعها العربية، للإيقاع بينهم في

«معارك ما بعد النصر» حتى كاد المجاهدون القدامى يُفني بعضهم بعضًا في حرب أهلية عبثية! ثم هُيئت حركة طالبان لتُجهز في بضع سنين على الجميع، كي يُجهز على دولتها بعد ذلك في بضعة أسابيع!

- وفي الصومال: جمعت حركة (المحاكم الإسلامية) أوراق شتات الصوماليين بعد أن كاد القراصنة ينشئون دولة على أشلائها، وكسر رجال الحركة ظهر اللصوص وقُطاع الطرق، وأعادوا الأمور إلى نصابها، وما أن تهيأوا للعودة بأحوال الصومال إلى مصافّ الدول المعترف بها بعد فراغ في السلطة لنحو خمسة عشر عامًا؛ حتى سُلِّط الأحباش النصارى على منقذي الصوماليين المسلمين، فاجتاحت إثيوبيا البلاد، ثم جرى احتواء قائد تلك الحركة بما يشبه الأسر والاستعباد، ليُعين رئيسًا مرؤوسًا لغيره، وليُضرَب بعد أن ضَربوا به، ثم تجيء حركة الشباب الإسلامي لتطيح بما تبقى من الحركات الإسلامية في الصومال قبلها.. ثم لا تبقى هي بعدها!

- وفي العراق، وبعد الغزو الأمريكي؛ بدا للعيان أن الأمريكان ومن شايعهم من عملاء إيران مقبلون على هزيمة منكرة على أيدي مجموعات المجاهدين العراقيين القادمين من وراء الحدود نصرةً لإخوانهم من أهل السنة، فلم يجد الغزاة والمتواطئون معهم مخرجًا من الورطة إلا بإخراج أدعياء للسنة لمقاومة المقاومين و«جهاد» المجاهدين من أهل السنة، في جيش من العملاء قوامه خمسون ألفًا تحت رايات صليبية وشيعية وبمسمى «الصحوات»! التي أُطيح بها بعد ذلك، لتصبح الساحة بعد زمن قليل شبه خالية إلا من إيران التي تقاسمت الغنائم مع الأمريكان! ونخشى اليوم تكرار التجربة بحذافيرها في الشام.

هل يُعَدُّ أو يُعاد «سيناريو» جديد؟!

تشير شواهد عديدة إلى أن المنطقة بأسرها تجري تهيئتها منذ سنوات لتجربة جديدة من ضرب أعدائنا لأعدائهم ببعضنا، وبناء المزيد من أمجادهم على أشلائنا وأنقاضنا - إلا أن يشاء الله شيئًا - في نموذج قريب جدًّا من تجربة الجهاد الأفغاني الأول، الذي رأت أمريكا من خلاله أنه قد آن الأوان لتحويل الحرب الباردة ضد ندِّها (الاتحاد السوفييتي) إلى حرب ساخنة، لا تباشرها بجيوشها ولا أموالها ولا أرواح جنودها، بل تخوض تلك الحرب الفاصلة بالمسلمين الموحدين، ضد غرمائها ومنافسيها في زعامة العالم من الروس الشيوعيين.

فاستغلت حادثة غزوهم لأفغانستان لتستنفر العالم الإسلامي كله بحكوماته وشعوبه وشبابه وعلمائه ومجاهديه، للاتحاد في وجه عدوِّها بدعوى مواجهة «خطر الإلحاد»! وقد كان حقًّا أن يتحد الموحدون ضد الملحدين نصرةً لإخوانهم، ولكن السؤال الذي لم يُطرَح وقتها وللآن هو: هذه الحرب كانت مِن تدبير مَنْ؟ ولحساب مَنْ؟

لقد حشدت أمريكا عموم العالم الإسلامي في حربها ضد الروس، حتى تكوَّنت واشتدت حركات الجهاد الأفغانية، التي سُوِنِدَت بمؤازرة إسلامية عالمية فكانت سببًا مباشرًا في الهزيمة المنكرة للروس، لا؛ بل كانت سببًا بارزًا ومبكرًا في إسقاط الاتحاد السوفييتي نفسه، ثم المعسكر الشيوعي كله، لإخلاء الأجواء أمام أمريكا كي تتفرد بزعامة العالم قطبًا وحيدًا. ولم تُزهق وتُستنزف في أفغانستان إلا أرواح المسلمين ودماء المسلمين وأموال المسلمين من أنحاء العالم على مدى عشر سنين!

لا نقول هذا إبطالاً لمشروعية الجهاد الإسلامي وقتها - معاذ الله - فقد أجرى الله بسببه مقادير خير كثيرة؛ ولكن لنتساءل - كما ينبغي أن نتساءل اليوم -، هل كان

يمكن لأمة الإسلام أن تخوض معاركها المفروضة لحسابها ولمصلحة بلادها دون أن تتحول في النهاية لحساب المتلاعبين بها من حُسادها وأعداء دينها؟

عدوان وسيتحاربان.. ولكن كيف وأين؟

الغرب وإيران عدوان؛ وبغضِّ النظر عن البغض المشترك بينهما لنا نحن العرب والمسلمين السنة، وعلى الرغم من ما بينهما من رغبة جامحة في تفريقنا وتفتيتنا وإضعافنا؛ ومع الاعتراف بما بين الطرفين من ترتيبات كانت خفية، فأصبحت علنية لقهرنا وإذلالنا؛ على الرغم من كل ذلك فهم أعداء حقيقيون لبعضهم، لا تصنُّعًا ولا تظاهرًا، فالطرفان في النهاية «فرس وروم»..

وسيظل الفُرس فُرسًا، والروم هم الروم؛ أمتان شهد التاريخ قرونًا حروبهما، وسُجلت عداوتهما ومعاركهما في القرآن الكريم، في سورة سُميت باسم إحداهما (الروم) المنتصرة، وأشارت إلى الأخرى (الفُرس) المهزومة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ - ٥].

وقد تواطأت نصوص السنة على بقاء الروم رومًا معادين حتى آخر السنين باسمهم ووصفهم، عندما يجمعون لحروب المسلمين التي وُصفت بـ«الملاحم»، والتي خَصصت معظم كتب السنة أبوابًا لها.

أما الفرس فإنهم لليوم يفخرون بأنهم امتداد لأمجاد فارس، وقد كانت إيران قبل حكم الشاه رضا بهلوي تسمى «بلاد فارس»، وهي لليوم تصرُّ على تسمية الشواطئ

المحاذية لها بـ«الخليج الفارسي»، وتقاطع أيِّ فاعليات أو إجراءات أو مناسبات يستخدم فيها وصف «الخليج العربي»!

قوة الفرس اليوم ليست مطلوبة عند الغرب إلا بقدر إضعاف وإرجاف العرب والمسلمين السنة؛ فطهران منذ قامت ثورتها وإلى اليوم تلاعب الغرب في أخطر منطقة في العالم استراتيجيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا ودينيًّا، وهي المنطقة المسماة بالشرق الأوسط.. صحيح أنها تناور بذكاء الخبثاء، وتحاور بمكر الدهاة للوصول بمشروعها الإمبراطوري إلى غايته؛ حيث السيطرة الكلية على «أملاك» فارس التاريخية المزعومة من أفغانستان إلى اليمن، لكنها في النهاية ترى نفسها أحق من الغرب ببلاد العرب، التي كانت مرتعًا للفرس طوال قرون، قبل أن يكسر الإسلام كبرياء فارس، ويطفئ المسلمون نار المجوس.

ومع أن مشروع إيران الفارسي التوسعي الإمبراطوري، معادٍ لأهل السُنة مذهبيًّا وللعرب عنصريًّا، لكنه ليس صديقًا ولن يكون صديقًا للنصارى الروم الغربيين، ولا يمكن لهؤلاء النصارى أن يكونوا أصدقاء لهم، وهم الذين يضيق بعضهم ببعض عند الطمع، بل يحارب بعضهم بعضًا بسبب الجشع، كما حدث في الحربين العالميتين السابقتين، وما قد يلحق بعدهما من أخرى ثالثة.

فالعداء بين طوائف النصارى مستحكم، ولكن حب الدنيا يؤجله أو يجمِّده إلى حين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]، هذا فيما بينهم؛ فكيف ما بينهم وبين الفرس أعدائهم التاريخيين؟

لن تسكت أمريكا ولا الغرب على تهديد مصالحهم في منطقة الخليج المليئة بالمصالح، ولن يُمرِّروا خطف إيران لثمرات غزو العراق كلها، ولا محاولاتها الدائبة لاستثمار نتائج الثورات العربية الذاهبة، ولا يمكن أن يتسامحوا معها طويلاً في وضع أيديها على اليمن؛ حيث مضيق باب المندب الذي يتحكم في قناة السويس.

ولن يتركوها تمرح ثم تفرح بثروات البترول والغاز الهائلة على الضفاف الشرقية للجزيرة العربية، ولن يبتلع نصارى الروم تسلل الفرس وتسليحهم لحلفائهم في الشام وفلسطين؛ حيث مهَّد المسيح الأول وأرض معاد عودته الثانية، ولن يدعوا من يسمون أنفسهم «حزب الله» أن يهدِّدوا من يُدعون «أبناء الله وأحباؤه» تحت أيِّ ذريعة أو شعار!

من جهة أخرى؛ فليس كل ما بين إيران والكيان الصهيوني من النزاع المعلَن تصنُّعًا أو تمثيلاً، فطهران تحارب أمريكا بالوكالة في الأرض المقدسة وما حولها على يد ذراعها العسكري المسمى «حزب الله».. لا لقداسة فلسطين التي يعدون الكوفة أقدس منها ومن الكعبة نفسها؛ ولكن لوقوع مناطق في الشام على أرض التنافس والتماس بين المشروعات الأساسية المتصارعة في المنطقة: المشروع الإيراني، والمشروع الصهيوني، والمشروع الأمريكي.

وقد أظهرت تداعيات وتطورات الثورة السورية والثورة اليمنية أن طهران لن تتباطأ في استخدام كل إمكاناتها الاستراتيجية وأذرعها العسكرية للاستماتة في الدفاع عن مشروع «قُم» الشيعي الفارسي، الطامح لمنافسة ما تبقَّى من مشروع «القرن» الأمريكي، الصليبي الرومي.

سيناريو الصِّدام:

هناك سيناريو صِدام إقليمي مذهبي؛ بعضه واقع وبعضه متوقع، وتطورات الأحداث في المنطقة منذ غزو أمريكا لأفغانستان ثم غزوها للعراق؛ لا تدع مجالاً للتخيل بأن أمريكا سترتكب مرة أخرى حماقة التدخل العسكري المباشر بجنودها في الشرق الأوسط اختيارًا وطوعًا، ولكن مسارعة الإيرانيين في اختصار المراحل نحو إنجاز مشروعاتهم المناقضة لمصالح الغرب في كل من العراق والشام واليمن ودول الخليج؛ لا تمهل الأمريكيين وحلفاءهم ليلاحقوا القفزات الإيرانية الجامحة لوضع أيديها على المستطاع من إمكانات ومقدَّرات المنطقة، للانطلاق في مشروعها بقفزات نوعية إلى الأمام، لتحتل موقعًا متقدمًا في عالم ما بعد القطبية الواحدة.

وهنا يبرز سيناريو إسقاط الاتحاد السوفييتي السابق ذكره، بمعنى تعمد أمريكا والغرب النفخ في إشعال أوار حرب دينية إقليمية، يستنفر فيها السواد الأعظم من المسلمين السُّنَّة في المنطقة والعالم باسم الدفاع عن الحُرمات والمقدسات - التي يجب على المسلمين في كل الأحوال صدّ الخطر عنها -، والخطر هنا جاهز ومعلوم، وهو إيران وحلفاؤها الذين يُراد ضربهم بنا وضربنا بهم لحساب التحالف الصهيوصليبي.

وإيران وحلفاؤها لا يمكن التشكيك في عداوتهم وخطورتهم، وأطماعهم عندما يُنادَى بمواجهتهم، خاصة بعد أن أعلنوا مخططات مشروعهم المستهدِفة أقدس المقدسات وأكبر الثروات، مع خطوات أثبتها الواقع تستهدف - سياسيًّا - هدم دول في المنطقة، وإنشاء بدائل موالية للمشروع الإيراني بدلاً من الأمريكي، وتستهدف - استراتيجيًّا - الهيمنة على أهم الأجواء والممرات المائية التي تتحكم في تسيير الحروب الدولية، وتيسير التجارة العالمية، وتستهدف - اقتصاديًّا - الاستيلاء على أكثر منابع

النفط ومواضع الثروات المائية والمعدنية، وتستهدف - دينيًّا، وهو الأهم - الوصول إلى زعامة دينية وقيادة مزعومة مذهبية، لفرض الإرادة الشيعية على المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة!

ولإشعال عود الثقاب لإلهاب تلك الحرب الإقليمية الطائفية؛ يكفي أن نتصور استدراج إيران كي تقوم هي أو بعض وكلائها؛ في فورة الأحداث بخطوة ما؛ من شأنها أن تهدد بالاقتراب من حمى الحرمين الشريفين، وهي خطوة لا نستبعد فعلاً توافر نوايا الشيعة تجاهها، وتواطؤ الغرب وعملائه على تمهيد الطريق لها..

ماذا سيحدث حينها؟!

لا شك أن كل المسلمين الصادقين في العالم سيسارعون - وهم محقُّون - في بذل الغالي والنفيس لفداء أقدس المقدسات، وخوض حرب الفريضة المفروضة للدفاع عنها ضد عدو سيحشد الإعلام العالمي ما في وسعه وفوق ما في وسعه لتضخيم خطره والتهويل من قوته.

عند ذلك سوف تستنفر الأمة بشعوبها، من رجالها وشبابها وعوامها وعلمائها، وبكثير من حكوماتها بمؤسساتها السياسية والعسكرية والدينية والإعلامية لخوض حرب الغرب بالنيابة! ولتكرر أمريكا والغرب انتصارهم على عدوهم - كما حدث في حرب الروس في أفغانستان - بأرواحنا ودمائنا وأموالنا ومستقبل أجيالنا!

هل يفعلونها؟.. وهل نتورط فيها؟

لا نتحدث هنا عن أوهام أو أحلام؛ فوسائل الإعلام ومراكز التفكير وخبراء الاستراتيجية في وقتنا الراهن؛ يكثرون الأحاديث والتحليلات عن احتمالات

وسيناريوهات (الحرب الإقليمية الطائفية) التي تُساق إليها المنطقة، لكن هذا السيناريو المذكور هنا بالذات - فيما نعلم - لا يتحدث عنه أحدٌ، ولا يراقب شواهده أو يحلل تداعياته أحدٌ، مع أنه في عالم الإمكان بمكان.

الواضح والراجح أنهم سيحاربونها، ولكن كيف والفريقان يتظاهران هذه الأيام بالسلام والوئام بعد اتفاق «لوزان» بشأن البرنامج النووي الإيراني مع الدول الست الكبرى؟

إن الاتفاق الذي أُبرم في شهر يوليو ٢٠١٥م، والذي رُفعت بموجب التزام إيران ببنوده العقوبات الاقتصادية في ١٧/ ١/ ٢٠١٦م؛ هذا الاتفاق عند التأمل - ليس إلا توريطًا لإيران والبلدان السنية المحيطة بها للانهماك في الاستعداد لحرب دمار ينهك فيها كل منهما الآخر، حيث يمكن بعدها - لو استدعى الأمر - أن تتدخل أمريكا أو الكيان الصهيوني عسكريًّا للإجهاز على ما تبقى من طموح المشروع الإمبراطوري الفارسي وطموحه النووي!

تساؤلات مشروعة:

نتساءل هنا؛ ماذا يمكن أن يجنيه الجُناة من وراء المضي في هذا الدرب الرهيب والسيناريو المرعب؟ سيناريو الحرب المذهبية الإقليمية؟ وكيف السبيل إلى حرمانهم جنى الثمار بعد أن زرعوا الأشجار؟

الحرب المذهبية أو الطائفية الإقليمية؛ لها مغانم كبيرة لهم ومغارم كثيرة على المسلمين - إذا لم يبادروا إلى تفادي الخطر وتصحيح الوجهة وتحرير الولاء لله؛ حيث يراد من هذه الحرب ما يلي:

- إشغال الأمة بصراع طويل وبديل تُستنزَف فيه الطاقات، وتُهدَر الثروات وتُزهَق الأرواح.
- تعطيل مسيرة التنمية في دولنا النامية لعدة عقود تحت الشعار المستعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة».
- إحداث طفرات جبارة في تجارة السلاح العالمية المليارية الغربية، وأيضًا الشرقية؛ لأن طرفي النزاع لن يستمرا في صراع سياسي أو دبلوماسي على الموائد، بل سيكون صدام الدم والهدم في الميادين المتعطشة إلى سلاح البر والبحر والجو.
- تجريب الأسلحة الجديدة ميدانيًّا، وتخريب البنى التحتية بها واقعيًّا، حتى تستعد شركات «استثمار المصائب» لعمليات نهب جديدة باسم «إعادة التعمير»!
- إدخال الأنظمة العربية أو ما تبقى منها في أتون خلافات جديدة، ربما تجهز نهائيًّا على ما كان يسمى «النظام العربي»، وتنشئ نظامًا إقليميًّا في (شرق أوسط جديد) بترتيب جديد، يعيد تأهيل اليهود!
- جرّ رجال الأمة وشبابها ومجاهديها وجيوشها بعيدًا عن ساحة القتال والنزال الواجب لتحرير الأقصى، إلى ساحات جديدة لا تقل خطرًا، وسيعدها المسلمون أشد ضررًا، وفي هذا ما فيه من تشتيت الجهود لتأمين اليهود.
- قطع الطريق على طموحات المشروع الإيراني المناوئ للمشروع الأمريكي، بإهدار ما سيحصل عليه الإيرانيون من الأموال المجمدة في بنوك الغرب

بعد رفع العقوبات (١٥٠ مليار دولار) لتشتعل أوراقها في أوار الحرب ومحارق المعارك.

- إدخال دول الخليج في جولة حروب جديدة مرفوضة، لكنها مفروضة، بغرض الاستحواذ على ما تَحَصَّل لها من وفرة وثراء على الرغم من جولات الحروب الخليجية الثلاث السابقة، التي كانت تكفي نفقاتها لا لأجيال شعوبها فحسب، بل لكفاية ما حولها من أوطان العوز وشعوب الفقر والفاقة من المسلمين!

- وأخيرًا... إفساح المجال للأحقاد الشيعية - فارسية وعربية - كي تنفس عن نفسها في أعمال جنون قد تمسُّ الحرمات والمقدسات، لا يريد الغربيون واليهود التورط المباشر في تحمل تداعياتها، مادام هناك من ينوب عنهم فيها!

إن هذا وغيره ليس غريبًا ولا مستبعدًا على كفار أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال جل وعلا: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

ونعيد السؤال:

هذه الحرب حين وقوعها؛ ستكون من تدبير مَنْ؟ ولحساب مَنْ؟.. وإلى متى نظل عصا في يد «العم سام»؟.. وهل عدم المسلمون المعاصرون وسيلة يخوضون

بها معاركهم المشروعة إذا فُرضت عليهم، دون أن تتحول في النهاية إلى انكسار لهم وانتصار لأعدائهم، ودون أن تُدَوَّن نتائجها لغير صالحهم بل لحساب غيرهم؟!

لنكن جادين من الآن فصاعدًا للجواب عن هذا السؤال قبل أن تدهمنا الأحداث بالانشغال عن حل هذا اللغز العضال.

المشروع السني.. أين؟ وإلى أين؟

الإشكال هنا أيضًا؛ أن الأمور إذا تقلبت، وأهل الباطل إذا تألبوا، فإن تحالف شيعة العالم عربًا وعجمًا، واحتفاءهم ببعضهم - على الرغم من قلتهم النسبية ووجود التناقضات بينهم - كفيلٌ بأن يضمن لهم الاستمرار في مواجهة الأزمات تحت قيادة جامعة وموحدة، في حين أن السنة للآن، لم تتبلور لهم - حتى اليوم على الأقل - قيادة جامعة للجميع، لا سياسية ولا دينية، ولم يُعرف عندهم أصلاً شيء اسمه: (المشروع السني) في مواجهة (المشروع الإيراني)[1] هذا عن خواصهم، أما عوامهم في غالبيتهم؛ فلا سُنة ولا جماعة - إلا من رحم الله - ففيم يواجهون الفتن والمحن إذن؟!

إن إيران مع الشيعة وقت الخطر.. فمن للسنة؟..الجواب معروف، (إِنَّ اللهَ مَعَنَا).. ولكن لا بد من اقتران هذا الجواب بما يستلزم موجبات ومستلزمات هذه «المعية» التي طال التفريط فيها؛ وهي باختصار: (التزام أهل السُنة والجماعة بالسُنة والجماعة).. فقد أدمن أهل السُنة الفُرقة في عصرنا.. واستنكف كثير منهم عن مجرد الانتساب لها، مع ما يرون من معنى التشيع عند الشيعة، وقدر التعاون في سبيل المشروع الإيراني.

---

(١) انظر: دراسة للمؤلف في (التقرير الارتيادي) الثالث عشر، لعام ١٤٣٧هـ الصادر عن مجلة البيان، وعنوانه (نحو مشروع سُني مُواجه).

نوقن على الرغم من كل ذلك أن العاقبة للمتقين، خاصة وأن الإيمان في آخر الزمان (يأرز بين المسجدين كما تأرز الحَيَّةُ إلى جُحْرها)[1].. وأن دجاجلة العالم - لن يقدروا على إطفاء نور الله بأفواههم، ولن يقدروا بشركهم وإفكهم وضلالهم، على مواجهة أهل الحق السنة عند اجتماعهم على الدين الخالص. إن النصر حليف من نصر الدين، لكن السؤال: من يستأهل هذا النصر اليوم..؟ من يُعدّ له..؟ ومن يقوم بشروطه..؟ ومن يقود الأمة برشاد وسداد ويقين للانتصار بهذا لدين، نصراً يدخل الناسُ به في دين الله أفواجًا..؟ حيث لا يُسمى نصراً ما لا يدخل الناس في دين الله، ويحببهم فيما شرع الله.

نسأل الله أن يبرم للأمة أمرًا رشيدًا، يُعِزُّ به الطائعين، ويعافِي العصاةَ الغافلين ويُذلُّ الطغاةَ المعاندين. اللهم آمين.

(١) رواه مسلم برقم (٢١٣).

خاتمة

خاتمة:

إن المشروع الإيراني الفارسي، مع ظهيره الشيعي العربي؛ لم يصل إلى ما وصل إليه من خطر مصيري ووجودي يهدِّد كثيرًا من أقطار المسلمين السنة؛ لولا جهود خارجية مساندة، وأخرى من داخل الأمة مهادنة أو مداهنة أو مساعدة.

وهذا المشروع الذي قام على الشيوع والشمول الشيعي، بحيث لم يقتصر على فئة دون فئة، ولم يقصر في مجال لحساب مجال؛ لن يوقفه إلا مشروع سُنِّي شامل مقابل؛ يواجه المنهج الباطل بالمنهج الحق، والتحرك المفسد بالحراك المصلح، ويواجه التحالف على الإثم والعدوان بالتحالفات والمصالحات القائمة على البر والتقوى.

مشروع يقابل القوة العمياء غير المشروعة، بقوة مبصرة ظاهرة مشروعة.. إنه مشروع أبرز سماته: راية شرعية، وولاء حر، ورحمة ورأفة بالمؤمنين، وإعداد واعتداء بأهل الدين، وطمع فيما عند الله، ورغبة في هداية العالمين. وبدون ذلك؛ ومهما كان الاستعجال والغرور والارتجال، ستأتي السُنة الكونية بالاستبدال.

التي سبق بها القدر المحتوم ونص عليها وعلى صفة مجيئها الوحي المعصوم، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

د. عبد العزيز مصطفى كامل

فهرس المحتويات

مقدمة	٥
الفصل الأول: الخلفيات الخُرافية للمشروع الإيراني	١٥
فرقة الشيعة الإمامية (متى وكيف)؟	٢١
المنظومة الاعتقادية الاثنا عشرية	٢٣
مهدي الضلال: ونهج الدمار!	٢٩
عاصمة الثقافة الخرافية	٣١
مهام مهدي الضلالة عندما يخرج	٣٢
معتقد أهل السنة في مهدي الحق والسنة	٣٥
عقيدة التمهيد.. والمُمَهدون المعاصرون	٤١
بين مقدسات الإسلام ومقدسات التشيع	٥٠
قبور الأئمة.. مشاريع احتلال	٥١
أين تقع قبور الأئمة الاثني عشر؟	٥٦
الأقصى عندهم..لا يُقصد، ولا يُوجد!	٥٧
المقدسات وسقوط طاقية التقية	٦٣

أي حرمة تبقى للمسلمين؟!	٦٥
استباحة أهل السنة.. لا نتجنَّى على القوم	٦٨
التكفير المسكوت عنه	٧٠
الفصل الثاني: الأبعاد الواقعية للمشروع الشيعي	٧٧
كيف تحولت الخرافة إلى واقع؟	٧٩
مشروعات الحضور في زمن الغيبة	٧٩
إيران الصفوية (كيان الدم والهدم)	٨٠
إيران الخميني.. من الثورة إلى الدولة	٨٤
إيران الخامنئي.. من الدولة إلى الإمبراطورية	٨٩
مراحل الخُطة الخمسينية	٩٠
نظرية (أم القرى) من الإمبراطورية إلى العالمية	٩٤
واقع خرافي أم خرافة واقعية؟	٩٧
الأبعاد الاعتقادية للمشروع الشيعي	٩٨
الأبعاد العنصرية للمشروع الشيعي	١٠٥
الأبعاد السياسية والاستراتيجية للمشروع الشيعي	١٠٩
نوايا إيران النووية	١١٢
مخاطر القدرات العسكرية الإيرانية	١١٦
الأبعاد الثقافية والإعلامية للمشروع الشيعي	١٢١

موقع شيعة العرب من مشروع شيعة الفرس	١٢٥
الفصل الثالث: المشروع الإيراني واستكمال الهلال	١٢٩
كيف تتحول منظومة العقائد إلى برنامج عمل؟	١٣١
إيران ومشروعات التقسيم	١٣٢
العراق في المشروع الإيراني	١٣٤
تزييف للتاريخ وعبث بالجغرافيا	١٣٧
الخميني واستدراج العراق	١٣٩
ما وراء تقسيم العراق	١٤٧
بلاد الشام في المشروع الإيراني	١٥٣
أولاً: سوريا	١٥٤
العلويون الشيعة.. فاعل ومفعول	١٥٦
انفصال العلويين خيار أم اضطرار؟	١٥٨
تقسيم سوريا.. مجرد مراجعة	١٥٩
السنة العرب بين البيع والشراء	١٦٢
ماذا تريد إيران من سوريا؟	١٦٣
ثانيًا: لبنان	١٦٤
ثالثًا: الأردن	١٧١
رابعًا: فلسطين	١٧٤

مصر في المشروع الإيراني	١٧٨
يكرهونها...لكن يريدونها	١٧٩
المدّ الشيعي في مصر	١٨٣
الفصل الرابع: جزيرة العرب.. الغاية والنهاية	١٩١
جزيرة العرب.. وثلاثية العداء	١٩٣
جزيرة العرب.. غاية الطلب	١٩٥
اليمن في المشروع الإيراني	١٩٦
الحوثيون (قطار طروادة)	١٩٨
اختطاف طائفة	٢٠٢
التصعيد من صعدة	٢٠٣
صنعاء وصنائع قُم	٢٠٥
ماذا تريد إيران من اليمن؟	٢٠٧
البحرين في المشروع الإيراني	٢١٠
البحرين الكبرى.. هل جاء دور شيعة العرب؟	٢١١
بلاد الحرمين في المشروع الإيراني	٢١٥
(تدويل الحرمين).. سُعار في شعار	٢١٥
الحرَمان الشريفان.. «تدويل».. أم «تحرير»؟	٢١٨
شعار (البراءة) في الحج.. براءة ممن؟	٢١٩

معنى أن يكون الحرمان الشريفان تحت سلطان الشيعة	٢٢١
الجادون في الهزل	٢٢٢
من الآثار الدينية.. إلى الآبار النفطية	٢٢٤
السياسة في خدمة الدين	٢٢٧
التفسير التآمري لنظرية المؤامرة	٢٢٨
السعودية.. الهدف الاستراتيجي	٢٣٢
المشروع الإيراني والحقيقة المغيبة	٢٣٤
الحرب المذهبية الكبرى.. وعصا العم سام!	٢٣٧
هل يُعَدُّ أو يُعاد «سيناريو» جديد؟!	٢٤١
عدوان وسيتحاربان.. ولكن كيف وأين؟	٢٤٢
سيناريو الصِّدام	٢٤٥
ماذا سيحدث حينها؟!	٢٤٦
هل يفعلونها؟.. وهل نتورط فيها؟	٢٤٦
تساؤلات مشروعة	٢٤٧
المشروع السني.. أين؟ وإلى أين؟	٢٥٠
خاتمة	٢٥٣
فهرس المحتويات	٢٥٧

حتى لا يُستبَاحَ الحَرَم

أصبح منَّ الواضح أن خط سير الخطة الإيرانية في استهداف البلدان السُنية العربية أنها صُمِّمت على طريقة الزحف من الأطراف إلى القلب، والأطراف هنا؛ هي بلدان العراق والشام واليمن، وهو ما أطلق عليه إعلاميًّا وسياسيًّا: (الهلال الشيعي).

أما القلب، فهو جزيرة العرب (دول الخليج)، وفي قلبها بلاد الحرمين، وفي قلب بلاد الحرمين: الحرمان ذاتهما. فالحرمان الشريفان هما قلب القلب، وغاية الغاية، والهدف الأخير، في المشروع العدائي الفارسي الشيعي.

وهذا الكتاب محاولة لإلقاء الأضوء الكاشفة على أبعاد المشروع الإيراني المستهدف لمقدسات مكة والمدينة.

مكتب مجلة البيان
ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض - ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٤٦٨٦٨